

کتاب

العالم في الاكل

تأليف

بشیر احمد

الجزء الأول

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع على نفقة أمين هندی

مطبعة هندی بشارع المهدي بلازکی

English World

العالم الانكليزي

المقدمة

« لكل زمان دولة ورجال » فالزمان الآن زمان الدولة الانكليزية
تشخص اليها الانظار وتتجه لمعرفة احوالها الافكار وتشتغل بامورها صحف
الاخبار حتى اصبحت تسير سياسة العالم في اكثر الامصار والاقطار .
كانت اذ كانت ممالك العالم القديم بين صعود وهبوط في مكان من
الارض يحق هامة في ظلمات الجهالة فما انعشتها روح الوجود كما انعشت
غيرها من قبلها حتى اتكأت على عصا الاقدار وانبعثت ترتقي سلم الحضارة
بجليل الاعمال فمضت قرون وتصرمت سنون ودارت ادوار واذا بها قد
انتهت الى السدة العليا فاستعبدت واستعمرت ودهت واخضعت حتى صار
ربع العالم في قبضة سلطانها وصارت الدول العظيمة تخشاه وتترهب بأسها
تنظر اليها شزراً وتتميز منها غيظاً وتتسأل كيف تم لها ما كان فمن قائل ان
الزمان قد حاد عن محجة الصواب ودارت احواله على غير محورها الاصلي
فرضي عنها تمام الرضا وهام بها حباً ووجداد .

ومن قائلين : إننا ماسمعنا ان مملكة امتدت وانتفخت مثلها بالعلبة والعظمة
حتى هوت من اعالي مجدها ولا ينبئك مثل ملحق بالرومان وغيرهم من قبلها .
يتكهنون عنها بمثل هذه الاقاويل وهي بما عليه من الرسوخ امنع من الاهرام
تمر الاجيال بعضها وراء بعض والانكليز ناظرون من آفاق جزيرتهم انقراض
الدول وقيامها في السلم وفي الحرب وما يحدث لها من النقص والتغير وهم

على عهدهم الاول لم يحولوا عن قانونهم القديم من عهد الزعيم كرومويل ولم يزيدوا بمرور الايام الا رسوخاً في حقوقهم المشروعة واحتراساً على الاستقلال واطلاق الحرية قولاً وفعلًا

ولما كان الشرقيون عموماً والمصريون خصوصاً لا يلم معظمهم بتاريخ هذه الدولة العظيمة ولا يعرفون من شؤونها وسرارتقاها غير ما يتصفحونه في صحف الاخبار او بعض التواريخ الا فرنجية رأيت ان اتفهم بهذا المؤلف الذي تحررت فيه كل ماتهم معرفته من تاريخها ونظامها الى آخر ما أدنى بها الى مجدها الحاضر . وقد رغبتني في وضعه انه لم يوضع لهذا العهد كتاب في العربية جامع لما فيه من فرائد الفوائد فشمرت عن ساعد العزيمة على تأليفه مستمداً من المؤلفات الجديدة المخصصة لقصص انباء الانكليز كيف ابتدأوا همجاً ثم ترقوا الى ذرى المدنية وما تداول على دولتهم من ظروف الاحوال بين غلبة وانتقال وانتقال الملك من سلالة الى اخرى . فابتدأت في تعريف جغرافية القوم على ما هي في عهدنا الحاضر ببيان موقع جزيرتهم من الارض وما يحدها من البحار ويخترقها من الانهار ويغلبها من الجبال والاعوار وما اختلط فيها من المدن الفخيمة والعواصم المعصومة عن شبيه في العظمة والصفخامة وما في تربتها من المعادن ونحو ذلك من المباحث المختلفة التي يهم الوقوف عليها ثم انتقلت الى تاريخ الممالك القديمة والجديدة فافردت له فصلاً مخصوصاً ذكرت فيه ما يقال عن اصل البريطانيين القدماء وعن قديم عوائدهم وديانتهم وسيادة الرومانيين عليهم ثم انتقل الحكم الى السكسونيين فالدانماركيين فالنورمانديين فالدول التي تناوبت الحكم فيما بعد مع ما طرأ من الحوادث

التي نشأ عنها بعض الانقلاب في نظام المملكة وكيف تفرقت ثم اجتمعت دولة واحدة كما هي اليوم تحت لواء المملكة فيكتوريا الملقبة بملكة المملكة المتحدة وامبراطورة الهند نجحت بفصل مخصوص على ترجمة حياة هذه المملكة السعيدة المغبوظة المكرمة بين الخلائق وعما بلغ اليه الانكليز في مدة حكمها البالغ قدره نيفاً وستين عاماً من الظفر والعلو الشاهق في الحضارة والعمران ثم افضت في ذكر المستعمرات وشرح احوالها فهي من ملحقات الدولة تضاف اليها وجديرة والحالة هذه بالذكر والتعريف اذ كانت في الواقع جزءاً من المملكة تستمد منه الثروة والتجدة فلم يك بداً من احاطة القاري علماً بهذه المستعمرات المنتشرة في انحاء الكرة الارضية المرفوع فوقها العلم الانكليزي بما لم تصل دولة من الدول قديماً وحديثاً الى مثل هذا الاتساع فابنت بوجيز القول عن تاريخ فتوح انكائرا هذه البلدان وذكر الحوادث التي حملتها على الاستعمار والاصول التي اتبعتها مع هذه المستعمرات وما اشتملت عليه من المدن والسكان ومن مصادر الثروة والنعيم التي جعلت هذه الدولة اغنى امة في الكون واوسع تجارة صادراً ووارداً وجعل لها المقام الاول في الابحار والاتجار والادخار

ويلي هذه المطالب مباحث ادبية وفنية وانتقادات في الاخلاق افرزت لها فصلاً مطولاً لانه ما من امة في العالم اشتهرت بشديد تمسكها بعوائدها والمحافظة على القديم منها مثل الانكليز فعوائدهم عندهم بمثابة نظام الشريعة كل عادة منها تقوم مقام سنة مشروعة ولا ريب ان في دراسة هذا الفصل هداية لمعرفة حقائق القوم والحكم عليهم عدلاً من غير رجم ظنون يرسلها

القول جزافاً

ثم بحث في نظام الدولة السياسي لان الفضل في منعة هذه الدولة قوام دستورها الكافل لامورها فان تفاخر قوم فلانكنايز ان يشتخروا بان كانوا مثالا بنسج عليه غيرهم من الدول اقتداء بهم فالشورى قائمة فيهم متأصلة في اخلاقهم لم تكد امة تفقه حقيقتها كما ادركوها واتبعوا منهجها القويم حتى لم يكن في الارض شعب يحافظ على دستوره ويحترم ملوكه ويحافظ ملوكه على ذلك الدستور كالانكنايز

واستيفاء للبيان اتيت على ذكر لندن عاصمة البلاد مأوى كبار التجار وذوي السعة واليسار ومهد اصحاب جلائل الاعمال تلك العاصمة التي ارتقت الى الهرمان ارتقاء سريعاً غريباً حتى دعيت ببابل العصر الحديث فابنت بوصف موجز لما اشتملت عليه من الصروح الفاخرة والمباني السنية والآثار العظيمة التي تدهش العقول وتسحر الالباب وقد اتيت بهذا الفصل تمهيداً لذكر حركة التجارة التي ترزق انكنايز من فضائها فشرحت ما جاء عن عظمة هذه التجارة واوضحت النفع الذي يستمد الانكنايز منها والاعمال العظيمة التي قاموا الآن بها والتي دون الوصول اليها شيب الرؤوس وبذل الاموال والنفوس حتي اوصلوا سلعهم الى حيث يستطيع الوصول والى حيث تثبت قدم الانسان

ولما كانت الصناعة الانكليزية من اكبر الاسباب في ارتقاء تجارتها لان خمس صادرات البلاد من مصنوعات جئت بفصل في بيان مستخرجاتها ومعاملها ومناجمها المنتشرة في اطراف المملكة تلك المناجم التي امتازت على غيرها وصار يشاخر بها الانكنايز ويدعونها بالهند السوداء ويفضلونها على كل ما لهم من

الاملاك الواسعة والمستعمرات الكثيرة الشاسعة المنتشرة في انحاء الكرة الارضية

ثم تكلمت على الزراعة من حيث هي الآن وعن تربة الارض وما نبت من المحصولات واتيت على بيان قوة انكثرا البحرية وعلى ما تبذله من النفقات الباهظة لانشاء البوارج العظيمة والسفن الحربية لتخفظ لها السيادة على البحر وتمتلك ناصيته الى الابد

ثم انتقلت الى ذكر ميزانية الدولة ودينها ومواد ثروتها مما تجمعها من الضرائب ومصادر صرفها وما يهيم معرفته من هذا القبيل مما اوصلها الى درجة الثروة والشوكة والعمران الممتعة بها الآن

ثم خصصت فصلا بذكر الديانة واصول الدين المتبعة عندهم وما يأتونه من الاعمال الخيرية وما في بلادهم من المستشفيات والكنائس الكبيرة ثم جعلت فصلا آخر لذكر اللغة الانكليزية واللغات التي اشتقت منها بيان عدد المتكلمين بها في انحاء الارض البالغ قدرهم نيف مائة وعشرين مليوناً

واتماماً للفائدة اسهبت في ذكر آداب القوم وفي اصول التربية المتبعة عندهم وما ينفقونه على التعليم ووصفت مدارسهم ثم انتقلت الى شرح الصحافة في بلادهم وما بلغت اليه من الشأن الرفيع اهمية « واعتبارا » في عين الخلق

وختمت الكتاب بترجمة مشاهير الانكليز في كل مطلب اذ كانوا ائمة لهم يتوارثون تقليدهم خلفاً عن سلف فأثارهم قائمة في العيان وفي الاذهان واخرى بكل امة طلبت العلا ان تحذو حذوهم وفي ذكر الاسلاف المجيدين حث على الفضل ونعم العمل

هذا ولم اسر فيما كتبت مع رياح الاغراض ولا ملت مع هوى الجهل
فما اثبت حرفاً الا مما اتصل بي عن الابحاث الحقيقية حتى جاء الكتاب مرآة
تتأمل في صفحتها وجه الحقائق فاستظلموا يا ايها الشرقيين حقائق ترقى هذه
الامة تظواهرها وخفاياها واستجلبوا دقائق هذه المواضيع فهو كما قدمت اول
كتاب عربي صدر في العربية في هذا المعنى ما اقدمت على وضعه الا تنويرا
للافتكار وهداية للمستبصرين

وفي الختام اتوسل الى الله من صميم الفؤاد ان يرشدنا جميعاً الى سواء
السبيل حتى نبأغ شأوا القوم المحدث عنهم ونحرز ما احرزوه ونعلمو علوهم همه
وقدروا فيهم حنى الحرية والاستقلال والله على كل شيء قدير وعليه الاتكال

لمؤلفه

بشاره كنعان



الباب الاول

« جغرافية الجزائر البريطانية الطبيعية واقسامها السياسية »

CHAPTER I.

PHYSICAL GEOGRAPHY OF THE BRITISH ISLES

تتألف انكلترا من جزيرة بريطانيا العظمى وجزيرة ايرلندا وما جاورهما من الجزائر الصغيرة وهي متوسطة بين العالمين القديم والحديث وواقعة في المحيط الاطلنطي بالجهة الغربية من القارة الاوربية

وهي سابع مملكة من ممالك اوروبا في اتساع البقعة ولكن ليس في ارضها شبر واحد من الارض متروكا بلا فائدة او منفعة كلها محروثة عاصرة وجبال غنية لم تكن تأوي منذ ٨٠٠ سنة أكثر من ثلاثة ملايين من النفوس وكان عدد سكانها منذ تبوأ اريكة الملكة فيكتوريا نصف ما هو الآن فزادوا زيادة سريعة حتى أصبحت وهي تقل كما ظهر من آخر تعداد (١٨٨٩ ر ٤٠) نفسا والانكليز على ما احصى الجغرافيون يزويدون مليوني نفس في كل عام . وقد قدر ان الميل المربع من ارضها يخصه ٣١٢ نفسا

وهي ثانية ممالك العالم بنسبة عدد السكان الى مساحة الارض .

ويقدر ان اول الممالك في هذا التناسب هي بلجيكا لان فيها ٥٣٦ نفسا في كل ميل مربع وتلي انجلترا المانيا وفيها ٢٧٣ نفسا . فايطاليا . ففرنسا . اما

لو احصى سكان قسم انجلترا بدون ايرلاندا واسكوتلاندا لكانت انجلترا
اوفر سكاناً من كل البلاد

ولا ريب بان السبب في ازدياد سكانها هو ازدياد عدد المواليد فيها عن الوفيات
فيما هو في غيرها فيوجد فيها على كل الف نفس

مواليد	وفيات	الباقى	
٣٥	٢٠	١٥	في انجلترا
٤٠	٢٨	١٢	» ألمانيا
٢٦	٢٤	٢	» فرنسا

فيتضح مما تقدم ان ارض هذه الجزائر تكاد تضيق باهلها ولذا يهاجر
منهم في كل عام (٢٥٠٠٠٠) نفس يعمرون المستعمرات التي لا يمر عليها حين
من الزمن حتى تصير ممالك قوية .

ويلى الانكاز في المهاجرة الالمانيون واقل اهل اوربا مهاجرة هم
الفرنساويون .

ويبلغ عدد التابعين لاراية الانجليزية في انحاء المعمورة ثمانمائة وخمسين
مليوناً من النفوس واعظم اقسام المملكة الانكازية جزيرة بريطانيا العظمى
واقعة بين ٥٠ طولاً و ٥٨ عرضاً و ٥٢ شرقاً و ٦ للطول الغربي وهى تتألف
من قسم اسكوتلاندا في شمالها وقسم الغال او ويلس في الجنوب الغربي منها
وقسم انكلترا في جنوبها الشرقي ويتألف كل قسم من هذه الاقسام من اقاليم
عدة تعرف بالانكازي باسم الشير او كوتى Shire, county وكلها
تتاسيم قديمة العهد لا تزال باقية على حالها مع ما يضاف عليها .

﴿ انكاترا او انجلند ﴾

ENGLAND

فقسم انكاترا هو اهم اقسام المملكة الانكليزية واكثرها سكانا يبلغ عدد سكانه وسكان قسم ويس (٣١٣٩٧٠٧٨) ٠ وهو واقع في الجنوب الشرقي من جزيرة بريطانيا يحده شمالا قسم اسكوتلاندا وشرقا البحر الشمالي وجنوبا بحر المانش وغربا بوغاز ماري جرجس والبحر الايرلندي الفاصل بينه وبين ارلاندا

ويتخلل سواحل هذا القسم كثير من المواني والمرافئ العظيمة المرصعة بالنارات والاعلام المديدة التي تبقى انوارها الليل كله لهداية السفن وفي مواقع كثيرة منه رؤوس مرتفعة كرأس لينيد ولانزاند (اورأس البر) واكثر جهاته جبالا واقع شمال نهري همبر ومرزي ويتخلله شمالا وجنوبا سلسلة جبال تعرف بجبال بنين والسلسلة الشمالية وهي متصلة بجبال تشيوت الواقعة في تخوم اسكوتلاندا ويخترق ايضا جنوبه ثلاثة سلاسل متقاطعة تشمل على جبال نوثوند وسووثوند المشهورة وبينها اودية جميلة وسهول كثيرة رحيبة

وفي انكاترا انهر وجداول كثيرة تصلح للسفر وتسهل اسباب النقل بين المدن التجارية والمعامل منها نهر سقر وهو ينبع من بلاد الغال ونهر توي ونهر اسك وهي تصب في قتال بريستول ونهر مرزي ويصب في بحر ارلاندا عند مدينة ليقربول ثم نهر دي ونهر التمس ويصبان في البحر الشمالي وبين هذه الانهر ترع كثيرة يبلغ طولها نحو خمسة آلاف كيلو متر وبحيراتها قليلة

ولكنها مشهورة بجمال منظرها واشهرها بحيرة وندرمير
وهواء انكترا كثير التقلب يختلف في اليوم الواحد هاراً فينما يكون الجو
صحواً اذا بالغيم يطبق الافق ويتراكم فتتدفق الامطار كافواه القرب وتوحل
المسالك وهو في الغالب بارد يحوج للاصطلاء وخصوصاً في المقاطعات
الجنوبية والسواحل الشرقية ومعظم تربة انكترا خصب فتكثر فيها الحبوب
والكتان وليس فيها من الغابات الكبيرة الا شيء قليل ولا ينبت فيها من
الاشجار ما تحتاج اثماره الى الحر والاعتدال وذلك كالعنب والبردقان وقصب
السكر الخ ولا يوجد من هذه الاثمار الا ما ينحصر لها مواضع تسخن من
حرارة النار وقد انقرض كثير من حيواناتها البرية التي كانت تألف الغابات الا
ان الحكومة سنت اخيراً قوانين صارمة لحفظ الكثير منها كالابل وخلافه
وخياها مشهورة بحسن منظرها ويعتني الانكليز في جلبها وتربيتها حتى فاقت
سائر انواع خيل اوروبا وغناها موصوفة بجودة صوفها ولحمها وهي تسمن
كثيراً بالنظر لاتساع المراعي ووفرة المروج الحصبة فيها وبقرها يعظم جسماً
في عظم جواميس مصر

ويتألف قسم انكترا باعتبار نظام الحكومة الاداري من كونتيات او
مقاطعات شرقية وجنوبية ومتوسطة وشمالية يحكم كل مقاطعة لورد من
لورداتها . اما المقاطعات الشرقية فهي

- (١) مقاطعة ميدلسكس وفيها مدينة لندن
- (٢) « إيسكس : هريك وهي على البحر
- (٣) « كبريدج : شهيرة بمدرستها العظيمة الجامعة

(٤) مقاطعة سفلك ايسوتش وهي شهيرة بتجارة الحبوب والمحصولات الزراعية وفيها معامل للآلات الزراعية ثم نيوماركت معروفة بسباق الخيل فيها

(٥) نورفك : نوريك مشهورة بما يصنع فيها من المنسوجات الكشائية التي تصدرها من ميناء يارموث القريبة منها وفي هذه البلدة يصطاد نوع من السمك يشبه السمك البردويلي المصري المقدد

اما المقاطعات الجنوبية فتشمل المراعي النظرة والمروج الحصبة وهي (١) مقاطعة كينت مشهورة بما يزرع فيها من حشيشة الهوبلون التي تعمل منها البيرة وفيها مدينة كنتبري وهي مركز الكنيسة الانجليكانية التي يعد مطرانها من اعظم نواب المملكة يقيم في لوندرا ثم جرينتش على نهر التيمس مشهورة برصدخاتها واعتبارها لدى الجغرافيين مبدأ لخط العرض ثم ثغر دوثر وهو من النقط الحربية الحصينة على بعد ٤٠ كيلو متر من مدينة كالي بفرنسا ومحل مرور بين فرنسا وانكلترا وكذلك ميناء فلكستون القريبة منها فانها معروفة بعلاقتها مع المواني الفرنسية ثم مدينة ووليش واقعة على نهر التيمس وهي نقطة حربية حصينة فيها ترسانة ومدرسة حربية شهيرة ومعامل كثيرة لعمل السفن

(٢) ساري وفيها تمتد شوارع مدينة لوندرا الجنوبية وسوث ارك وفيها مدينة كيوو مدينة رتشموند الشهيرتين بما لهما من المراكب في نهر التيمس ومدينة ابسوم ويجري فيها اكثر الاوقات سباق للخيل وفيها ينابيع مياه معدنية

- (٣) بركشير : وندسور الشهيرة بقصرها الملوحي النخيم
- (٤) سسكس !هستن وهو الثغر الذي دخل منه وليم الظافر دوق نورمنديا الى انكترا وانتصر فيه بعد واقعة عظيمة سنة ١٠٦٦ ثم بريتون وهي جميلة الموقع يقصدها الاغنياء والعظماء في فصل الصيف وفيها حمامات شهيرة ومدرسة عظيمة ويبلغ عدد سكانها (١٣٠٠٠٠) نفس
- (٥) همپشير : پورتموث مدينة حصينة واقعة في جزيرة في البحر وهي اعظم ثغور انكترا الحربية وبها معامل كثيرة لاصطناع البيره وزيت السمك وخصوصاً معامل بناء السفن ويبلغ عدد سكانها (١٧٠٠٠٠) نفس ثم مدينة سوثلامتون وهو ثغر تجاري عظيم ويتبع هذه المقاطعة جزيرة وايت التي فيها القصر الملوحي المعروف بقصر اوسبورن
- (٦) ولتشير : وهي على تل مرتفع في ضواحي صحراء سالسبورى وبه كثير من بقايا آثار قدماء البريطانيين
- (٧) دورستشير : وهي عبارة عن بحيث جزيرة پوتلند التي استحال الى ارض فئشاً فيها صرماً ويموث
- (٨) سومرست : باث وهي بلدة من اقدم مدن المملكة واقعة على نهر افون ومعظم دورها مبني بحجر رملي على جوانب آكام عالية وفي انحاءها كثير من الرياض والبساتين وهي ملجأ المرضى لما فيها من الينابيع الحارة التي تشفي من الفالج والامراض العصبية والنقرس والختايز والامراض الجلدية لانها كبريتية قلوية تحتوي على الحديد

(٩) ديشونشير: وهي مقاطعة معتدلة الهواء خصبة التربة فيها بليموث وهي

ثاني ثغور انكلترا الحربية في موقع جميل تجاهها منارة اديستون

(١٠) كورنويل : ويستخرج من هذه المقاطعة معدن النحاس الاصفر

والقصدير وتنتهي برأس لانزاند او رأس البر ويتشرب بجوار هذا

الرأس جزائر شيلي و سورلنج وكلها صخور جرداء غير مأهولة ويوجد

امام سواحل فرنسا جزائر نورماند منها جزيرة جرزي وهي مشهورة

بحماماتها البحرية

وجزيرة جرزي وفيها مقاطع من حجر الصوان

اما الثمانية اقاليم المتوسطة فارضها خصبة وسكانها يهتم البعض منهم بالزراعة

والبعض الآخر باستخراج الفحم والحديد والملح وبكثير من الصنائع وهذه

الاقاليم هي

(١) اقليم غلوشستر : مدينة غلوشستر واقعة على نهر سقرن وفيها معامل

كثيرة للجوخ ثم مدينة بريستول وهي من المدن القديمة ومحل للوسق

بين ايرلاندا وانكلترا وفيها كثير من المعامل لنسج القطن وعمل

الآلات واصطناع الزجاج والسكر والمشروبات وفيها ايضا عدد وافر

من الآثار والابنية القديمة ككنيسة القديس ردكليف وتشتمل على

مكتبة عظيمة للبلدة وعدد سكانها (٢٣٠.٠٠٠) نفس

ثم مدينة جتتهام وهي معروفة بمياهها المعدنية وبما فيها من المباني

الفخيمة والطرق النظيفة والرياض الغناء الكثيرة

(٢) اكسفورد : او كسفورد وهي مدينة قديمة العهد مبينة على اكمة جميلة

على مسافة ٥٢ ميلا من لوندن ومنظر بناياتها الفخيمة يروق الناظر
ويشرح الخاطر ومعظم تجارتها في الحبوب وهي مشهورة كثيرا
بكائيتها العظيمة وبمكتبتها المشتملة على كثير من الكتب الثينة

(٣) ووريك فيها قصر فخيم مبني على صخرة عظيمة ثم مكشعري، وهي بلدة
قديمة العهد شهيرة بعمل السلاسل والساعات ثم مدينة برمنجهام وفيها
ابنية جميلة من دور وكنائس ومن اجمل دورها دار المدينة الشتمل
على متحف واف بالآثار ومكتبة عظيمة عمومية وتجارة هذه البلدة
متسعة النطاق وفي ضواحيها معادن كثيرة تنفع منها الصناعة وفيها
ورش كثيرة للجلوانوبلاستيا ومعامل عظيمة لاصطناع الآلات
التجارية والادوات الحديدية كالسامير والاسلحة والدبابيس والابر
وغير ذلك وهي بالنظر لتوسطها بين مناجم الفحم ومعادن الحديد دائمة
الاتصال بكل مدن المملكة بواسطة الترع والسكك الحديدية وهي
اشهر مدن الارض في صناعة النحاس فيها عدد عظيم من العمال
يعملون في معامل الاواني النحاسية ولم يكن عدد سكانها منذ جيل
واحد الا اربعة آلاف نفس واما الآن فهم يقدرون بنحو
(٥٠٠٠٠٠) نفس

(٤) فوثهام على نهر ترنت وفي هذه المدينة عرفت صناعة الجرابات وفيها
معامل عظيمة لاصطناعها وعمل التحريم والكفوف وعدد سكانها
(٢٥٠٠٠٠) نفس

(٥) تشستر وهذه المقاطعة شهيرة بملاحاتها وبمروجها النضرة ومراعيها

الخصبة التي يرعى فيها ما يربو على المائة ألف بقرة فيحصل منها مقدار وافر من الزبدة والجبن وفيها مدينة استوكبور الشهيرة بمنسوجاتها القطنية والحريية ثم مدينة بركهند المبنية حديثاً امام مدينة ليقربول فبالغ عدد سكانها (١٠٤٠٠٠) تشترك معها بالتجارة ثم مدينة تشستر على نهر دي في موضع قديم اتيق

(٦) ستافورد : يغشي ارض هذه المقاطعة معادن الحديد ومناجم الفحم وفيها كثير من المعامل لعمل الادوات الحديدية وعلى الخصوص في مدينة ولقرهمبتون ثم مدينة ستوك ابون ترنت وفيها نحو السبعين الف عامل يعملون فقط في معامل الاواني الفخارية والحزف .

(٧) ليشستر وهي مقاطعة خصبة التربة ترعى في صروجها ومصراعيها نوع من الغنم الشهير بجودة صوفه وفيها مدينة ليشستر الشهيرة بجودة الجرابات الصوفية

(٨) دربي : وفي هذه المقاطعة كثير من المعادن والمغائر والمناظر البهيجه الطبيعية وفيها المدينة المعروفة باسمها الشهيرة بسباق الخيل الذي يجري فيها

اما المقاطعات الشمالية فان وعرها اكثر من سهلها وهي مشهورة بما فيها من مناجم الفحم الحجري وهي

(١) مقاطعة يورك وهي اكبر مقاطعات انكلترا في اتساع البقعة وفيها بقعة يورك تقابل مدينة كنتربري في اسقيتها وميدلسبورج وقد اشتهرت حديثاً بما استخرج منها من الحديد ومن المعامل المعدة فيها

للتنقية وايدس وهي مدينة عظيمة بعمل الاقشنة من الصوف والجوخ
والبسطة وعدد سكانها (٣٧٠٠٠٠) نفس ويتبعها في صناعة هذه
الاصناف مدينة برادفورد القريبة منها وفيها (٢٤٠٠٠٠) نفس ثم
مدينة هاليفكس شيرة بصناعة النظارات ومدينة شفيلد المشهورة
بصناعة السكاكين والاسلحة البيضاء ويبلغ عدد سكانها (٣٣٠٠٠٠)
نفس ثم مدينة هال وهي ثغر هذا الاقليم واقعة عند مصب الهمبر
ومحط لتصدير كافة محصولاتها وفيها (٢١٠٠٠٠) نفس

(٢) مقاطعة لانكستر وهي اعظم مقاطعات المملكة في اتساع الصناعة
والتجارة واكثرها في عدد السكان وفيها عدد وافر من مناجم الفحم
الحجري ومدينها الشهيرة هي :

ليثربول . وهي ثاني مدن انكلترا التجارية بعد لوندرا كان عدد
سكانها في سنة ١٧٠٠ لا يتجاوز (٥٠٠٠) نفس اما الآن فيبلغ
(٧٠٠٠٠٠) وهي مبنية على جانب نهر مرزي عند مصبه في بحر
ايرلاندا ولم تكن في بدا نشأتها سوى محل لصيد الاسماك فارتقت
كمدينة لوندرا ارتقاء سريعاً حتى صارت من اعظم مواني الكرة
الارضية بالنظر لما يتقاطر لمرساها من السفن العظيمة الواردة من
اطراف الارض مشحونة بالمحصولات من القطن والحبوب والصوف
والجلود والبضائع التي تصطنعها في معاملها العديدة ثم تصدرها الى
جميع الجهات حتى الواردة منها ومعلوم ان نصف محصولات القطر
المصري تصدر اليها ويقدر عدد السفن التي تدخل مرساها في العام

بنحو (٢٠٠٠) سفينة ويتقاطر اليها من التجار ما بين انكليز واجانب
نحو (٤٠٠٠٠) تاجر وفيها مبان حسنة اعظمها بناية سانت جورج
(ماري جرجس) وهي محل الانتخابات العمومية وفيها كثير من
الكنائس والمدارس والملاهي والملاعب

ثم مدينة منشستر وعدد سكانها (٧١٠٠٠٠) نفس وهي اعظم مدن
العالم في صناعة القطن والنساجه تقابل مدينة ليون بفرانسا في معاملها
الحريية وتشبه مدينة لوندرا ببعض اسواقها التي يتكاثف فيها الدخان
وبحوانيتها العظيمة وبشوارع عديدة وفيها بعض تماثيل الرجال العظام
من الانكليز وفيها اول ترعة انشئت في انكلترا وتعرف بترعة
بريدجوتروهي توصل لمناجم الفحم وفيها ترعة اخرى تصلها بمدينة
ليفربول وتسهل اسباب النقل ويتبعها في هذه المقاطعة كثير من المدن
الصناعية التي تمتد معها اقطار الدنيا بمنسوجاتها القطنية مثل اولدهام
وبولتون وبلاكبورن وروشدل وبرتلي وويجان وورنجتون ثم مدينة
بارواوف فورنس وقد اشتهرت حديثاً بصناعة الحديد

(٣) مقاطعة كامبرلند : اكثرها جبال وبحيرات ومواقع طبيعية ومناجم
تحتوي الفحم الحجري ومعدن الرصاص وفيها مدينة وتيهافن معروفة
بما فيها من مناجم الفحم

(٤) دورم : دورم وفيها كلية عظيمة شهيرة بما تصدره من الفحم وبما
يعمل فيها من السفن وعدد سكانها (١٣٥٠٠٠) نفس

(٥) نورثمبرلند : نيوكاسل وهو اشهر ثغور الكرة الارضية بتصدير

الفحم الحجري الجيد وفي هذه المدينة من السكان (١٩٠٠٠٠) نفس
ويصطنع فيها عدد من المراكب الحربية وهي واقعة على نهر السين
على بعد ١٥ كيلومتر من بحر الشمال وفيها كثير من مناجم الفحم العظيمه
التي لا تنضب مدى العمر ويتبعها في هذه المقاطعة بتصدير هذا
الصنف مدن جاتهاد وشيد ويقدر ما يتصدر من هذه المواني في العام
الواحد نحو (١٠٠٠٠) سفينه مشحونه بالفحم
ويستخرج من معدن الرصاص مقداراً وافراً من جزيرة مان الواقعة
في بحر ايرلاندا بجوار هذه المقاطعة



بلاد الغال

WALES

اما بلاد الغال او ويلس فهي في غرب انكلترا يغشى ارضها جبال كثيرة يستخرج منها الفحم الحجري والحديد والزرصاص وقليل من الذهب والفضه وهي تقسم الى اثني عشرة كونتية

واشهر مدنها مرتير تيدفيل ومدينة يستردي نورويك التي تجاورها وكلاهما مركز لما يستخرج من الفحم الحجري من الجبال المجاورة ثم مدن كلرديف وهي ثغر هذه المقاطعة وفيها الفحم الحجري المشهور باسمها ومدينة سونسي شهيرة بشعرها وبما فيها من معامل النحاس الاصفر

وكان اهل هذه المقاطعة عند مداخلها الرومانيون في عصر يوليوس قيصر بخمسه وخمسين سنة قبل المسيح اشداء وفي غاية التوحش حتى كانوا يدعون القوة لاغتزارهم بقوتهم وكان بينهم فئة من الشعراء تنظم القصائد الراوية لحروب امراءهم وابطالهم بقيت معززة مكرمة الى ان ابادها ادوارد ملك انكلترا بسبب تهيجها الشعب ضده بعد ان انتصر على لويس امير هذه المقاطعة وقتل اخاه داوود فانقرضت من ذلك العهد سلالة امراء ويلس وضمت البلاد الى المملكة الانكليزية .

وفي تلك الاثناء رزق ادوارد ولدا فجمع حوله عظماء المقاطعة وكبرائها واخذ الولد على ذراعيه وقال هذا مواطنكم وملككم فصارت هذه العبارة

تكتب علي ترس امير والس وصار هذا اللقب خاصاً بولي العد من ملوك
انكاترا

وقال احد المؤرخين ان اهل والس هم الحريون بان يقال لهم بريتاينون
فهم ذوو بسالة وشجاعة ولغتهم تشبه اللغة الغالية وتختلف عن اللغة الانكليزية
حتى ان الزائر لهم لا يكاد يخطر بباله انه في قسم من بريطانيا العظمى على ان
اكثرهم يتكلم الآن باللغة الانكليزية لما عندهم من المكاتب العديدة لتعليمها حتى
ان لغتهم الاصلية كادت تزول وتضمحل



اسكوتلاندا

SCOTLAND

اسكوتلاندا ويقال لها اسكوتسيا وهي احدى الممالك الثلاث التي تؤلف مملكة بريطانيا العظمى والجزء الشمالي من الجزيرة يبلغ عدد سكانها (٤٦٩٩٤٩٢٤٢٤) وتفصلها عن انكلترا جبال تشيوت ونقسمها جبال جراميان الى قسمين أعلى ويقال له هاي لاند (اي الارض العالية) واسفل ويقال له لولاند (الارض الواطئة)

اما القسم الأعلى فيشتمل على جبال عالية باردة لا تصلح للزراعة بعض المواشي تعرف بجبال الكلتين او جبال كالدونيا يتكلم سكانها باللغة الغاليكية التي يعسر فهمها وهم يقربون بلغتهم وعوائدهم من الغالين والارلنديين . وقد حرصوا كثيرا على عوائد آبائهم القديمة

ويروي ارض هذا القسم نهر دي وتي وفيه بحيرات شتى كبحيرة نس وبحيرة لومند وكثير من الاوهاد والسهول التي جعلت لها مشاهد متنوعة ومناظر مختلفة حسنة ولذلك يقصدها السياح في فصل الصيف للتنزه

اما القسم الاسفل فانه الى جهة الجنوب وارضه جيدة منبسطة تكثر فيها المراعي والمروج الخضراء ويشتمل القسم الغربي من هذا القسم على جزر عديدة تتخللها مياه الاوقيانوس الاطلانتيكي النافذة الى مواطي الجبال ولذلك تكون في تلك الجهة عدد وافر من الخجان والاجوان اشهرها خليج سولوي وخليج كليد وجون ويفتون ولوس وعلى الشاطئ الشرقي يوجد

جوف سنكلير وخليج دورنتش وكروميرتي وموراي وسنت اندراوس وفورث . وتروي اراضيها عدة انهار وجداول اعظمها نهر إسبي وري واسك وتاي وفورث وكليد وتويد وامان وليدال . ومن ترعها ترعة كلاسكو الجامعة بين نهر كليد ونهر فورث وترعة كليد ونيال الجامعة بين خليج موراي والاوقيانوس الاطلانتيكي .

وعلى نهر فورث مشيد اكبر جسرور العالم يعرف بجسر فورث . وتكثر في جبالها معادن الحديد والرصاص والفحم الحجري وانواع الرخام وحجر البلور والحجر اليماني ونحوه وفيها ايضا المعامل والمصانع والصناعة في رواج عظيم لا سيما في القسم الاسفل وصناعة الالهين مشهورة في نسج الكتان والصوف .

وتقسم بلاد اسكوتلاندا باعتبار نظام الحكومة الى ٣٣ كونتية وعاصمتها مدينة ايدنبرج وهي على بعد ثلاثة كيلو مترات ويبلغ عدد سكانها مع ثغرها ليث القريب منها (٣٤٠٠٠٠) وهي بلدة بهيجة في موقع انيق تكتنفها الجبال الزرقاء وتحيط بها المياه من الاربعة جهات كالآطار وتعشي بناياتها الشاهقة المبنية من الحجر الصلب عدة نجوات متوازية وتخللها الاودية المشتملة على بيوت عديدة ورياض نضيرة وتنقسم البلد الى شطرين احدهما الشطر القديم والآخر الجديد

اما القديم فانه يشتمل على شوارع ضيقة مظلمة يتصاعد منها في الغالب دوايح كريهة تتكاثف فيها ديار عالية شاهقة تشتمل الدار على ١٢ طبقة بعضها فوق بعض اما الطرق الواسعة والمباني الانيقة فقد انحصرت جميعها في الشطر

الجديد وفيه كلية الطب الشهيرة باسم البلد والقبعة العظيمة المقام عليها تمثال
(ولتر سكوت) شاعر الاسكوتلانديين الشهير وتمثال (نيلسون) وقصر
عظيم كانت تسكنه (ماري استوارت) وغير ذلك من المباني العظيمة
والاثار القديمة

ومن امهات مدنها واشهرها مدينة جلاسكو وهي مشهورة بتجارتها
العظيمة ومعاملها الكثيرة لنسج الملابس وعمل المشروب المعروف بالويسكي
واصطناع الزجاج وهي ايضا من اعظم المدن في انشاء المراكب والآلات
من الحديد فالسائر في شوارعها اينما سار لا يجد سوى الاتين العديدة
المتأججة بالنيران المتصاعد منها الدخان ولا يسمع سوى طقطقة المطارق التي
يرتاح اهلها لسماعها اكثر من ارتياحهم لسماع العيدان من آلات الطرب
والمدينة في وضع انيق بيوتها مبنية من احجار صلبة وهوائها صاف يتخلله
نسيم البحر فينقيه من دخان معامل ويبلغ عدد سكانها الآن (٦٠٠٠٠٠)
نفس

ثم مدينة دندي معروفة بتجارتها في الاقمشة وعدد سكانها (١٥٨٠٠٠)
نفس وابردين مشهورة بمبانيها وقصورها المشيدة من حجارة الصوان
والتجارة رائجة فيها كثيرا

والاسكوتلانديون اصحاب مجد ودأب في الصنائع وقد بقى اكثرهم
محافظين على عاداتهم ورسومهم القديمة وهم اشد من الانكليز تحمسا في الدين
ويعرفون في التاريخ بما كان لهم من السطوة وشدة البأس واشهروا بمعلومتهم
العظيمة للرومان حين هجموا على بلادهم ورموا غزوها وكانت مساكنهم

اذ ذاك الجبال ومعيشتهم من الصيد والقنص وفي سنة ٨٣٩ هـ ض احد قوادهم المدعو كونت وحارب عشيرة البكت واخضعها وصار ملكا على اسكوتلاندا وكان هو اول من استولى عليها وقام بعده ملوك كثيرة ليس في تواريخهم شيء يستحق الذكر ثم وقعت البلاد في الحروب مع انكلترا حتى اذا قام جيمس الخامس ملكا بغضه الشعب في آخر ايامه وكرهه فشق عليه ذلك ----- فامات نفسه جوعاً وعطشاً وترك ابنة وهي ماري استوارت ويقال انها كانت اجمل نساء عصرها تهذبت في فرنسا فبرعت في العلوم والآداب واشتهرت بالكتابة والقصاحة والظرف وقد دعيت بعد موت ابيها ملكة على اسكوتلاندا بوكالة امها ولما بلغت السادسة عشرة من عمرها تزوجت بامير فرنسوي صار فيما بعد ملكا باسم فرنسيس الثاني ومات عنها بعد سنه ونصف فدعيت ماري الي اسكوتلاندا وتبوأ كرسى الملك المحفوظ لها بعد موت ابيها ثم اقترنت بابن عمها اللورد هنري دارنلي لمجرد جماله وكان يغار عليها من داوود الطلياني كاتب سرها فدخل عليها ذات ليلة من باب خفي ورآها منفردة به وهو يعزف لها بالقيشارة فقتله امامها عند الباب الخارجي ويرى في قصرها بايدنبرج صورته وصورتها وقد أثر عليها هذا الحادث فانتقمت من زوجها حيث اماتته في قصر ملغوم بالبارود واقترنت بعده باللورد بوسويل ولم تتدبر العواقب فاتهم هذا ايضا بالمشاركة في قتل زوجها ومن ذلك العهد حلّ البغض قلب شعبها وزاد على ذلك تمسكها بالمذهب الكاثوليكي بينما كان المذهب البروتستانتي يمتد في البلاد فخافت سوء العاقبة وكتبت الى ابنة عمها اليصابات ملكة انكلترا • لتسجير بحماها فاجابتها الى طلبها • وقال بعض المؤرخين انها كانت تحسدها

على جمالها ومحاسنها فاضمرت لها شرا والقتها في السجن مدة ١٨ سنة حيث
لقيت الضر والنكد ثم جنت عليها لما كان خير بسببها من الفتن والدسائس
وعلمت انه مادامت في قيد الحياة لاتزول الدسائس من البلاد فعمدت
مجلساً فحكم اعضاؤه بقتلها فثابت شر ميتة وهي صابرة متجلدة ولا يزال
الى الآن من شعرها الرقيق المنسجم قصائد غراميات ووداعيات ولا
يزال يتذكرها الكاثوليك الى يومنا هذا ويمدحونها لكونها ماتت في حماية
مذهبها . وقد وضعت وهي في معقل لوفيان باسكوتلاندا جس الاول
خلفها على اسكوتلاندا تحت اسم جيمس السادس ولما ماتت اليصابات
ملكة انكلترا ولم تترك لها خلفاً كان جيمس اقرب الناس الى ملك انكلترا
فصار ملكاً وانتقل من ايدنبرج الى لندن ومن ثم صارت المملكتان مملكة
واحدة وذلك سنة ١٧٠٦ وقد اشترط الاسكوتلانديون على هذا الانضمام
شروطاً كثيرة اهمها بقاء رسوم كنيستهم كما كانت ولا تزال اسكوتلاندا الى
ايامنا هذه خاضعة لانكلترا

ويجاور اسكوتلاندا في بحر يبق مضطرباً هائجاً في اكثر اوقات السنة
وفيه كثير من انواع السمك جزائر عدة منها جزائر هبريده وهي مأوى
لطيور البحر وجزائر اوركادا وهي مأوى الصيادين وجزائر شتلند ويسكنها
قوم ينتهي نسبهم بالنورثيجيين سكان نورثيج وجزيرة سكاي ورام وكول
ويتري ومول ولاي وبوت وجورا وارآن وغيرها

✧ جزيرة ايرلاندا ✧

IRLAND

أَوَّ أَيْرْلَنْدُو بالآيرلندي إرين اي الجزيرة الخضراء وهي إحدى الجزائر البريطانية . يحدها ويحيط بها من الشمال والغرب والجنوب الأوقيانوس الأطلانتيقي ويفصلها عن جزيرة بريطانيا من جهة الشرق البوغاز الشمالي والبحر الآيرلندي و بوغاز ماري جرجس .

وهي تقرب من القطر المصري اتساعاً تبلغ مساحتها (٣٠٤٠٠) ميل مربع ويبلغ عدد سكانها ١٩٠٣ ٤١٩٠٤ مع انه كان بالغاً ٨٠٠ ٢٠٠ ٨٠ في سنة ١٨٤٠

ويحدها بسواحل هذه الجزيرة كثير من الصخور الطباشيرية التي تحول دون سير السفن في الشرق ولكن فيها عدة السنة تلتجئ اليها سفن الصيادين على نور كثير من المنارات . وفيها ايضاً موانئ حسنة لارساء السفن كميناء بـتري وكورك وبلغاست ودنكل وسليكو وغيرها ويوجد على شاطئ البحر في الجهة الشمالية من الجزيرة اعمدة طبيعية قائم بعضها على بعض يبلغ ارتفاعها ٤٠٠ قدم تعرف باعمدة طريق الجبار . وفيها عدة سلاسل جبلية يتألف من بعضها مجتمعات منفردة قرب الساحل تنخفض بتوغلها في اواسط البلاد واكبرها جبال دونيغال في الشمال الغربي وجبال دون في الشمال الشرقي ثم جبال كري في الجنوب الشرقي وفي تاريخ هذه الجزيرة اخبار كثيرة عن تشقق اراضيها بفعل البراكين ومن معادنها الفحم الحجري

والنحاس والرصاص والفضة واللاتيون والحارصين والشب والحص اما الذهب فقليل جداً وبها مقاطع من الرخام وحجر البناء وفيها كثير من الينابيع المعدنية . واما كن كثيرة لطمر جذور النباتات وتبيسها في الشمس لاستعمالها لالوقود عوض للفحم والخطب .

واما انهارها فكثيرة اعظمها نهر شانون وهو ايضاً من اكبر انهار المملكة يبلغ طول مجراه (٢٥٠) ميلاً يمر ببحيرات كثيرة ثم يصب في المحيط الاطلانتيقي ونهر نبدون ولي وبلاكوتروبوين وليفي وسوير وبرووسلان وغيرها . ولها ثلاثة خلجان كبيرة وهي الخليج الكبير والخليج الملوكي وخليج توري . وفيها عدة بحيرات اعظمها بحيرة تويلي وفويل وبحيرة نياغ وهي في الجهة الشمالية الشرقية من اعظم بحيرات المملكة وتعد ايضاً من اعظم بحيرات اوروبا ثم بحيرة ارن وهي عبارة عن بحيرتين موصولتين بترعة وقد اشتهرت هذه البحيرات بصفو ماءها وحسن منظرها ولذلك يقصدها السياح في فصل الصيف للتنزه

اما هواء الجزيرة فمعتدل ولكن الرطوبة لا تنقطع من البلاد وهي تساعد النبات على النمو وتجعل النضارة دائمة بالمروج وبسبب ذلك تسمى هذه الجزيرة بآرن الخضراء او جزيرة الزبرجد . واما ارضها فعلى ثلاثة اقسام منها ما هو صخور جرداء وآجام ومستنقعات وهو عبارة عن ربعها ومنها ما هو قابل للحراسة وهو ربع آخر والباقي ارض مخلوطة من طين ورمال واكسيد الحديد . وتكثر فيها الحبوب والبطاطا واللفت والكتان والتوت الافرنكي وفيها كثير من انواع الخيول الصغيرة والبغال والحمير والماعز

والخنازير وكذلك كثير من الطيور الآهلة وتألف سواحلها الحيوانات البحرية الكبيرة .

وتقسم هذه الجزيرة باعتبار نظام الحكومة الى اربعة مقاطعات كبيرة وتقسم هذه المقاطعات الى ٣٢ كونتيه

(١) مقاطعة اولستر شمال الجزيرة واعظم مدنها بلفاست وفيها كثير من المعامل وهي مشهورة بصناعة التيل وتجارتها عظيمة واكثر سكان هذا الاقليم من البروتستانت واصولهم من الاسكوتلانديين المولعين بالصنائع .

(٢) مقاطعة لينستر شرق الجزيرة واعظم مدنها دبلين مركز اللورد حاكم الجزيرة يبلغ عدد سكانها (٤٠٠٠٠٠) وهي مدينة جميلة ومن الاسواق الانكليزية التي تباع فيها المواشي والمحصولات الزراعية وفيها مدارس حجة منها مدرسة الثالوث الاقدس الشهيرة ومكاتب وجمعيات خيرية وكثير من الابنية الفخيمة وفيها الاحياء الحديثة المنتظمة البناء مقام في احدها تمثال لوليم الثالث وعمود لتذكار نلسون وفي بعض منزهاتها وشوارعها تمثال لجورج الثاني ولا ليشرغولد سميت وغيرهم من الرجال العظام .

(٣) كنوت في الجهة الغربية من الجزيرة واعظم مدنها غلوه وهذه المقاطعة معروفة بمخسوبة ارضها وبمخسولاتها الزراعية وبجودة صوف اغنامها .

(٤) مونستر في الجنوب الغربي وفيها مدينة كورك الشهيرة بمدرستها

المنظمة وهي ميناء شهيرة وكذلك مدينة ليريك شهيرة بكثرة نسيجها
ويمما يعمل على سواحلها من المراكب وتصلها بدولين ترعة .
واهل إيرلاندا مشهورون بالخوة وشدة البأس واكثرهم من الكاثوليك
الرومانيين ومقدار الربع منهم بروتستانت يسكنون غالباً الجهة الشمالية من
الجزيرة

والجانب الأكبر من اراضي هذه الجزيرة ملك اكبرها ومعظم
الاهليين شركائهم واكثرهم فقراء وغير مستعيرين بالعلوم كسائر اهالي المملكة
البريطانية سيما الذين في الجهة الجنوبية من الجزيرة ولذلك يرحل منهم في كل
سنة عدد وافر الى اميركا واستراليا طلباً لاسباب المعيشة .

والصناعة ليست متقدمة في إيرلاندا كتقدمها في غيرها من المملكة
وفيهما يعمل انسجة الكتان والقطن والموصلنيا والعرق والبيره وغير ذلك
وفي إيرلاندا اربع كراسي اساقفة كاثوليك وهي في ارماغ ودولين
وكشل وتوام وكريسا اساقفة بروتستانية وهي في ارماغ ودولين

وقد استقلت هذه الجزيرة في اول امرها باحكامها زمناً طويلاً ثم
تبعت انكلترا تحت حكم هنري الثامن بعد المدافعة الشديدة عن استقلالها
وقبلت في المعاهدة مع القسمين الآخرين من المملكة سنة ١٨٠١ ولا تزال
لان جزءاً منها ولم تعد انكلترا اليها الاصلاح الا في عهد جيمس الاول .
ولكن المداوة قائمة في نفوس الأيرلنديين ضدها ويتمنون فصل بلادهم عنها
ويحاولون الاستقلال بشؤونهم ولما حدثت الثورة الانكليزية الشهيرة سنة
١٦٨٨ وخلع وقتئذ الملك واقيم على عرش انكلترا جده وليم الثالث

امير اورانج تظاهر الايرلنديون بالانحياز لاختصاصه الذين كانوا من الكاثوليك
وكان الانكليز الذين اقاموا وليم من البروتستانت فاشتدت العداوة بين
الامتين ولما ترعب وليم بيت الشهير دست الوزارة الانكليزية عمل على
الغاء المجلس الذي كان للايرلنديين وضمه الى انكلترا وقرر بان يكون عدد
الايرلنديين في البرلمان الانكليزي نحو ١٥ من النواب وثلاثين من
الاشراف وهكذا صارت البلاد مملكة واحدة عاصمتها لوندن بيد ان العداوة
ازدادت تمكناً في انفس الايرلنديين ضد الانكليز وصارت الحزازات تشتد
يوماً عن يوم حتى ثار الايرلنديون ثورة كبيرة في اكثر انحاء المعمورة واقاموا
عليهم رئيساً بارنل الخطيب الذائع الصيت فجمع حوله نحو مائة عضو من
اعضاء المجلس واخذ يجاهر بفصل بلاده عن حكومة انكلترا والانسلاخ عنها
وعظم في هذا الامر الجدل والنضال حتى كادت تؤدي الحال الى الحرب
ففصل الخلاف غلادستون الشهير بالائتحة سنة ١٨٨٥



— الباب الثاني —

CHAPTER II.

{ لندن }

— LONDON —

أو لندرا هي عاصمة بلاد الانكليز بل هي بابل هذه الايام ونيروي
هذا العصر ومشهد لاشتات عجائب الخليقة واعظم ما عمر الانسان واغرب
ما انتج الزمان

وهي واقعة في اربع كونيات مدلسكس في الشمال واسكس في الشرق
وسيرى في الجنوب وكنت في الجنوب الغربي وموقعها على جانبي نهر التيمس
وهو يخترقها من الغرب الى الشرق الى شطرين غير متكافئين . وقد كانت
في اول نشأتها قرية صغيرة مؤلفة من اكواخ حقيرة في جوار برجها المشهور
باسمها ولم تضم في اوائل هذا القرن اكثر من مليون نفساً تقريباً فارتقت
بمدة وجيزة الى العمران ارتقاءً سريعاً غريباً فاقت به مدن العلم قاطبةً
واصبحت وعدد سكانها ما ينيف عن الاربعة ملايين ونصف مليون نفس
ومساحتها لاتزال تزداد يوماً فيوماً فهي تقدر الآن بمائة وثلاثين ميلاً مربعاً
انكليزياً . وعلى ذلك وصفها احد المؤرخين بقوله : « لو مثّلت نتائج ارتقاء
البشر وتقدمهم لما كانت ادل على حالة العمران من هذه المدينة » . وهي
الآن مركز الاشغال العظيمة والمبايعات الجسيمة تمتد جميع اقطار الدنيا بما
يدخر فيها من السلع والبضائع والمهمات ولكن القادم اليها ينقبض صدره

من منظر مبانيها المتخضب عليها سواد دخان معاملها الذي يجعل منظرها حزيناً
كثيباً بجدران الأفران فتبدو به كأنها قديمة العهد وكأن أحقاداً من الدهر
صرت عليها

ومما يدعو الى الاندهاش الخطوط الحديدية التي تغطي ارضها فتذهب
في شوارعها العديدة المرصوفة بالأسفلت او المبلطة بالحشب المقطرن كل
مذهب وهي مشبكة بعضها ببعض كشبكة الصياد وعليها العربات والحوافل
تروح وتقدو والناس بينها يمدون ويمجرون للأعمال خيل الطراد

وتقسم لندن الى اقسام اهمها الجهة التي على شمال النهر وفيها الستي اي
المدينة وهي مركز الاشغال والأعمال فيها سراي الملكة والبرلمان ثم قسم
« ايسٲ لندن » وهناك سكن الاشراف والاعيان تكثر فيه الحدائق الفناء التي
تروق الناظر وتسرع الحاطر وتسطيع فيه انوار السعادة من الصروح الباسقة
الشاء التي تكاد تسد وجه الفضاء . وهي على اعجب طرز واتم بناء

ووسائط النقل في المدينة كثيرة متوفرة من اهمها « نهر التيمس »
River Thames وهو من اعظم الاسباب الميسرة لتجارتها وله عند اهلها
شأن عظيم ويقول بعض المؤلفين ان لولاه لما حصلت لندره على هذه
السعادة العظيمة والثروة الواسعة فترى فيه البواخر والزوارق تجري منحدره
وصاعدة والحوافل والعجلات والقطارات وعربات الترامواي تمر على غالب
جسوره وكلها مفعمة بالرجال والنساء فالحركة فيه تدهش البصر وتحير
الفكر وعلى الاخص عند ميناء حيث يرد اليها في كل سنة من جميع البلاد نحو
ثلاثين الف سفينة ويقدر بعضهم انه يبلغ عدد سكان النهر الذي يقيمون في

القوارب ثلاثمائة الف نفس وله نحو ٥٠ محطة على ضفتيه تمر بها البواخر ذهاباً وإياباً غير انه لما كانت حركة المدينة التجارية تفوق حد المتوسط اضطرب الشعب ان يني على النهر بعض الجسور على مسافات متباعدة متناسبة يتسنى بها للاهلين الوصول من فم الى آخر بكل سهولة وعجلة

واول جسر يراه القادم الى المدينة « جسر لوندرا » London Bridge « بديءً بانشائه عام ١٨٢٥ وكان الاحتفال بفتحه بعد ست سنوات خلون من يوم البداية به وقد بلغت نفقائه ٥٠٦٠٠٠ جنيه انكليزي ومن غريب ما في هذا الجسر صنع احكامه ودقه بنائه . ويكثر الازدحام عليه لحد لا يتصوره العقل وقد اقيم عليه تمثال للملك ولیم الرابع من الرخام . ثم جسر سوسوارك وقد بلغت نفقائه ٢٠٠٠٠٠ و ٢٠٠٠٠ فرنك والمار على هذا الجسر يدفع رسماً للشركة التي اقامته مقدار هني واحد (مائتان تقريباً) ان كان انساناً و ٦ بنس (٢٤ ملياً) ان كان عربة

ثم جسر بلاكفريارس « Blackfriars Bridge » وقد اقيم في سنة ١٦٧٠ باسم كبير وزراء الامة الانجليزية ولیم بيت الشهير عنواناً لاخلاص الشعب وولائه له ولذا يرى الرائي لوحاً من المعدن منقوشاً عليه جملة لاتينية هالك تعريبها « إنه في آخر يوم من شهر اكتوبر سنة ١٧٦٠ وفي بداية حكم الملك جورج الثالث وضع اللورد مايور محافظ المدينة اول حجر لهذا الجسر الذي امر بانشاءه المجلس البلدي وكان روبرت ملن مهندس البناء وقد اقيم تذكاراً للخلف وعنواناً على اخلاص المدينة للرجل الذي توصل بقوة عقله وثبات عزيمته وحسن طويته وصدق وطنيته لاعلاء كلفة الدولة البريطانية وتوطيئها

سلطتها ومد نفودها في اسيا وافريقيا واسريكا . . . الخ ، وقد اجمعت اصوات الشعب على تسمية هذا الجسر باسم وليم بيت ومع ظهور هذا اللوح جلياً على هذا الجسر فان الاسم المتعارف له هو جسر بلا كفيريارس وقد بلغت نفقته ١٥٢٠٠٠ جنيه انجليزي

ثم جسر واترلو Waterlow Bridge وقد بدى في بنائه عام ١٨١١ وصادف اتمامه في ١٨ يونيه سنة ١٨١٧ وهو يوم الاحتفال بتذكار واقعة واترلو الشهيرة . ولما كان الانجليز يطربون باسم تلك الواقعة ويحبون لذكراها اجمعت اراؤهم على تسمية هذا الجسر باسم جسر واترلو تخليداً لذكرا هذه الواقعة على ممر الاعوام وقد حضر الاحتفال بفتحه الدوق ولتزين وبلغت نفقاته مليون جنيه . وهو بديع الصنعة من اجمل جسور لندره والطفها منظراً واكثرها بهجة وبهاء ..

بيد انه لما كانت هذه الجسور العديدة المقامة على النهر غير كافية لسد ضرورات الحركة التجارية في المدينة اضطر الاهلون تسهيلاً للمواصلات بين ضفتيه وعدم مزاحمة السفن الواردة الى ميناء حفر طريق في الارض تحت النهر يصل بين الشاطئين ويبلغ طوله ٣٠٠ قدم وعرضه ٣٨ وارتفاعه ٢٢ قدماً ونصف قدم وهو منقسم الى قسمين احدهما لمرور عربات الاياب والآخر لعربات الذهاب وعلى جانب كل قسم رصيف لمرور المشاة وثنى سقته وهو الفاصل بين ماء النهر وجو النقب يبلغ ١٥ قدماً

واهم من هذا النقب واجل منه السكك الحديدية التي انشئت في بطن الارض تحت المدينة والغاية منها تسهيل المواصلات التجارية بنقل البضائع

والساع من طريق الى آخر ومن نقطة الى مثلها بعيدة عنها . وهذا العمل اكثر خطارةً واعظم نفعاً واكبر اهمية من غيره من الاعمال لانه يجمع بين جميع محطات سكك لندره الحديدية التي تتفرع الى جميع جهات المملكة . وطول هذه السكك الباطنية ٦٢٤٠ مترا وبها ٣٥٠ وابورا تجري عليها في اليوم الواحد . وقد بلغت نفقات انشائها ٣٢ مليون فرنك و ٥٠٠ الف . وبلغ عدد الركاب فيها في السنة الواحدة ٣٠ مليوناً من النفوس وبلغ دخلها مساهمة من سبعة الى ثمانية ملايين من الفرنكات وقد ثبت بالاحصاء ان انشاء تلك السكك الحديدية قد ضاعف الحركة التجارية بلوندره حيث سهل للاهلين ان ينتقلوا من جهة الى غيرها بكل سرعة وبقليل من المال حتى اصبحت لوندن بمثابة الحركة والانتقال مدينه لوندن على وجه الارض ولندن في باطن الارض

اما «الستي» «City» اي «المدينة» فانها واقعه في القسم الذي على شمال النهر وهي روح تجارة لندن ومركز اشغالها واعمالها ففيها البنك والكمرك والبوسطة والمحاكم وديوان اللورد حاكم البلد ومطبعة التيمس وكل الاماكن التجارية والمعامل الكبرى وليس في هذا الخط ادنى شيء يبسط النفس حتى ان ظاهر حوانيته ومخازنه ليس بالشيء الذي يذكر ولا يكاد يصدق ان فيها من السلع والمهمات ما يساوي القناطير المقنطره وان اصحابها هم اعيان تجار الارض . وهي تحتوي على ٦٥٠٠ دار معظمها او كلها مكاتب تجار ومخازن وحوانيت . ويقدر عدد الذين يشتغلون فيها نهاراً نحو ٢٧٠ الف نفس والذين يبقون فيها ليلاً ٣٠ الف نفس . ويدخلها في اليوم نحو ٨٠٠ الف نفس

من المشاهد ٨٠ ألف من المركبات

وتبتدي حركة العمل فيها من الساعة ٧ صباحاً فتعصر اذ ذاك المسالك
بالخوافل والحجلات . وتزدحم المناكب بالمناكب وتشتد حركة الاعمال
فالقادم اذ ذاك الى تلك الانحاء يقف موقف الحائر اذ يرى الشيوخ والعلماء
في النشاط والاستعداد متساويين وكل انسان فيه يحدث نفسه فيما يباشره
من الاعمال فلا لهو ولا فراغ وبالجمله فلا شيء ادل في العالم على عظم
الاعمال والجد والاشغال وكثرة الاخذ والعطاء وحركة البيع والشراء من
هذا الخط

على ان السائر في شوارع هذا المصقع يكون هدفاً للخطر ويرى من نفسه
انقباضاً لا ينبغي عنه الا متى بلغ نهايته عند شارع اكسفورد ستريت من ناحية
الشمال وهو من اعظم شوارع لندن واطول شوارع الارض ويليه شارع ويجنت
ستريت وفيه الدكاكين البهية والمخازن العظيمة مما يجعله من اسواق الارض
الشهيرة ومنها شارع ستراند وهو في منتصف مدينة لندن وبين قسم التي
والمساكن العظيمة وتكثر فيه حركة الانتقال الى حد لا مثيل له الا ان يكون
حوالي بنك لندن والسترند هذا والشارع الذي يليه فليت ستريت مع الشوارع
الصغرى التي تتفرع منها مركز الحركات العلمية وادارات الجرائد ووكلاء
الشركات الكبرى في لندن . وقل ان تجد ادارة جريدة في غير
هذين الشارعين وبلي ستراند ويجنت ستريت في الشهيرة شارع
الملكة فيكتوريا وشارع كانون وشارع تسيبيسيد وهي اعظم شوارع الاشغال
في لندن وتبلغ شوارع لندن وحدها ٧٨٠٠ شارع طولها لا يقل

عن ٣ الاف ميل اذا اتصلت اطرافها طرفاً بطرف بلغ مجموع طولها قدر ما بين لندن وبطرسبرج من المسافة وهي مع ذلك ضيقة وقليلة لاتكاد تفي لمرور المشاة والركاب والحيل والمركبات ينفق في سبيل تطويلها وتوسيعها وتنظيمها الاموال الطائلة وخصوصاً في فتح الشوارع الجديدة فقد اشترت الحكومة داراً واحدة بخمسمائة الف جنيه ثم هدمتها لفتح شارع صغير يسمى شارع نرثميرلند واشترت ايضاً مرة فدان ارض بتسع مئة الف جنيه لفتح شارع جديد وهكذا فان المدينة في ازدياد مستمر يبنى فيها في كل برهة من الوقت مكان جديد حتى صارت بيوتها تقدر بسبعماية الف بيت كما ان معدل زيادة اهلها اليومية ثلثاية نفس . وقد جمعت نصف اغنياء الانكايير وجمعت من الكاثوليك اكثر مما في رومة ومن اليهود اكثر مما في فلسطين وسوريا ومن الايرلنديين اكثر مما في دبلين عاصمة ايرلاندا ومن الاسكوتلانديين اكثر مما في ادنبرج عاصمة اسكوتلاندا . وفيها اكثر من الف مكتب للبريد يدير اعمالها اكثر من ١٣ الف مستخدم و ٣٠٠ مكتب للتلغراف وأكثر من مئة محل للتليفون معدة للجمهور باجرة طعيفة ونحو ٨٠ مسرحاً للتمثيل و ٥٠٠ قاعة يحضر فيها كل ليلة نحو ٣٠٠ الف نفس لرؤية التمثيل والغناء وفيها نحو ٥٠٠ فندق

وشركات المدينة كثيرة لاتعد ولا تحصى ويندران يوجد في الارض برمتها عمل خطير الا وتعقد له فيها شركة ويبلغ ربح هذه الشركات سنوياً نحو ٢٠ مليون جنيه

«بنك لندن» London Bank

ومن ظرائف اعمال الانسان في هذه المدينة البنك المشهور باسمها وهو ايضاً من اعظم مصارف الارض انشئ سنة ١٦٩٤ في عهد وليم الرابع وكان اعظم الاسباب في انشائه ايجاد المال لمداومة الحرب مع فرنسا . فتهافت الناس على الاكتتاب في كل رأس ماله بعد اعلان فتحه بمشرة ايام . وكانت الصرافة قبل فتح هذا المصرف في لندن بيد اليهود فلم يمض عليه القليل من الزمن حتى صار محور المعاملة بين العالم ومستودع اموال العظماء والماليين ومرجع اكابر التجار من كل صقع وناد . وهو بناء هائل منظره الظاهري مظلم يشغل من الارض مساحة ٤ افدنه في موقع هو مركز الحركة الهائلة والزحام الغريب المشهور عن لندن . وفي احدى قاعاته ساعة كبيرة غريبة الصنعة يتفرع منها ستة عشر ساعة خلافاً متفرقة في انحاء من الساعة الكبيرة وفيه عدة ادوات لفرز النقود وكلها تزن الدينار وترمي الجيد في صندوق والزائف في صندوق آخر . ولخزينته محل حصين محاط بالماء حذراً من الحريق ويخفزه الجند ليلاً مع بعض الموظفين .

وقد قاسى هذا البنك في بدء نشأته خسارة فادحة من التزوير بلغت عشرين مليوناً من الجنيهات ولكنها انقطعت الآن وبطل التزوير بعد اختراع مطبعته والحبر الخاص والاوراق التي لا يتسنى للمزورين تقليدها . ويقسم البنك الى ثلاثة اقسام تتبع كلها المدير العام . اولها قسم الدين ثانياً قسم الصرف ثالثاً قسم الادارة وتديره لجنة مؤلفة من اربعة وعشرين

عضواً من اصحاب الاموال يبلغ راتب رئيسها سنوياً ٥٠٠٠٠٠ جنيه ورئيسه ١٥٠٠٠ جنيه وكل عضو من اعضاء اللجنة ٥٠٠٠ جنيه . وفيه نحو الف ومئة مستخدم ويزيد مجموع رواتبهم عن ثمانية الف جنيه في العام وللمتقاعدين الذين قضوا زمناً في خدمته نحو خمسين الف جنيه في العام . وهو يصدر كل اسبوع اوراق مالية بقيمة ٢٤ مليون جنيه ويبلغ رأس ماله نحو ٧٥ مليون جنيه

وفي لوندرا المباني العظيمة القديمة العهد والقصور الفخيمة الشاهقة المبنية على اعجب طرز واتم بناء ودور التحف الطاخة بالآثار والكنوز التي لا تقدر بثمن والحدائق والمعارض وغير ذلك كثير مما لا يتيسر استيفاء وصفه وشرحه تماماً وانما نذكر القليل منها الشهير حرصاً على فائدة الكتاب:

« المتحف البريطاني British Museum »

او (برتش ميوزيوم) فهو بلا غلو ولا اطراء اعظم متاحف الدنيا بل هو معرض العلوم والفنون والصنائع والمتحف الغريبة والسبب في نشأته في سنة ١٧٥٣ ان رجلاً من اعيان الانجليز يدعي (هافس سكوت) اوصى قبل وفاته بعشرين الف جنيه ليشتري بها تحفاً واثاراً ووهب ايضاً مكتبته تشتمل على ٥٠ الف مجلد من طبع وخط وكثير من المسكوكات القديمة والعاديات تكريماً منه ورغبة في ان تعرض في مقام خاص للنفع العام فاهتم من ذلك العهد مجلس الشورى بابتناء محل نخيم يليق بعرضها وجمع ٣٠٠٠٠٠٠ جنيه لهذا القصد . وقد استأد العمل في هذا المتحف سنة ١٨١٣ وانتهى ١٨٥١ وهو

من اعظم المباني القديمة فيه رواق كبير قائم على ٤٤ عمود وقد اخذت محتوياته تزيد من يوم ابتناؤه للآن بالابتياح والهبات حتي اشتملت على الكتب النادرة والنحف والكنوز التي لا تثنى بمال ولا يكاد يكون لها مثيل في العالم . وهو يقسم الى قسمين عظيمين احدهما دائرة المكتبة وتتبعها قاعة المطالعة . والثاني دائرة الآثار القديمة ويتبعها قسم الصور والرسوم والمعادن والنباتات ولكل دائرة ناظر وعدة مستخدمين .

اما المكتبة فهي في الطابق الاسفل من البناء تبلغ جملة الكتب المحرزة فيها زهاء المليونى مجلد . واعظم موضع فيها هو ما وقفه الملك جورج الرابع ويبلغ ثمنه ١٣٠٠٠٠ جنيه . وفيه توراة قديمة العهد طبعت في سنة ١٤٨٠ واول نسخة طبعت من اشعار اوميروس في فلورانس سنة ١٤٨٨ . ونسخة من اشعار فرجيل . وكتاب صلوات للملكة الیصابات غشاؤه من صنع الابرار عمل يدها

وفي المكتبة نحو ٤٠٠٠ مجلد من الكتب العربية . فيها نسخة من القرآن الشريف . وتاريخ ابن خلدون . ومدح الشیء وذمه للجاحظ . والنوابغ للزمخشري . والمقتطف . وغيرها من الكتب النادرة الوجود . وقد اشتملت على مقدار من الكتب العبرانية اكثر مما يوجد في العالم بأسره . وقد بنى فيها تسهيلاً للمطالعة والدرس والمراجعة قاعة كبيرة بلغت نفقاتها مئة وخمسين الف جنيه ويمكن ان يجلس فيها نحو ٣٦٠ شخصاً وفي وسطها كرسي عال يجلس عليه وكيلها وامامه ٤٠٠ مجلد تقريباً ميين فيها فهرس الكتب . فمن اراد كتاباً يكتب اسم الكتاب ونمرة الكرسي الذي هو فيه ونمرة الطاولة

ويضعها في سبت خصص لهذه الغاية فلا يمضي الا القليل حتى يأتيه الخادم
بمطلوبه ولا يجوز الدخول في هذه القاعة الا لمن تجاوز عمره الواحد
وعشرين سنة ولا يقبل احد بدون ورقة الاذن ولا يسوغ لاحد ان
ينسخ كتاباً منها برمته ولا ان يستصحبه معه . وتضاء القاعة ليلاً بالنور
التكهربائي اما دائرة الآثار ففيها سيف كان يتقلده كرمويل الشهير وتمثال
للشاعر شكسبير وجثة الحصان الذي كان يركبه نابوليون الاول وفيها كثير
من المسكوكات القديمة والآثار المصرية والاشورية واليونانية والرومانية
وبقية الطوائف القديمة

اما قاعة الحلي والجواهر والذخائر والنقود فقد اشتملت على ما يندر
وجوده في العالم بأسره ولا يدخلها الزائر الا بعد ان يكتب اسمه ومحل اقامته
ومما فيها النقود التي ضربت على عهد هارون الرشيد بالخط الكوفي . وفرد
مرصع بالحجارة الكريمة اخذه الملك بطرس من قائد الجيوش التركية في بحر
الجزر ثم انتقل الى لوندرا . ويعتني الانجليز بهذه الآثار اعتناء عظيماً يفوق حد
الوصف .

وهو متحف الصور الوطني

(ناشونال جالري) « National Gallery »

بلغت نفقته نحو ٩٦٠٠٠ جنيه . ويفد اليه في السنة ستمائة الف نفس
تقريباً وهو معرض الصور البديعة من احسن ما ابتدعه المصورون منها
ما اتصل اليه بالهبة ومنها ما ابتاعته الحكومة باثمان عظيمة . فمن ذلك ٧٠٠٠٠
جنيه دفعها ثمن صورة السيدة العذراء من تصوير روفائيل المصور الشهير .

و ٥٠ الف جنيه ثمن ٣ صور و ١٧ الف جنيه ثمن صورة الملك تشارلس الاول . و ١٤ الف جنيه ثمن صورة عائلة داريوس ومن اشهر واجمل صور هذا الرواق صورة تمثل الزهرة عارية بحضرة اله الحب الذي يقرأ في درج بيد عطارد الواقف على يمينها ثم صورة باخوس اله الخمر واريادن الجميلة وغير ذلك من الصور البهية العظيمة البالغة حد الاتقان والكمال

(متحف سوٲ كنسٲتن) (South Kensington)

وهو من اعظم واشهر المتاحف يهتم به ديوان المعارف فيصرف عليه سنوياً نحو نصف مليون جنيه عدا ما يتصل اليه من الهدايا والهبات وهو يقسم الى ستة اقسام :

القسم الاول وهو ما يحتوي على مصوغات الزينة والزخرفة التي صنعت في كل زمان ومكان على اشكال وضروب شتى كتيجان واقراط وخواتم وقلائد مرصعة باحجار كريمة من ياقوت وزمرد والماس فمصنوعات ذهبية او نحاسية منفضضة او مرصعة بقطع كبيرة من الزجاج التي تزري بالجوهر وفي هذا القسم ايضاً مجموعة وافرة من الآنية الخزفية بين رومانية ويونانية واسبانية وعربية الخ . الا ان اشهرها واتقنها الآنية الصينية واليابانية . وفيه ايضاً ما لا يعد ولا يحصى من المصنوعات الشرقية كالدرع والتروس والسيوف والحراب وكلها مودعة في خزائن خاصة بها ويشتمل كذلك على كثير من النقوش والانصاب والزخارف المشهورة وتمائيل الصنائع المشهورين كروفايل وميخائيل وانجلو . وتمائيل آلهة الرومان واليونان وغير ذلك .

وتجاور هذا المتحف دار كبيرة تعرض فيها المصنوعات الهندية الفاخرة يوفر

عظيم وبجانب هذه الدار دار اخرى تعرض فيها الهدايا التي اهديت الى ولي العهد وزوجته وهي تبلغ ألفاً وخمسمائة هدية عظيمة بين خواتم واساور وعقود وقلائد ومراوح وكثير مما يتعذر وصفه ويطول شرحه . واما الخمسة اقسام الباقية ففي الاول مدرسة لفن التعليم وفي الثاني مدرسة لتعليم النقش والتصوير وفي الثالث مكتبة للعلوم . وفي الرابع مكتبة للفنون . واما الخامس فقد جعل معرضاً للصور ولا سيما ما صور مصورو الانجليز .

﴿ القصر البلوري . chrystal Palace ﴾

وهو على بعد اميال من المدينة يذهب اليه بالسكة الحديد باجرة زهيدة ويسير اليه قطار كل نصف ساعة . وكان في بدء نشأته مركزاً للمعرض ل لندن العام سنة ١٨٥١ ثم نقل الى حيث هو الآن على ربوة مرتفعة وبنى له روض انيق فبلغت نفقتهم معاً نحو مليون ونصف من الجنيهات وهو على احسن اسلوب فائق الصنعة والاتقان مواده كلها من الحديد والزجاج جامع لاشتات عجائب الطبيعة والآثار الغريبة ويحتوي على كثير من الاروقة والغرف والمقاصير وكثير من الدور الرحبية الفسيحة المشتملة على صناعة وآثار كل زمان ومكان . فمن ذلك الدار المصرية على شكل دور قدماء المصريين وعلى جدرانها وعمدها الكتابة الهيروغليفية ومثال النقوش المصرية وفيها تماثيل الفراغة ومدافنهم وكلها على ابداع شكل واتم تقليد . ثم الدار اليونانية وهي تشتمل على الاشكال الطبيعية الجميلة البهية كتمثال الزهرة الهة الجمال وتماثيل فطاحل شعراء اليونان وغير ذلك من الانصاب البالغة اقصى درجات الجمال

والآتقان . ثم الدار الرومانية وهي تمثل ابداع ما كان يتباهى به الرومان من زخرفة وتزويق وتشتمل على تماثيل آلهتهم وقياصرتهم الخ .

ثم الدار العربية وهي على نحو ابنية العرب فائقة الصنعة والتأنيق فتتمثل حمراء غرناطة بالأندلس وما كان فيها من كتابات الخط الكوفي وعلى عمدتها وجدرانها مرسومة آيات القرآن الكريمه . وفي هذه الدار تمثل صناعة النقش البهيه وطرق طلي البيوت وتمويهها بالذهب وفي القصر ايضاً دار تمثل الصينيين وصناعاتهم والمكثرين منهم من تعاطي الافيون وتأثيره في مناظرهم وعقولهم كل هذا بتماثيل من الشمع غريبة الصنعة ثم ان في القصر ايضاً دور عديدة لصناعة الاوروبيين . ثم معرض للوحوش والطيور وآخر للصور المعروضة للبيع وفيه ايضاً دار لبيع التحف والبضائع . ومحل للتمثيل ويسع الفئ نفس وعلى جانبيه رواقان يسع كل منهما آلاف نفس ويجلس فيهما الناس لاستماع الانغام . وفيه ايضاً عدة مطاعم ومعامل ومطابع ومكاتب وكل ما جادت به الطبيعة وابتدعته الصناعة من آثار القدماء والمحدثين وبدائع المشاركة والمغاربة مما لا يستطاع تفصيله الا بشرح واف واسهاب زائد

« البج London Tower »

« ويسمى تور اوف لندن » وهو واقع على شطرنهر التيمس * بني على ايام وليم الظافر عند ما زحف على المدينة (راجع باب التاريخ) واحب ان يسلك بالرعية بطريق الرفق ولكن اذ رأى نشوز الكثيرين عدل الى القوة والقساوة وبطش بذوى الفساد والعدوان ونزع السلاح من ايدي السكان وشاد القلاع

والابراج ارهاباً لهم وخلصاً لقلوبهم فكان من جملة ما بناه هذا البرج وفيه حصلت حوادث تاريخيه فظيعة نشأ أغلبها عن الظلم والجور ومنظر هذا البرج كثيب اسودت جدرانہ وتقشرت من مرور الايام وتأكلت ارضه من كثرة الوطء بالاقدام .

وله اربعة ابواب وهي : باب الحديد . باب الماء . باب الخائنين . ثم الباب الاسود . وهو حصن للمدينة وسجن لعقاب الخائنين من الدولة . وساحة لقتل من هبطوا من اسنى درجات المجد والسعادة الى احط درجات الحسف والهوان ومدفن لكثير من الملوك والرجال العظام فهناك ترى مدفن الملكة حنة بولين والملكة كاترين هوار وكلتاها من نساء الملك هنري الثامن كانتا فقيرتين فاحبهما لفرط جمالهما (راجع باب التاريخ) واعلاهما مقاما شامخاً حتى تزوجهما ثم حكم بقتلهما وقد قتل في هذا البرج هنري الخامس وادورد الخامس وسجن فيه يوحنا الصالح ملك فرنسا وهنري السادس ملك انجلترا والملكة مريم ملكة سكوتلاندا باصر من اختها الملكة اليصابات (راجع باب التاريخ) وغيرهم من الملوك والعظماء . وهو ايضاً متحف للجواهر وخزانة لادوات الحرب والجلاد التي كانت تستعمل قديماً وهي موضوعة بدواليب متينة من الزجاج . ففيه تاج يقال له تاج سانت ادورد صنع لتتويج كارلوس الثاني ثم توارثته جميع الملوك من بعده وهو التاج الذي يضعه رئيس الاساقفة على رأس الملك عند تتويجه ثم يرد الى البرج . ومن اعظم للنحف المودوعة فيه تاج الملكة فيكتوريا صنع سنة ١٨٣٨ وهو اثنى واعظم تاج في الدنيا على شكل طربوش من القطيفة الحمراء يحيط به اطار من الفضة رصعت

ويعلو حاشيته العليا مائة واثنى عشرة أولوة وحاشيته السفلى مائة وتسعة وعشرون أولوة وباء لهما حجر من الزبرجد حوله دائرة من حجارة الالماس . وازدانت جوانبه بثلاثة زبرجدات وثمانية زمردات تحيط بها حجار كثيرة من الالماس و صليب من الذهب مالمطى الشكل في مقدمته ياقوتة حمراء كبيرة كالبيضة الصغيرة تساوي خمسين الف ليرة وفي اعالي التاج دائرة زنبق من الالماس وورق السنديان تغللها اثمار من الاولؤ . ويقال ان جملة ما في هذا التاج من الاحجار الكريمة ٢٠٧٨٣ وبلغ ثمنه ١١٢٠٧٦٠ جنيه

ومودعاً ايضاً في هذا البرج تاج زوج الملكة وهو مصصع بالدر والالماس وكذلك تاج ابنها ولي العهد . ثم صولجان الملك وعليه تفاحة مرصعة بالياقوت والزمرد والالماس ويبلغ طوله قدمان وتسعة اصابع . وفيه ايضاً كثير من الاواني الذهبية التي تعرض يوم تتويج الملك والملكة . كركاب من الذهب ووعاء للماء المبارك وطشت فضه مذهب يستعمل للعمودية ولي العهد وغير ذلك من النفائس والجواهر التي يطول شرحها

ومما يدعو الى الاستغراب ان هذه الجواهر والذخائر واحجار الالماس والياقوت والاواني والوسامات والسيوف المرصعة بالاحجار الكريمة التي تقدر بثلاثة ملايين من الجنيهات مودوعة كلها في غرفة كثيفة المنظر سوداء الحيطان مراعاةً لتقديم عوائد الانكليز واعتباراً الى ان البرج التي فيه اشهر ما بقي من قديم آثارهم

ورسم الدخول لهذا البرج شلين واحد .

وهي من الاماكن الشهيرة في لوندريه

« رجة ترافالغار Trafalgar square »

سميت بهذا الاسم تذكراً للواقعة الشهيرة التي انتصر فيها الانجليز على الاسطول الاسبانيولي والفرنسوي بقيادة الاميرال نيلسون امير البحر وقد اقاموا له في هذه الساحة تمثالاً طوله ٤٠ قدماً على عمود من المرمر يبلغ ارتفاعه ١٧٦ قدماً بلغت نفقاته ٤٥ الف جنيه وقاعدة العمود مزينة بنقوش مسبوكة من المدافع الفرنسية التي غنمتها وكلها تمثل الوقائع الشهيرة التي ظفر بها وكتب على العمود الجملة الاخيرة التي نطق بها يستنهض جنوده وهو على آخر رمق من الحياة

« ان انجلترا تؤمل من كل انسان ان يقضي الواجب عليه »

واقم ايضاً حول العمود اربعة اسود من صنع البرنز وفوارتان يتدفق منهما الماء امامهما تمثال تشارلس الاول . وفي هذه الرجة ايضاً تمثال لغوردون باشا . وتمثال للملك جورج الرابع وتمثيل واعمة اخرى كثيرة . والغياض في لندن كثيرة اشهرها

(غيضة هيد پارك Hyde Park)

وهي رجة الانحاء متسعة الارحاء تبلغ مساحتها ٨٧ فداناً يسكن بجاوره كبار المدينة واعيانها فيها تسعة ابواب كبيرة لمرور المركبات على الاول قوس نصر من الرخام الابيض مزدان بالنقوش والرسوم الجميلة بلغت نفقتها ثمانية الف جنيه كانت اولاً في غيضة سان جيمس ثم نقلت اليها . وفي الغيضة قوس اخرى بلغت نفقتها ١٨٠٦٩ جنيه . وتمثال للبرنس البرت زوج الملكة م

البرنث المذهب بلغت نفقته مئة وعشرين ألف جنيه جمع نصفها بالاكتساب من الاهالي . وعلى القاعدة المقام عليها ١٩٦ صورة من المرصرت مثل اعظم العلماء والشعراء والمصورين والمغنين الخ . . وهذه الفيضة من اعظم منتزهات لندن ففيها الاشجار المظلة التي تنطح بعلوها الغمام غرست اكثرها على ايام هنري الثامن . والازهار الجميلة التي تشرح الخاطر وتسر الناظر عند كل زهره ورقه مكتوب عليها اسمها . وتظل ارضها في اكثر الاوقات مفروشة ببساط اخضر سندي في وسطها بحيرة ماء تجري فيها المياه كالفضة تحتاطها الاشجار والازهار ويطيب قلب العليل باعتلال هواءها ويكون منظرها في ايام الآحاد بهياً انيقاً فتكثر فيها الخطباء ويتزاحم حولهم الجماهير الغفيرة وتهافت اليها الاعيان والعظماء في احسن المركوب والملبوس وتخطر فيها ربات الجمال وذوات الحسن والدلال بقدود هيفاء تميل كالاغصان اذا حركتها يد الهواء باثواب فاخرة وزينات باهرة

وتتلو هيد بارك حديقة (سان جيمس St James Park) وهي متصلة بها وبقصر الملكة ثم جنائن كنسنتن . Kingston Garden وكاترين بارك Catherine Park (وريجنيت بارك) Regent Park وهما من الحدائق الارض العمومية الكثيرة الزخارف وانواع الزهور الملونة ولكنهما دون هيد بارك في الاتساع .

اما حديقة الحيوانات المعروفة باسم (زولوجيال جاردن Zoological Garden) فقد اشتملت على انواع الوحوش والطيور المجلوبة من كل ناحية في الارض واغلبها مقدم هدايا من

الشعب مما وصلت اليه ايديهم . واحسن وقت تتمثل فيه للنظر حينما يقدم لها غذاءها فتندفع اليه بسرعة غريبة

ورسم الدخول الى هذه الحديقة شلين واحد في ايام الاحد والايام المخصصة للاعلانات ونصف شلين في بقية الايام . ويدخل فيها حديقة النبات وهي روضة فيحاء وغيضة غناء تشمل على مختلف الازهار وانواع النبات ويتابها اهل الثروة وربات الجمال لترويح النفس وتنزيه الطرف ويمضي كبراء الانجليز واغنيائهم بعض اوقات الفراغ في منتديات خصوصيه تعرف بالكاوب . وهي ديار رحيبه في غاية الزخرفه والاتقان منها ماهو للرجال ومنها ماهو للنساء ويجتمعون فيها للمذاكره والمناذمة والمطالعة والاكل والشرب ويشتمل اكثرها على جميع جرائد العالم تقريباً ولا يتابها غريب الا بصحبة البعض من اعضاؤها واعظم منتدي في لندن هو الخاص بفن التشخيص وفنون الآداب ورئيسه ولي عهد الملكة

وفيها منتديات للمصورين والمحامين والاحرار والمحافظين والمنتخرجين من مدرسة اكسفورد ومن مدرسة كبريدج وبالجملة للاصدقاء المتشابهي المشرب . وعلى كل منتدي ان يعقد وليمة سنوية ويدعو اليها اعضاء المنتديات الاخرى . اما رسوم دخولها فانها متنوعة ولكنها ليست اقل من خمسة جنيهات سنوياً عدا بعض المصاريف

(قصر سان جيمس St James Palace)

من اشهر مباني لوندون وهو قديم البنيان لا يستعمل الا للمقابلات الرسمية بني في ايام هنري الثامن وفيه يبعه يقام فيها الصلاة ايام الاحاد بحضور الملكة

واعاظم المملكة وكانت مقابلة الملكة الرسمية في هذا القصر ولكن بعد موت
البرنس البرت زوجها لم تعد تقابل فيه سوى الرجال وتقابل النساء في قصر
«بوكنهام . Buckingham Palace» وهذا القصر مبني بجانب حديقة سان
جيمس وفي الدور الاعلى منه القاعة المحفوظ فيها العرش الملوكي ممثل في سقفها
حرب الوردتين الشهيرة

ومن القصور المعروفة بوقائعها التاريخية

(قصر ويت هول Whitehall Palace)

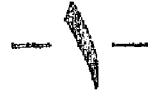
وهو القصر الذي اعدم فيه تشارلس الاول ثم قصر كنسنتن
Kingston Palace وقصر نشن هوس Nachen House وهو القصر
الذي يسكن فيه اللورد امير المدينة

ومن اكبر مباني لوندرا بناء وستمنستر Westminster Palace وهو
محل البرلمان يجتمع فيه مجلس الاعيان ومجلس النواب وقد انفقت على هذا
القصر الى هذا العهد النفقات الطائلة لتجديده واصلاحه من وقت لاخر وفيها
نحو الالف ومئة مقصورة بين كبيرة وصغيرة واحدى عشر ساحة مكشوفة
وثلاثة ابراج عظيمة وكثير من الاروقة الكبيرة والاعمدة الفاخرة . وفيه
الايوان الكبير الشهير بحوادثه التاريخية حيث كان يجتمع البرلمان الانجليزى
القديم . وفيه قتل كثير من الملوك كادوربد الثاني وريتشرد الثاني . وفيه لقب
كرمويل الشهير بحامي حى جمهورية انجلترا ثم شهر رأسه فوق سطح هذا
الايوان وفيه الآن كثير من تماثيل الملوك والاسراء وصور الحوادث التاريخية
والنقوش والزخارف ودلائل المجد وما يمثل مظاهر الابهة والفخامة .

يرى القاريُّ أنما اتينا في هذا الباب على وصف موجز للصروح الفاخرة
والمباني السنية والآثار العظيمة مما حوته مدينة لوندرة الواسعة الأطراف
الشاسعة الأرجاء مأوى كبار التجار وذوي السعة واليسار وكعبة السياح
ومعهد اصحاب جلائل الاعمال وما هذا لوصف وما تلك الآثار الا نذير يسير
من كل كبير لا يسع القلم حصره ولا وصفه وانما اتينا على ذكره لنبين للقاريُّ
صورة حقيقة تصدق على هذه المدينة العظيمة (



الفصل الثالث



(قدماء البريطانيين)

CHAPTER III.

— 1 —

(The Ancient Britons)

يذهب المؤرخون الثقة الى أنَّ العنصر البريطاني تألف من أُمم مختلفة وطئت ارض الجزائر البريطانية في اوقات مجهولة قبل ميلاد المسيح وعمرت بقاعاً كانت لدي الاقدمين مهجورة اخص تلك الاعم قومٌ من الكلتين المتصل نسبهم بجومار اكبر اولاد يافت هاجروا من نواحي بكتريان من الشرق فوفدوا الى اليونان وايطاليا وتقدموا في شمالي غاليا (فرانس) حتى اشرفوا على المحيط الاطلانتيكي فبحروا في عرض البحر واجتاز فريق منهم الخليج الفاصل جزيرة بريطانيا من قارة اوروبا عليهم يدفعون الى بلاد كريمة الارض يوسعون دائرة متجرهم فيها او يفتصبونها ويستعمرونها . فلما استقرت اقدامهم في ارض الجزائر البريطانية ووجدوها خالية من السكان طاب لهم استيطانها فاستعمروها ثم اقتنى أثرهم بحراً قوم من البلج من شمالي فرنسا واختلطوا بهم فعملوهم اصطناع الخبز وكثيراً من الاصول الزراعية . واقتبسوا صفاتهم وتطبعوا بطباعهم الشجاعة وشدة البأس .

وكانت عاداتهم في بدء الامر وحشية بدوية . اطعمتهم من البان
الحيوانات ولحومها وتارة من الحضر او نوع من غلال ينبت في غاباتهم
فيدخرونه في شقوق الصخور . وكانت مساكنهم اكواخا حقيرة من اغصان
الاشجار وطين الارض وملبسهم في الشتاء من جلد الوحوش الضارية وفي
الصيف يقون عراة ينقشون على اجسامهم اشكالا واشباحا غريبة من عصير
نبات ازرق يسمى (وود) كانوا يتباهون بنقشها ظنا انها تكسبهم الهيبة
والوقار في الحرب ويطوقون اعناقهم بسلاسل من الفضة والذهب

اما اسلحتهم المشهورة فكانت القوس والرمح والنشاب والبلطات
والحراب الكبيرة الغير المدببة ولم يكن لهم بالملاحه اذن اهتمام بل كانت
مراكبهم وقواربهم من الجدل المغطى بالجلد او من شجر مجوف كالمرآكب الهندية .
وما كانوا يحلون مكانا مخصوصا بل يجولون بحسب اختلاف الفصول
الى حيث يجدون موضوعا يناسبهم للاستيطان فيلقون فيه عصا الرحيل
ويتخذونه محلا لهم فيحاون في الصيف في الاودية المنخفضة ويتقلون في الشتاء
الى التلال والجبال وهكذا كانوا مقيدين تحت رقبه الخشونة الى ان ابتدأت
تتويع فيهم مقتضيات الحضاره فصارت فيهم احكام عرفيه اعني ان كل عائله
منهم تخضع لاحكام كبيرها الى ان انقسموا الى ثلاث رتب متباينه :

« عامة الشعب » وكانت معاملتهم كالعبيد { والاشراف } وكان كل
منهم يحكم مقاطعة مستقلة . ثم (الكهنه) وكانوا يقسمون الى ثلاث رتب .
اختصت الاولى بنظم الاشعار . والثانيه بالترتيل والانشاد على القياثير .
اما الثالثه فكانت تعرف بالدوريده وذهب بعضهم الى ان هذه اللفظه مشتقه

من لفظه دروس اليونانية ومعناها شجره وكان ينتخب الدرويد من اكرم
العيال ويشغلون بالدروس العقلية ومعرفة الفرائض الدينية . ولما كان
البريطانيون وقتئذ كسائر الامم الوثنية لا يعرفون الاله الحق استبدت بهم
الدرويد وآلهوا لهم الصخور والاحجار وينابيع المياه والاشجار وعلى الخصوص
شجر السنديان والرجال العظام . ثم شيدوا لمعبوداتهم الهياكل العظيمة وذهب
بعض العارفين بالمعاديات الى أن الدائرة الجسيمه المؤلفه من الاحجار الضخمه
في مدينة ستونهنج بالقرب من مدينة سالسبوري هي من بقايا معابدهم .

وكان لهم بعض تعاليم حسنه منها الاعتقاد بالشواب والعقاب بعد الموت
وتحريض الشعب على تربية اولادهم وتعويدهم الشجاعة والسخاء والانتصار
لكل من استغاث بهم والنجا اليهم . وكان من مقالهم أن من أقرض صاحبه
شيئاً في هذه الحياة الدنيا يلاقيه في الحياة الآتية ومن قتل نفسه لاجل صديق
له يلاقيه في العالم الآخر وغير ذلك من الاقوال التي اذهلوا بها عامة الشعب
وهو غائص في بحار جهالته ثم ادعو الوحي والتوسط بينهم وبين المهتم فصاروا
اصحاب الحل والعقد وقاموا مقام القضاة والمشرعين واستبدوا فيهم استبداداً
عظيماً وفرضوا عليهم الضرائب وكانوا يقدمون منهم الضحايا باضرار النار
فيهم احياء زاعمين ان الآلهة لا تسر الا بالدم .

وقد روى قيصر ان الدرويد لم يتعلموا الكتابة وان منتهى علمهم هو
تناسخ الارواح بعد الموت وانعاشها لاجسام اخرى . واستمر استبدادهم
بالبريطانيين حتى دخل الرومان بلادهم فاستأصلوا شأفتهم وأبادوهم عن بكرة
ابهم وذلك في عهد الامبراطور نيرون

وقد استمرت الجزائر البريطانية زماناً طويلاً مجهولة تعتبر بأنها منقطعة
عن الكرة الأرضية حتى عرفها الفنيقيون فصاروا يفسدون إلى السواحل
الجنوبية الغربية فيجلبون منها الحديد والقصدير وغيرها من المعادن ويحملونها
إلى ثغور البحر الأبيض المتوسط غير أنهم لم يكتبوا أدنى شيء عن طبيعة
الأرض وعادات وأخلاق سكانها وإنما يعزى الفضل العظيم في استجلاء الحقائق
التاريخية عنها إلى البطل الشهير يوليوس قيصر . فقد أُرْخِها هذا القائد
وكتب عنها كثيراً حين افتتحها بالجيش الروماني سنة ٥٥ ق . م . وذلك
بعد أن صرف ثلاث سنوات متتالية يسعى في خضاع اخلاط القبائل المتنوعة
التي كانت تسكن في بلاد الغاله فرنسا فطمح إلى جزيرة بريطانيا لتوسيع
سلطان دولة روما ورفع العلم الروماني على أرض جديدة كان عالماً بخصوبتها
فجمع الجيوش وحشد القوات وسافر من جوار قرية بولونيا ورسا على جزيرة
{ ديل } غير أن سكان بريطانيا علموا من بعض بحرية الغوليين بقدوم القيصر
اليهم لشن الغارة عليهم فتأهبوا للدفاع وكانوا على جانب عظيم من الشجاعة
والبسالة ومحبة الحرية فلما وفد القيصر بجنده ومراكبه اليهم وجد الجماهير
العديدة منهم وقفاً على الشاطئ عراة الاجسام وبايديهم الحراب والبلطات
فصادف منهم مقاومة شديدة لم يكن ينتظرها وساعد الاهالي توالي عصف
الارياح على مراكب الرومانيين وهياج الانواء مصحوبة بالتغيرات الجوية
فراى القيصر بعين حذقه ومهارته ان وجوه تلك العواصف العبوسة تذهب
ببسالة جنوده وتحدوها الى اليأس والجزع فرجع عن تلك الجزائر بدون حرب
وارجاء الفتح الى وقت آخر . فعاد الى غاليا وتأهب للاقلاع مرة اخرى في

فصل الربيع . فغشى وجه المياه بعمارة بحرية عظيمة مؤلفه من السفن والبوارج والدوارق والقوارب تحمل القوات العظيمة من الفرسان وما يتبعها من الاستعدادات المتنوعة ففاجأها البلاد في فصل الربيع الذي تلا ذلك الفصل من تلك السنة قبل الميلاد باربع وخمسين سنة فسدوَّخها واخضعها وهلمت قلوب الاهلين فدان له اكثرهم صاغرين وانتشر الرومانيون في البلاد ورفعوا فوقها العلم الروماني وادرجوها في عداد مستعمراتهم وكان البريطانيون مقسمين وقتئذ الى اربعين قبيلة اشهرها قبيلة الكنتي التي كانت تسكن في مدينة كنت وقبيلة الترنيتيوس التي كانت تسكن في مدينتي مدلسكس واسكس ومع ما بذل يوليوس من الجد والاجهد في اخضاع كل هذه القبائل لم يتيسر له النصر التام على كل البلاد فلما تولى الامبراطور اكلوديس على رومه ارسل اليها في سنة ٤٣ الجيوش تحت قيادة اولوس بيوتيس فقاومهم اشهر قواد البريطانيين ويدعى كاراكتاكوس وحارب الجنود الرومانيه بمزيد البسالة والاقدام فاضطر الامبراطور ان يفد بنفسه الى الجزيره بمجنود اخرى ولبث فيها حيناً من الزمن اتخذ في اثنائه لقب برتيكوس ثم قفل راجعاً الى مقره بعد ان عهد تمام الفتح الى بلوتيس وقسيسان وكان كلاهما من نخبة الابطال المجريين والشجيمان المنتخين ف وقعت بينهم وبين البريطانيين الشائرين حرب عوان هارت فيها الدأره عليهم وانكسر كراكتاكوس فقبض عليه وأرسل اسيراً مكبلاً بالحديد الى رومه فلما مثل بين يدي الامبراطور كلوديس وكان قد شاهد ما حيره من عظمة مملكة الرومان سأله الامبراطور مزدرياً : « كيف ترى حالك الآن ايها القائد العظيم »

فاجابه وقد هتف الآواه اضاقت الدنيا بمملكة الرومان العظيمة فأدّى بها الطمع الى اغتصاب الكوخ الحقير الذي لي في بريطانيا أهذا عدل الملوك العظام فدهش الامبراطور ومن كان حوله من جوابه واعجبوا بحسن تصرفه حتى ان الامبراطور اطلق سبيله خلافاً للعادة وقتئذ ويقال انه اقطعه قسماً من اقسام الارض الخاضعة لارومان ليحكمها

وفي عهد حكم الامبراطور نيرون استلم من قبله زمام الاحكام سيونئوس پولينوس قفتك بكنهه الدرويد ولحق بهم حتى استأصل شأفتهم فهبت الملكة بواديسيا ملكة ايسيتي واثارت روح العصيان بين بعض القبائل الخاضعة لها واحرقت مدينة لوديشيوم (لندن الآن) وبعض المدن التي كان يسكنها الرومان وقتلت جمّاً غفيراً منهم غير ان سيوتونئوس تمكن بجيوشه من الانتقام لقومه فخارب بواديسيا واتصر عليها في معركة شهيرة وقتل من العصاة نحو الثمانين الفا وضايق بواديسيا حتى آثرت الموت على الحياه بالاسر وجرعت نفسها بيديها كاس الحمام وذلك في سنة ٦١ للمسيح . اما سيوتونئوس فانه دام على استبداده بالبريطانيين حتى استبدلته الدولة الرومانية بغيره من القواد الذين مازجوا الاهالي وعاملوهم باللين والرفق وكان اشهرهم يوليوس اغريقولاً الذي اتاها سنة ٧٣ للمسيح واليه يعزى افتتاح جزيرة بريطانيا فتحاً تاماً وسيادة الدولة الرومانية عليها فانه تقدم الى اسكوتلاندا بجملاء البسالة والشجاعة واقام صفاً من القلاع فيما بين نهري فورث وجليد في سنة ٨١ صداً للغزوات الاسكوتسيين ثم هزم قائداً عظيماً من قواد البريطانيين عند سفح جبال جراميان وذلك في سنة ٨٤ وقد تعمّد معاملة الاهالي بوجه السداد حتى مال البريطانيون الى

الرومانيين كل الميل واستحسنوا لغتهم وعاداتهم واطوارهم
وقد استمر حكم الرومانيين في الجزائر البريطانية مدة اربعة اجيال ارتقت
البلاد في اثنائها ارتقاء عظيماً وازدادت غنى وثروة وتهذبت اخلاق الاهالي
وتحسنت عاداتهم ودانوا بالديانة المسيحية وتعلموا زرع الارض وكثيراً من
الصنائع وانتشرت بينهم العلوم المعروفة اذ ذك وبجمل القول انهم ساروا في
طريق الحضارة والعمران بقدر ما كانت تسمح به احوال ذلك الزمان . اما
الرومانيون الذين كان عدد كبير منهم مقيماً في الجزيرة فقد انشاؤا طرقاً جميلة
وبنوا المدن والقرى التي تحيط بها الاسوار الجسيمة لصدد هجمات القبائل
المتوحشة سكان جبال كاليدونيا ولما اضطربت احوال المملكة الرومانية
واشتغلت بالحروب مع البرابرة الغوطيين بتوالي انحطاط شوكتها واقتدارها
حوّل القياصرة انظارهم عن جزيرة بريطانيا لانهم رأوا ان حفظ ملكهم أولى
لهم من حفظ المتسمر منها فاستقدموا الجنود والقواد سنة ٤٢٠ من الجزائر
البريطانية وتركوا البلاد واهلها هدفاً لغزوات البكتين والاسكتولاندين
والسكوت ارباب السلب والنهب وقرصان البحر

(الاسرة السكسونية والدانميركية)

من ١٤٢٠ الى ١٠٦٦

— 2 —

«The House of Saxons & Danes»

ما كاد يستقل البريطانيون في شؤونهم بعد خروج الرومانيين من بلادهم حتى قام بينهم النزاع وثار الحرب الاهلية فاستفاد السكوتلانديون والبيكتيون من نزاعهم وانشقاقهم ومن غياب الرومانيين عنهم فانهاوا عليهم كالسيول الجوارف وعاثوا في البلاد مفسدين فاستنجد البريطانيون بالرومانيين فلم يجدهم فاضطروا ان يلتمسوا المدد سنة ٤٤٩ من جيرانهم السكسون (قبيلة جرمانيه على شواطئ نهر الالب دائبها القرصانيه والاصوصية) فاجابوا طلبهم وطرقوا الجزيرة تحت قيادة الرئيسين هنجست وهورسا وانحازوا اليهم وساعدوهم على اعدائهم وعملوا فيهم ويلاً وهواناً . ثم دوخوا البلاد وانتشروا فيها انتشار الجراد حتى استوطنوها وحلوا فيها بدل المطرودين . ثم انضم اليهم امة من الانجله وهى امة جرمانيه من نسل السكسون صرفت زماناً طويلاً في التنقل دون ان يقر لها قرار ثم نزلت بالدانمرك واجتازت منها الى انجلترا افواجاً فتألف من هاتين الامتين شعب عظيم اطلق عليه اسم انجلو ساكسون جاؤا اصدقاء محالفين فظهروا باديء بدء للبريطانيين حبا ووداداً ثم طمعوا في مصالح البلاد فكانوا اشد عليها من الاخرين فوقعت بين الطرفين حروب سال فيها الدم انهياراً حتى كاد يفنى البريطانيون عن بكرة

ابهم ولم يسلم منهم الا من نهر الى الجبال او من شرد الى الغاليا (فرنسا) فعمر فيها ذاك المكان المعروف بيريتاني نسبة لهم وبذلك انقرض نسل الكلتيين سكان الجزيرة الأصليين واستقل الانجلو ساكسون بالبلاد وقسموها الى سبعة اقسام سميت باسماء اعيانهم وهي : كنت • وسكسونينا الشرقية وسكسونيا الجنوبية • وسكسونيا الغربية ، ونورثمبريا • وانجليا الشرقية وهرسيا • واقاموا على كل قسم امير يحكمه فنشاء النزاع عن هذه السيادة وقامت بسببها الحروب الداخلية • ثم استقل الملك اجبرت بملكه وكان اشدهم بأساً واقواهم جنانا فضرب الخراج على الست المقاطعات الباقية ثم ضمها جميعها الى مملكة واحدة فاسس منذ سنة ٨٠٠ المملكة الانجليزية وسميت من ذلك الحين مملكة انكلترا وكان هو اول من ملك من الدولة الساكسونية

اما الديانة المسيحية فكانت تلاشت بدخول الساكسون ثم عاد التبشير بواسطة كثير من المرسلين حتى محى اثر الديانة الوثنية شيئاً فشيئاً وعمت النصرانية البلاد في زمن قليل

وبعد موت اجبرت توارث الولاية اولاده وفي مدة حكمهم تأهب الدانيون من سكان الدانمرك وبلاد الباتيك للاقلاع نحو الجزائر البريطانية وغزوها حيث طمعوا ايضاً بحسن موقعها وخصب ارضها فانضم اليهم بقية من البريطانيين الذين نزحوا الى الجبال فهاجموا جميعاً البلاد مراراً متوالية وصرف الانجلو ساكسون همهم الى مطاردتهم ومحاربتهم وهكذا كانت الحرب بين الفريقين سجلاً فكان السكسون يتصرفون تارةً والدانمرك اخرى واقتحموا من البلاد قسماً كبيراً في ايام اثلرد ثالث اولاد اجبرت واثنخوا

في اهلها قتلاً ونهباً وذبحوا اثاره في بعض المواقع . فاختر السكسون
للتملك عليهم بعده اخاه الفريد . وكان في مقتبل صباه لم يتجاوز الاثني
والعشرين من عمره الا ان مركزه كان محفوظاً بالمخاطر والاهوال فسمى
جهده حتى عقد مع الدانمركيين صلحاً مؤقتاً وانكسرتهم لم يلبثوا على العهد الا
يسيراً وعادوا فاستولوا على ولايات مرسيا ونورثمبريا وانكليا الشرقية
ثم هاجموا البلاد فجأة بجيوش جرارة تحت قيادة قائدهم العظيم كثروم
وعاثوا فيها عثماً عظيماً ففاز الفريد بنفسه وفرّ مع قليل من رجاله الى الغابات
والجبال واختبأ في كوخ راعٍ في بقعة منفردة محاطة بالآجام وبقي فيها
مدة ستة اشهر كان يتأهب في انائها لشن الغارة على اعدائه ولما كان يحسن
ضرب القيثارة تزيّا بزي قيادي عازف واندمس في معسكر النورمندين
متجسّساً واخذ يطوف بينهم كطرب ويراقب حركاتهم ويطلع على خفايا
امورهم حتى امثل امام قائدهم كثروم فأكرمه اذ اعجب بحذاقته وبذا ازداد
الفرد خبرة باحوالهم واطلع على كل ما كانوا يدبرون عليه من المكائد
فعاد الى معسكره وجمع اليه رجاله واطلمهم على ما كان من امره ثم زحف
بهم على الدانمركيين وحاربهم في السهل والجبل وانتصر عليهم واسترجع
بلادهم واكرهمهم على اعتناق الديانة المسيحية واقطعهم قسماً من الارض المنبسطة
على السواحل الشرقية من التيمس المعروفة للآن بدانيلاغ نسبة لهم . ثم
صرف جده الى ترميم المدن والقلاع التي خربت واصلاح الاسطول الذي
انشأ وجعل نصف الاهالي من السكان لحمل السلاح في زمن الحرب وترك
النصف الآخر لحراثة الارض وزرعها ثم فرض على اهالي اسكوتلاندا

وويلس ان يطوفوا الغابات ويجمعوا منها الذئباب والوحوش الكاسرة ويقدموا
له في كل سنة ثمانية رأس عوض الجزية التي كانوا يؤدونها للملوك اسلافه
وبذلك امنت السكان من الضرر الذي كان يلحقها من تلك الوحوش

ويظن البعض بانه المؤسس مدرسة اكسفورد الشهيرة وقد ترجم كثير من
الكتب اللاتينية التي رأى فيها فائدة لرعيته وسعى جهده بتعميم الآداب
والمعارف بينهم وفتح لهم بابا من الحرية حتى كان من جملة اقواله الجارية عندهم
مثلا الى الآن (يجب ان يكون الانكليز احرارا مثل افكارهم) والمؤرخون منهم
يعدونه من اعظم ملوكهم ولذلك لقب بالاعظم . وكان لطيف الطباع محبوبا
طلق المحيا حكم سنة ٢٩ ومات سنة ٩٠ وعمره ٥٢ سنة

وخلفه اكبر اولاده ادوارد وهو اول من لقب بملك انكلترا وقد ظن
الدانمركيون في بدء حكمه ان احوال المملكة التي نظمها الفرد تتضعضع بموته
ولا ثبت امامهم فسعوا مفسدين في البلاد واثاروا شرر الحرب الا ان ادوارد
انتصر عليهم انتصارا تاما واستأثر بالملك وحده وكانت الفريدة والدة اخيه
اثلرد مضجرة له الشر تتوقع سنوح الفرص لاهلاكه حتى اذا كان عائدا ذات
يوم من الصيد وقد اعياه التعب واشتد عليه الظماء عرج على قلعة جورف
التي كانت تسكنها فطلب جرعة ماء ولم يكده يدفعها الى فمه حتى اشارت
الفريدة الى احد خدمها بالهجوم عليه فطعنه بخنجر في صدره خلفه صريعا
يتخبط بدمه فخلفه اخوه اثلرد ولم يكن على شيء من العقل وحسن التدبير
سام الدانمركيين اشد قساوة فاشتد بغضهم لاساكسون ونما الحقد بين الحزبين
ثم اقترن باماً ابنة رتشاردر دوق نورمانديا وقد سعى بهذا الاقتران تعزيزاً

لجانبه اذ اوجس شراً من النور مننديين لان اعداءه الدانمركيين كانوا منهم
ايضاً فسبق هو واكتسب قرايتهم حتى خيل له انه حصل بذلك على ما يمتنى من
السؤدد والقوة فامر السكسون بقتل الدانمركيين في مؤامره سرية فقتلوا منهم
عدداً عظيماً بفضاعة لم يسمع بمثلاً حتى انهم كانوا يطمرون نساءهم عاريات
في حفر الى اوساطهن ويطلقون عليهن الكلاب فتمزق اجسادهن وتميتهن
موتة تتمزق لها كبدا الانسانية خائناً وكانت بينهن اخت ملك الدانميرك سوين
فلما طار الى الدانميركيين خبر هذه الفظائع هاجوا وهاجوا واندفعوا على البلاد
بقيادة ملكهم سوين طالبين الانتقام فاقاموا الحرب على قدم وساق واستظهروا
على اثريد وضايقوه حتى اضطر ان يفر الى نورمنديا بزوجته وابنيه ادورد
والفرد . فاستولى على عرش الملك سوين وتوفي بعد ثلاثة اسابيع تاركاً
فتوحاته لابنه كانون .

بيد ان السكسون ابوا قبوله ملكاً عليهم وارسلوا يطلبون اثلرد فرجع
مع زوجته الى ملكه الغابر وعاد الى طغيانه واستبداده فانتقم من الدانمركيين
اشد انتقام ثم توفي في غضون اضطراب عظيم وتولى بعده ابنه ادموند من
زوجته الاولى ومات هذا بعد عقده معاهدة سلم مع كانون على تقسيم البلاد
بينهما وبموتة انتقل الملك الى كانتوت وهو اول من ملك من العائلة الدانمركية
وكان حازقاً فحماً وغاية في الشجاعة والاقدام حاز شهرة عظيمة بين ملوك
انكلترا وقد بذل جهده في توسيع نطاق ملكه وحكم الساكسون والدانمركيين
بوجه السداد والانصاف وتعهد في سائر الاحوال صيانة حقوق الطرفين
فانتشر الأمن في انحاء البلاد واستتب الهدوء والسلام وانعكف الشعب في

ايامه على تحصيل الفائدة والمكاسب فاستطاع السفر الى زيارة البابا في روميه وقد كتب منها الى عماله يوصيهم بانه لا ينبغي بان يحكم بلاده سوى بالعدل ويطلب منهم ان يسووا بين الاشراف وغيرهم على مقتضى الشرائع التي يجب حفظها وقد حذر كثيراً من ان اولاد اثريد يترقبان الفرص في نورمنديا فيعملان على منازعته في الملك فطلب الاقتران من اماً زوجة اثريد فاجابت هذه طلبة بلا تردد طمعاً في استرجاع مقام عظمتها السابق كملكة انكلترا وهكذا فقد احتفل بزفافها عليه بغاية الاحتفاء والتجلة ثم وضعت منه ولداً دعى باسمه كانتوت ويعرف في التاريخ هارديكنتوت بزيادة كلمة سكسونيه عليها ومعناها قوي وتوفي كانتوت بعد ان حكم تسعة عشر سنة فاوصى بالملك من بعده لا كبر اولاده هارولد فاغتازت اماً من اهل كانتوت لابنه هارديكنتوت المولود منها وطفقت تسمى سراً بين السكسون لترشح احد اولادها للملك انكلترا فاستدعتهما من نورمنديا الفريد الاصغر مع جيش من النورمان فشار عليه اعوان هارولد واسروه مع من كان معه ثم حكم عليه بقلع عينيه لكنه ماعتم ان مات من تأثير هذا الحكم . وبعد موته خلفه اخوه هارديكنتوت وتوفي بعد ان حكم سنة واحدة وبموته انقرضت الاسرة الدانمركية التي قام منها ثلاثة ملوك

ثم عاد الملك للسكسون واحتفل الاهالي احتفالاً عظيماً بتتويج ادورد ابن اثريد عليهم فوفد من نورمنديا بعدد عظيم من اهلها الذين امضى معهم ٢٧ سنة فعزز شأنهم واعلا مقامهم وقلدهم زمام الاحكام فسخط الشعب لذلك وشق عليه هذا التمييز وتألف ضده حزب برئاسة غودوين الذي كان

ادورد متزوجاً بابنته ثم توفي سنة ١٠٦٦ ولم يترك له ولداً يخلفه في الملك وهو آخر ملوك الاسرة السكسونية فانتخب الشعب من بعده هارولد اخ زوجته وابن الامير غودوين فثار عليه في بدء حكمه اخوه وطلب مساعدة النورماندين الذين كانوا يترقبون الفرص لافتح انجلترا واستيطانها فدارت الدائرة على الاخوين بسبب ما كان يقع بينهما من النزاع واستولى النورمان على البلاد وانقرض حكم الدولة السكسونية بعد ان قام منها ١٧ ملكاً .



الاسره والنور مندييه

من - ١٠٦٦ الى ١١٥٤ ق م٠

« The House of Normandy »

نورمانديا مقاطعه خصبة من شمال فرنسا على ملاصقة المضيق الانجليزي تنسب اليها الدولة التي حكمت انجلترا بعد انقراض الدولة السكسونيه واول ملوكها وليم الاول الملقب بالظافر كانت إنجلترا اذ ذاك اقوى جانباً واوسع اطرافاً من اماره نورمانديا المذكورة فكانها ضاقت على هذا البطل حتى نزع الى التوسع بغيرها فوجه اماله الى تدويخ انكلترا وافتتاحها فجمع جيشاً جراراً قويا واتاها مدعياً انه هو الوارث الشرعي لتخت ملكها وان حقه يفوق حق هارولد اخ زوجة ادورد لان إماً ام ادورد كانت عمه ابيه فدخل لوندرا وهو ناشر علماً كان قد باركه البابا فقابله هارولد بجيشه وبعد موقعه هائلة في هاستين لقي فيها هارولد حتفه واضاع ملكه تقدم وليم فدوخ البلاد ودانت له الرقاب فدخلت الاساقفة في طاعته واقبلت اليه القضاة بالتاج فتوجوه ملكاً في كنيسة وستمنستر سنة ١٠٦٦ ولما استولى على سرير الملك اذل الدانيزين والسكسون والقي مقاليد القوه العسكريه والملكيه الى النورمندين فمعظم ذلك على سكان الجزيره وكادوا يتميزون غيظاً ولذا كانت كثير ما تجري بين الطرفين معارك تسيل فيها الدماء انهاراً ثم تلافي وليم الامور وازال ما كان امامه من الموانع واضطر النورمندين والسكسون الى الخضوع له

وقبل خروجه من نورمنديا ترك ابنه روبرت نائباً عنه عليها فعضده
فليب ملك فرنسا وشدّد عزيمته حتى اضطرّه ان يشق عصا الطاعة على
ابيه وليستقل بتلك الاماره . فلما طار هذا الخبر الى وليم بادرا الى محاربة ابنه
العاصي الثائر فوقعت بينهما عدة حروب استطالت زمناً وقد بارز في احدها
الابن اباه اذ كانا مدججين بالسلاح فطعنه طعنةً كادت تصرعه حتى اذا
عرفه خجل من فعله وخرّ بجانبه على الارض مستغيثاً فرفض الاب قبول
ادنى مساعدة منه

وكان وليم مقترباً بتليده وهي اميره من اجل وافضل اميرات اوروبا
في ذلك الزمن ينتهي نسبها بالفرد الاكبر فاثرت فيها وطأة المخاصمة بين زوجها
وولدها حتى كادت تذوب حزناً وقهراً فاضطرت زوجها على حسم النزاع
والخصام فدعى ابنه وعقد معه صلوات الصلح والسلام ثم استصحبه معه
لانكثرا كاحد قواد جيشه الكبار . وفي مدة غيابه عن انكلترا صلى السكسون
والدانماركيين نار الثورة لما راوا من تعدي النورمدين عليهم فقتلوا منهم
عدداً عظيماً فلما عاد وليم اعمل في المعصبين السيف وانتقم منهم اشدّ انتقام
وضبط اموال الكثيرين وفرّقها على عساكره وعلى الذين ثبتوا من
النورمانديين . ثم مهد الامور بهمة ونشاط واخذ يسعى للتوفيق بين
النورمان والانجليز وان يصوغ من لغتيهما لغة واحدة حتى يجعل انكلترا
كنورمندي في كل شيء تقريباً فاخذ يمد نطاق اللغة النورمندية ويشيع
استعمالها في لسان جميع السكان ويحكم بتعميم التعامل بها في سائر الاشغال
فسنّ بها الشرائع وسجّل الاحصاء بحروفها وكانت تلك اللغة فرنساوية

مختلطة بالدانيزية بعيدة عن الفصاحة والبيان وقد بقيت مستعملة الى عهد ادور الثالث على ان اسم الانكليز اصبح مكروهاً ممقوتاً لدى النورمان كما كان اسم النورمان مغلقاً على كثير من الانجائز حتى ظن بعضهم ان تغلب وليم قاضٍ عليهم بالذل والانخذال الى الابد . ولم يمتزج الشعبان ببعضهما الا بعد جيل من الزمن وقد اتى وليم باعمال عظيمة لا تزال مأثورة عنه الى الآن بيد أن كثيراً من مؤرخي الانجائز ذمّوه تحاملاً عليه مع ان له الفضل في تأييد دولة انجلترا وجعل لها المركز الخطير بين الدول العظام وكان جميل الطلعة عظيم الشأن حاذقاً بصيراً بعواقب الامور طائر الصيت في الشجاعة والاقدام والظفر في مواقع الحروب مات اثر وقوعه عن ظهر جواده وقد كان يهادى عليه نشواناً بثورة النصر والظفر في بعض اراضي نورمانديا وذلك في سنة ١٠٨٧

وليم الثاني - وكان يدعى روفوس اي الاحمر لاحمر شعره خلف اباه بعد موته وترك اخاه روبرت يستأثر بامارة نورماندي ف وقعت الحرب بين الفريقين زمناً طويلاً . ولما ظهرت الحروب الصليبية رهن روبرت مملكته عند اخيه واخذ منه مقداراً وافراً من المال وانطلق للجهاد فسر وليم لذلك اذ رأى انه تمهد له سبيل الاستيلاء على نورمانديا التي كان يتمناها غير ان المنون عاجلته قبل ان يدرك مراده فمات وهو في الصيد يطارد الوحوش ويقال ان قوساً افلتت من يد فارس نورماندي قصداً او عمداً اصابته منه مقتلاً فخرّ صريعاً ولم يهتم احد من المملكة بالبحث عن راميتها نظراً لبغض الأمة له لانه كان ظالماً مستبداً

هنري الاول - وهو اصغر اولاد وليم الظافر تبوء اريكة الملك سنة ١١٠٠ بعد موت اخيه فاحسن السياسة واستمال اليه الرعيه وبعد تملكه بزمن قليل رجع اخوه روبرتس من الاراضي المقدسة وكاد يقع بينهما الخصام لو لم يسرع رئيس اساقفة كنتربوري بفض الخلاف وعقد الصلح بينهما فتنازل روبرت لاخيه عن حقوقه واكتفى بأماره نورمنديا بعد ان اخذ عليه شروطاً كثيرة نكث بها هنري فهجم على اخيه واحضره اسيراً الى انجلترا وضم اليها نورمنديا سنة ١١٠٦ وساعده

وسنة ١١١٩ قام ابن روبرت لويس السادس ملك فرنسا على الطالب بشار ابيه فغازلها هنري . ثم نازع البابا بروميا في حق منح الوظائف الدينية وتكفل هو بها مثل سائر الوظائف ولم يكن له سوى ولد وابنة تدعى متيلدا مات الولد غريباً وتزوجت الابنة اولاً بهنري الخامس امبراطور جرمانيا ثم اقترنت (بجوفروا بلاتناجنت) وهو كنت انجو (مقاطعة في فرنسا) فولدت منه هنري الثاني وتوفي هنري الاول بعد ان اوصى لها بالملك في حياته فاعترف لها اكابر المملكة وعظماءها وعمت المظالم اطرافها فقام احد اشرف نورمنديا ويدعي اسطفان ابن ابنة وليم الظافر يطالب بالملك وتواطأ الانكليز والنورمانديون على توليته لاستهجانهم تملك امرأة عليهم واشتروطوا عليه ان يكون طوع ارادتهم فرضي بذلك حتى اذا ارتقى منصة الملك استبدت بالاحكام ونشر المظالم فثاروا عليه وثار الحروب الاهلية فانغمست متيلدا سنوح تلك الفرصة وهبت باعوانها لمحاربته فانخذلت اولاً ولكنها ثابرت على الحروب حتى استظهرت عليه وطرحته السجن وعادت للملكها الغابر

فطغت واستبدت وانتقامت من الاهالي شر انتقام حتى ثاروا عليها فهربت
وخرج اسطفان من سجنه واستمال اليه رضا الرأي العام وقبض على ازمة
الاحكام حتي توفي سنة ١١٥٤ بعد ان اقر بالخلافة من بعده هنري الثاني
ابن متيلدا

الاسرة البلانتاجينية

من سنة ١١٥٤ الى ١٣٩٩

The House of Plantagenet

سميت ملوك هذه العائلة بالبلانتاجينية نسبة الى حشيشة كان يضعونها
في قلائسهم واول من تولى منهم « هنري الثاني » كان ميالاً الى السلم فسعى
جهده كي يزيل كل ما يسبب الحروب الاهلية وقسم البلاد الى مقاطعات
اقام لها لاول مرة القضاة ونشر الآمان في اطرافها وتعهد الحكم بالعدل في
كافة الاحوال وازال ما كان للاعيان من السطوة والاستبداد واشهر
بالحم والحزم فاحبته الرعية ثم ضم ايرلندا الى انكلترا بعد ان كانت منفصلة
عنها وسنّ تلاكليروس نظاماً جديداً ابي الاقرار عليه رئيس اساقفة
كنتربري « توما بيبكيت » فوقع الخلاف بينها وطال الشقاق حتى ظعن
الاسقف الى فرنسا وتقرّب من ملكها ولبث فيها حتى استدعاه هنري ثانية
الى انكلترا فعاد الى اسقفيته ولم يرفع الحرم الذي وقعه على الاكليركيين الذين
اذعنوا الى النظام الملوكي وخالفوه فرفعوا امرهم الى الملك الذي صاح وقتئذٍ
متميزاً من الغيظ « أمان يدفع عني شرّ عنيدٍ من رعيتي لقيت منه النكد فوق

ما لقيت من المعاندين اجمع ، ثم هاج به الغضب حتى فاجأ الاسقف وهو في كنيسة وفتك به ثم اخذ منه الدّم على ما فعل كل مأخذ وقاسى من عذاب الضمير ما كاد يعدمه الراحة فارسل الى رومية يستغفر البابا على ما كان منه ويعدده بالاذعان لما يأمره به اذا نال منه العفو فعرض عليه البابا ان يركع على قبر الاسقف ويصلي فاطاع فغف عنه ولكنه ما كاد يتمتع براحة الضمير التي سعى لها حتى عصى عليه اولاده هنري ورتشارد وجوفروا باغراء ملك فرنسا الذي التجأوا اليه فتبعهم بالجيوش ثم عقد الصلح معهم على شروطٍ بنحت بحقوقه فكمن لهم الحقد حتى مرض فمات وهو يلعنهم بقلبه ولسانه خلفه ابنه « رتشارد » ويعرف بريكاردوس « قلب الاسد » شباً من صغره على حب استعمال السلاح ونظم الاشعار فنشأ شجاعاً نشيطاً وشاعراً مفلقاً وقد اخذ بناصر اليهود اذ تبوأ اريكة الملك وكان له شأن عظيم في الحروب الصليبية التي ثارت بين المسلمين والنصارى في ارض فلسطين على الاماكن المقدسة

« وكان السبب في هذه الحروب ما حدث من ثورة التعصبات الدينية عن روايات الحجاج الذين كانوا يعودون من اورشليم وعن مواعظ بطرس الناسك وتحريضاته وكانت اوروبا قبل هذه الحروب مرشحاً لقتال مستمرين سكانها فصارت وقتئذ ساحة اسيا . وقد تحركت وقتئذ الامم الاوروبية بفكر واحد واشترك الملوك والاشراف والقسوس والاهلون والمزارعون في هذه التجريدات الصليبية التي كانت اشبه شيء بالحمية الجاهلية ، ولهذا الحرب شهرة عظيمة في التاريخ لانها من الوقائع العظيمة التي من شأنها تغيير احوال الامم ولها الفضل على تمدن اوروبا »

اما ريكاردوس فانه تحرك ايضاً مع غيره على الجهاد وباع كل ما يمكنه

بيعه من الاملاك والمقتنيات التي آلت اليه بالميراث عن ابيه وأعد جيشاً جراراً من نخبة ابطال جيشه وسار به مع التجريدة الثالثة التي سارت الى الارض المقدسة فافتتح في طريقه جزيرة قبرص واقترن فيها بخطيبته برنغاريا وسار منها الى صور التي كانت في قبضة الصليبيين وكان فليب ملك فرنسا وباقي الطوائف الصليبية ينتظرونه بذهاب الصبر حتى اذا قدم عليهم قلدوه قيادة الحملة وزحفوا على عكا واقاموا عليها الحصار . واثق ان اصيب في تلك الغضون بالطاعون الذي كان فشا بين عساكر المسيحيين وروى بعض المؤرخين انه في اثناء مرضه كانت ترد عليه الرسائل الودية من عدوه صلاح الدين الذي كان نده في البسالة والاقدام وفي علو الهمة وحسن السياسة وكرم الاخلاق والميل الى الشعر والقلم وفي قيادة جيوش المسلمين فجمعت بينهما هذه الصفات المتناظرة وتمكنت المودة والصداقة رغما عما كان يجري بينهما من الحرب والكفاح

وقد قام فليب ملك فرنسا بالهجوم على عكا اثناء مرض ريكاردوس ولكنه صدَّ بالفشل فلما تماثل قلب الاسد الى الشفاء تتبع الحصار ببسالة واقدام وقام القتال بين الصليبيين والمسلمين واستمر عامين فقد فيهما من الجيشين عدد عظيم وتحمل الاثنان اضراراً وخسائر جسيمة وكانت الدائرة اخيراً على جيوش المسلمين فاضطروا الى تسليم عكا ورد خشبة الصليب فدخل الافرنج المدينة ورفع كل من ملك فرنسا وقلب الاسد علمه على برج من ابراجها ورفع ايضاً دولاً استريا علمه على احد الابراج قبلهما فرأى قلب الاسد ان في ذلك اهانة فاضحية لهما فاقتلع العلم وكسره وطرحه في الخندق فحقن الدول على

ريكاردوس وقامت العداوة في نفسه ضده

اما فيليب ملك فرنسا فانه عاد الى بلاده وابقى مع قلب الاسد عشرة
آلاف من جنوده زحف بها على عسقلان ولما اشرف عليها وافاه صلاح
الدين بجيش جرار مؤلف من ثلثماية الف مقاتل وهناك التقى الجيشان فاجت
الارض بهما وارتوت من دملهما وكان كل من ريكاردوس وصلاح الدين
يديران رحا الحرب بكل شجاعة واقدام ففعلا فعلا تشيب الاطفال الا ان
الفشل لحق بعساكر المسلمين وانهمز صلاح الدين شر هزيمة بعد ان فقد
عددا عظيماً من نخبة فرسانه وكان النصر لريكاردوس فاستولى على البلد وباقي
مدن اليهودية ورام ان يتبع صلاح الدين ويستولى على مدينة اورشليم التي كانت
منتهى اربه ومناه ومطمح انظار الافرنج ومركز قوة العرب فوافاهوا وحاصروها
وكاد يستولي عليها لو لم يقع الفشل بين امراء النصارى وكانت جنوده قد فقدت
الجلد والاصطبار رغماً عما نال من الظفر والانتصار تتشوف الى الرجوع لمواطنها
وكانت الاخبار ترد اليه من انكثرت تستدعي حضوره اليها وتنذره بخراب
المملكة وخروج اخيه يوحنا عليه وعزم ملك فرنسا على اغتيال ولاياته
الجنوبية فلم يرد بدأ من المبادرة فرجع الى عكا حتى اذا بلغه ان صلاح الدين
زحف على يافا بستين الف مقاتل وان البلد في خطر من استيلائه عليها اسرع
اليها واستخلصها منه ثم عقدت معاهدة الصلح بين هذين البطلين فاجتمعا
واظهر كل منهما للآخر ما يليق به من المودة والاحترام وتصالحا على
شروط معلومة وهكذا انتهت حملة الانكيز على تلك البلاد وعاد بعدها قلب
الأسد بمن بقي من رجاله فاصاب سفينته نوبة شديدة وفاز بنفسه مع من فاز

واختار الدخول لبلاده متنكراً كصليبي عائد من الجهاد ولكنه وقع في اسر
ليوپولد دوك اوستريا الذي سبق ان اهانته امام اسوار عكا وقد طار الخبر
بذلك الى امبراطور النمسا وكان من الد اعداء ريكاردوس فاشتراه بمال وافر
وسجنه في قلعة حتى خفي امره على قومه فسار اعوانه يبحثون عنه وكان
منهم احد اصدقائه المخلصين ويدعى بلوندل سار مع من سار وهو يعزف
بالآلات طائفاً في البلاد سائلاً عنه الرائح والغادي حتى اهتدى لسجنه
فشرع يغني من خارج القلعة المعتقل فيها ريكاردوس لئلا كان يغنيه كثيراً
فعرفه من صوته ومن اللحن فاجابه بمثله من داخل القلعة وبذلك استطاع
بلوندل امره واخبر عنه قومه الذين افتدوه بالمال الكثير . ولما اطلقت له
الحرية وعاد الى وطنه خلع اخاه عن كرسي الملك الذي اغتصبه مدة غيابه وعفا
عنه ثم اعلن الحرب على فليب ملك فرنسا لانه سعى في افتتاح النورمندية التي
هي قسم من ملكه وقد استمرت هذه الحرب بينهما اربعة اعوام فتتاركا مرات
وتحارباً مرات دون ان يظفر احدهما بالآخر وحاز ريكاردوس في هذه
الحروب كما حاز في الحروب الصليبية شهرة عظيمة خلدت ذكره في صفحات
التاريخ الى الأبد ولما حاصر في سنة ١١٩٩ مدينة شالوس أصيب بسهم جرحه
جرحاً بليغاً فاذاقه كأس المنون فدفن في روشفورت ووضع قلبه في كنيسة
« روان » الكاتدرائية وهو اول من جعل على نقوده صورة اسدين فكانت
من بعده علامة للملوك الانكايير

جان سان تير . — — — جلس على كرسي الملك بعد موت اخيه
ريكاردوس الذي لم يخلف له اولاداً شرعيين ويعرف في التاريخ (جان سان

تير) اي لا ارض له لان اياه هنري الثاني لم يورث له ارضاً فاعتصب الملك سنة ١١٩٩ من ارتور ابن اخيه حتى اذا ثار عليه مطالباً بملكه وقع في أسره فاعتقله في قلعة روان وقيل انه قتله فيما بعد بيده فاستجارت ام المقتول بملك فرنسا وطلبت منه ان يأخذ لها بشار ابنها فسمى لها لدى مجلس الاشراف الذي حكم بنزع اماره نورمنديا منه . ثم قام في سنة ١٢١٣ خلاف جسيم بينه وبين البابا اغناطيوس الثالث بسبب تعيينه اسقفاً على كنتبري لم يكن راغباً فيه ولكن هذا النزاع لم يطل حتى خفض جناحه للبابا ثم تحالف مع ارثور الرابع والكونت دوفلاندر فانخزل في موقعة بوفين سنة ١٢١٤ وتضافر عليه في تلك السنة اشراف الانكايز وطلبوا منه ان يجري على قانون شارتر الذي وضعه هنري الاول فسلم لهم بمطالبهم ونقح لهم قانوناً رضوا به على أنه مالم يلبث ان نقض ما ابرم فنهض الاشراف لمناواته وانتخبوا لهم زعيماً سموه قائد جيش الله والكنيسة ودخلوا مدينة لوندراغوة وحاصروا الملك في حصنه واكرهوه على وضع قانون يضمن حريتهم وقانون آخر الاحراش فاجاب طالبهم ووضع القانونين وكانا ركناً واساساً لحرية الانكايز ومبدأ الظهور الحرية في جميع ممالك اوروبا وسبباً في تغلب مبدأ الالفة والاشتراك بين الاشراف وتعودهم على الآراء السياسية الحققة فشرعت منذ ذاك العهد العناصر المختلفة من الشعب ان تتقرب من بعضها وان تنضم الى جسم سياسي واحد على أن الملك مالم يلبث ان ندم على ما كان منه فاستجار بالبابا ليعضده على ابطال هذين القانونين فاجابه الى طلبه بان حله من يمينه وحرم معارضيه من اعيان البلاد فنهض اكثرهم ضده وتواطئوا على تولية ابن ملك فرنسا عليهم وقد موأله

الرهائن على ذلك فوافاهم الى لوندرا واقسموا له يمين الطاعة وفي تلك الاثناء وقع جان سان تير مريضاً وتوفي في الرابع والخمسين من العمر بعد ان اوصى بالملك لابنه البكر هنري الثالث الذي رضي به الانكليز ودام حكمه ٥٥ سنة كانت كلها ثورات اهلية وقلل داخلية التأم في اثائها المجلس الاعلى « البرلمانت » على النسق الذي يلتم عليه الآن . ولما توفي كان ابنه « ادورد الاول » بعيدا عن انكلترا في الحروب الصليبية فعاد من فلسطين وصرّ بروميا وزار البابا غريغوريوس العاشر ثم صرّ بفرنسا فاستقبله ملكها بالحفاوة والاکرام ودخل بلاده وتوجّج عليها ملكا في سنة ١٢٧٤ فبدت منه المهارة في الاحكام ثم حمل بجيشه على امير بلاد الغال واستظهر عليه واذله وضم ولايته الى انكلترا فولدت له في اثناء هذا الفتح زوجته ايزابلا ولداً ذكراً دعاه : « برنس اوف ويلس » تخليداً لفتح هذه البلاد وقد سار هذا اللقب من بعده الى الآن على الابكار من ملوك انكلترا . وقد حاول ايضاً ادوارد الاستيلاء على اسكوتلاندا فردّ بالخيبة ونظّم اكثر دوائر الحكومة وادخل مجلس النواب في المجلس الاعلى . ولما توفي خلفه على كرسي المملكة ابنه « ادورد الثاني » وذلك في سنة ١٣٠٧ وكان ضعيف الجنان فاسد الاخلاق اعاد الكرة على الاسكوتلانديين فانخذل فتواطأت امرأته على هلاكه مع بعض كبار المملكة والقوه في السجن ثم قتلوه . فبايع الشعب ابنه ادوارد الثالث في سنة ١٣٢٧ بكفالة امه وتدير مورتيير خليلها وكانت تبغض ابنها فسمعت والحليل للاستيلاء على زمام الاحكام وقتل الولد والحاقه بايه على ان القاصر ما بلغ اشده حتى اظهر الحزم واستبد بالسلطة وظن الظنون السيئة ووقع في نفسه ان قاتل ابيه انما هو مورتيير بالتواطى

مع امه فاعتقله وامر بقطع رأسه ثم التى القبض على امه واودعها السجن حتى ماتت . فصفها له اذ ذاك الجو ولم يعد له من منازع فاستقل في احكامه وزها ملكه وتقدمت انجلترا في ايامه وقد جرى له ايضا مع الاسكوتسيين عدة وقائع لم يكن له فيها الفوز تاماً . ثم طمع بملك فرنسا بناء على ان امه كانت ابنة فليب الرابع احد ملوكها . فاعد المعدات وجند الجنود وركب البحر من انكلترا وتقدم اليها سنة ١٣٣٨ بخمسين الف مقاتل فلاقاه ملكها باضعاف هذا العدد فعاد ولم يحدث بينهما وقتل قتال . ثم حاربه بعد سنتين وانتصر انتصارا بحرياً عظيماً في سلويس وفي سنة ١٣٤٦ حصلت معركة هائلة في كريسي انهزم فيها ايضا الفرنسيون شرهزيمة وغنم الانكليز حصوناً كثيرة وقلاعاً واماكن منيعة منها مدينة كالي التي استمرت في قبضة انجلترا مائتي سنة ولما كان ادورد يحارب فرنسا كانت الملكة زوجته تقاوم الاسكوتلانديين بالجيوش الجرارة فهزمتهم شرهزيمة وأسرت ملكهم .

وفي سنة ١٣٥٦ حصلت واقعة « پواتيه » المشهورة بين ادوارد برنس اوف ويلس ابن ادوارد الثالث الملقب « بالامير الاسود » لسواد درعه وبين يوحنا الصالح ملك فرنسا فانكسرت الجنود الافرنسيه وولت مدبرة امام الجنود الانكليزية وأخذ ملكهم اسير حرب ومات صر هوناً في انكلترا . ومن ذاك العهد اخذ شأن فرنسا ينحط بسبب نزاع امراء المملكة والثورات الداخليه التي اهرقت فيها دماء كثيرة فزحف عليها ادورد في سنة ١٣٥٩ وعاث في ارضها وحاصر ريمس اذ كان مطمح نظاره ان يتوج فيها ولم يعد عنها الا وقد امتلك ارضاً واسعة الاطراف ومقداراً من المال وافراً .

على ان الحروب قد امتدت بين الانكليز والفرنساويين من سنة ١٣٣٧ الى سنة ١٤٥٣ كانت تشب نيرانها من وقت لآخر فسفكت فيها سيول من الدماء وتأسست بسببها العداوة بين الأمتين ولها في التاريخ شهرة عظيمة وتعرف بحروب « المائة سنة » اكتسبت منها انكلترا مجداً عظيماً . وقد وقعت في عهد حكم فيليب السادس دوقالوا وجان الثاني وشارل الخامس وشارل السادس وشارل السابع من ملوك فرنسا وادوارد الثالث وريتشارد الثاني وهنري الرابع وهنري الخامس وهنري السادس من ملوك انكلترا

وكانت لغة انكلترا الرسمية قبل ادورد اللغة الفرنسية فاستبدلها ادورد بالانكليزية وساعد الفنون الجميلة كالشعر والنظم والرسم الخ وبذل الجهد في ترقية الصناعة . واشتهر في حكمه « يوحنا ويكلف » بمبادئه البروتستانية وبارائه ضد الباباوية حتى اضطرتهم ثورة الخواطر التي ثار شرارها في كافة الانحاء الى عقد مجمع في مدينة لندن والحكم على هرطقة تعاليمه وقد عظم هذا المذهب وامتد في البلاد بينما كانت الحرب قائمة على قدم وساق في فرنسا . وفي سنة ١٣٦٧ توفي الامير الاسود وتبعه ابوه بعد سنة وخلفه « ريتشارد الثالث » ابن الامير الاسود وكان كثير الانهماك في اللذات مبذراً للاموال علا اريكة الملك وله من العمر احدى عشرة سنة فلم يعارضه معارض ولا تصدى له احد من اخواله واعمامه وهم الدوك اوف لانكاستر والدوك اوف يورك والدوك اوف كلوستر . على أنهم ولولم يحملوا عليه جهاراً فقد دسوا الدسائس ووجهوا التفات الشعب الى ما كان عليه من محاضراته لندماء فاسدي الاخلاق فاضطربت المملكة في بدء حكمه واستاء الجمهور من سيرته وفي سنة ١٣٩٧ فتك

بالدوك اوف كلوستر وضبط املاك الدوك اوف لانكاستر ونهض بجنوده في سنة ١٣٩٩ لاختضاع الشائرين من الايرلنديين وولى نائباً عنه الدوك اوف يورك فاغتم اعداؤه في غيابه الفرصة واقاموا ملكاً عليهم الدوك هرفورد ابن الدوك اوف كلوستر فاستولى هذا على لوندرا وقويت شوكته وغالب رتشارد حتى سلم نفسه اليه وتنازل له عن الملك أما الدوك هرفورد فلم يطلق سبيله بل سجنه في حصن لوندرا الحصين ثم نقله الى سجن بونفراك حيث اقام فيه زمناً ثم انتزع من الحراس سيفاً قاتلهم به وقتل اربعة منهم ثم قتل نفسه وكانت به نهاية العائلة البلاطاجينية



« اسرة لانكاستر ويورك وحرب الوردتين »

« The House of Lancaster & York & the War of the Roses »

« من سنة ١٣٩٩ الى ١٤٨٥ »

فاز الدوك اوف لانكاستر بملك انكلترا بعد ان قتل رتشرد الثالث سنة ١٣٩١ ولقب بهنري الرابع فعلا اريكة الملك في حياة الدوك اوف يورك وهو احق بالملك منه فكان ذلك منشأً للفتن الاهلية . وفي يوم تويجه نشر يقول بأنه قبض على زمام الملك بحق الفتح من بعد تنازل رتشرد له وبحق كونه اقرب وارث ذكر لادوارد الثالث وصادق البرلمان على منشوره وأيدّه بصك ثبت التملك في خلفه وحرمان الدوك اوف يورك .

وكانت ايامه كلها ثورات وحروب مع العصاة الاسكوتلانديين انتصر عليهم صراراً وتوفي سنة ١٤١٢ وقد اوصى قبل وفاته بشهرين بالملك من بعده لابنه « هنري الخامس » وكان شجاعاً جسوراً اشهر الحرب على فرنسا سنة ١٤١٥ فافتحها وظهر بها كثر ثغورها البحرية وتوغّل في اواسط البلاد واقام عليها الحكم من قومه فانتشرت الجنود الانكليزية في انحاءها وقد نال ما نال من هذا الفوز السريع اثر المهرج والاختلاف بين الفرنسيين وانقسامهم احزاباً . ثم تزوج بكاترين ابنة شارل الرابع ملك فرنسا . وجمع بذلك تاجي انكلترا وفرنسا على أنه لم تطل مدة حكمه ولم يهنا بثمره فوزه حتى توفي سنة ١٤٢٢ في ابان عزه وشرخ صباه وعمره ٣٤ سنة . خلفه ابنه

« هنري السادس » وقد أُقيم على المملكتين وتوج بالتاجين وهو لا يزال في
 حضن مريضته في الشهر التاسع من عمره فكان كفيله في نيابة فرنسا الدوك
 دوفد فورت وكفيله في ملك انكلترا الدوك اوف كلوستر . وكان بدء حكمه
 مقروناً بالسعد . اما فرنسا فانها صارت مملكة انكليزية في كل احكامها وبقيت
 على ذلك حتى ظهرت فيها الفتاة الباسلة « جان دارك » التي لم تكن تتجاوز
 الثامنة عشر من عمرها فقادت جيشاً فرنساوياً قليل العدد طردت به الجيوش
 الانكليزية وفعلت فعلاً ادهشهم بها وانتصر فرنساويون انتصاراً عظيماً
 وانهزمت الجنود الانكليزية شرّ هزيمة وانجلت عن اكثر البلاد التي فتحوها
 ولم يعد لهم سوى كالي ومدينتين صغيرتين . وفي سنة ١٤٤٥ عقد الصلح بين
 فرنساويين والانكلز وتزوج هنري باحدى بنات امراء فرنسا واسمها
 مريغريت رانجو . ولم يكدم الصلح مع فرنسا حتى قامت الحرب الاهلية
 في انجلترا وهي الحرب المشهورة « بحرب الوردتين » استمرت نحواً من
 ثلاثين سنة واسبابها ان عائلة يورك نازعت في الملك عائلة لانكاستر .
 فانقسمت انكلترا الى حزبين كبيرين واتخذ الاهالي شعاراً دالاً على التبعية
 يمتاز رجال الواحد عن الآخر بوردة يضعونها على صدورهم فكانت حزب
 اليوركيين اي التابعين للدوك اوف يورك شعارهم الوردة البيضاء وحزب
 الانكستريين التابعين للملك شعارهم الوردة الحمراء . ومن ذلك سميت هذه
 الحرب بحرب الوردتين

فلما عقد الصلح مع فرنسا وتزوج ملك انكلترا بامرأة فرنساويه . تدمر
 الشعب فقام ريتشارد اوف يورك بانصاره محارباً فكانت له الغلبة وانتصر في

موقعة سنت البان سنة ١٤٥٥ وأسر الملك واتخذ لنفسه لقب حامي الملك
 فهبت وقتئذ زوجة الملك الاسير وهيّجت كونيّات الشمال على عائلة يورك
 فانكسرت اولاً ثم حشدت جيشاً آخر غلبته به شرّ غلبة بالقرب من وكفله
 وقبضت عليه وقطعت رأسه وتوجّته بتاج من ورق مقصوص ورقعته على
 اسوار المدينة وقبضت على ابنه روتلاند وهو يعجل بالفرار فلما مثل امامه اركم
 على قدميه يطلب منها الحياة بعفوها عنه فابتدره احد القواد بقوله « ان اباك
 قتل ابي فلا بدّ من قتلك وانصارك » قال هذا وطعنه بخنجر القاه صريعاً
 يحتبط بدمه . فكان موت هذا الفتى علّة لفظائع تقشعر منها الابدان اذ تأصل
 الحقد في الصدور ونصبت المشانق يشنق فيها كل قبيل أسراه بلا شفقة
 ولا مرحمة .

وقام وقتئذ « وادويك » احد انصار بيت يورك وقتن رعا لوندرا
 فنادوا بابن الدوك اوف يورك ملكاً باسم « ادوارد الرابع » في سنة ١٤٦١
 وكان هذا الشاب جميل الطلعة محباً للهو سفاكاً للدماء لم يحكم كثيراً حتى
 قامت الملكة مرغريت زوجة الملك الاسير تسعى في خلاص زوجها وظهرت
 من الهمة والنشاط ما تقصر عنه همم الرجال العظام فالقت الفتن بين رؤساء
 حزب اليوركيين حتى وقع الخصام بين وادويك قائد الحزب وبين الملك الجديد
 فانتصر الاول للملك الاسير واخرجه من السجن واعاده ملكه الغابر فعادت
 الحرب بين الحزبين وكانت الدائرة على اليوركيين ففاز الدوك يورك بنفسه
 وولى الى مدينة كالي في فرنسا يتأهب لاستئناف الحرب فاعاد الكرة في
 سنة ١٤٧١ وانتصر في واقعة بارنت وقتل وادويك في تلك المعركة ثم أسر

الملكة صرغريت وابنها والقاها في السجن حيث قتلت نفسها وقتل بعدها زوجها
 ولم يعد بعد ذلك من ينازعه في الملك الا انه استبدَّ في الاحكام ففسام السكان
 أشدَّ القساوة ثم انتقم من اخيه افطع انتقام فأماته في برميل من الخمر وتوفي
 سنة ١٤٨٣ بعد ان ترك ولدين وست بنات تزوجت أكبرهن بهنري السابع .
 وكان رتشرد الثالث دوك جلوستر وصياً على الولدين فطمع بالملك لنفسه
 وأباد مقاوميه من الحزب المملوكي وأمرَ بخنق الاخوين وألف له حزبا بايعه
 بالملك فاضطرَّ ايضا المجلس الاعلى الى مبايعته على انه استبدَّ كغيره في الاحكام
 واساء الى اليوركيين واللينكستريين معاً ولم يستمل اليه من الحزبين أحداً وأساء
 ايضا الى الدوك بوكنهايم وكان اخلص الناس اليه . فقام هنري ثيودور دوك
 روشموند ابن صرغريت من نسل اللينكستريين وتقرب من اليوركيين
 باقتراانه باليصابات اكبر بنات ادوارد الرابع فاستمال اليه بسبب هذا الاقتران
 ميل الحزبين وجمع حق الاثنين ولما كثرت انصاره قام بهمة واقدام مطالباً
 بالملك واشهر الحرب على الدوك جلوستر فكسره واثق القبض عليه ثم قتله
 فانقرضت بذلك العائلة اليوركية وانتهت حرب الوردتين التي دامت ثلاثين
 سنة أهقرت فيها الدماء كالسيول وراج سوق الهلاك والاعدام رواجاً لم يكن له
 مثيل فسلب الامن العام وصارت القوة للكبير والعظيم وعدل الفلاحون
 عن الزرع مخافة الاتحرق الحرب مزروعاتهم بنيرانها وتدمرها الحيل
 بحوافرها وعمَّ الفقر البلاد حتى صار الاهلون لا يورثون الا الملابس وجملة
 القول ان الجيل الخامس عشر كانت نهايته على انكلترا وفرنسا واوستريا
 وجرمانيا من اسوء الايام التي صرت على الانسان .

« اسرة تيودور »

من ١٤٨٥ الى ١٦٠٣

The House of Tudors

ما انتهت حرب الوردتين بين عائتي لانكاستر ويورك وانقرضت الاولى
فآل الملك للثانية حتى كثرت المآصيات وطمع بعض المعتصين بالملك وكان
من اخصهم دجآلان ادعى احدهما وهو ابن خباز انه ابن اخ الملك ادورد
الرابع لما كان بينهما من اوجه الشبه فعضده الايرلانديون وبعض اكابر
المملكة في طلبه فسار على انكلترا بجيش جرار لم يمد له الانكاز ادنى مساعدة
فانخذل وقتل وهو يولي الفرار . اما الثاني فكان ابن جزار ادعى انه احد
الاميرين الصغيرين اللذين قتلها رتشرد الثالث فالتقى القبض عليه وأُلحق
بخدم المطبخ الملوكي .

وكان هنري السابع رئيس هذه العائلة ميّالاً الى السلم فنشر الامان في
انحاء البلاد وسنّ مشروعا عظيماً قاضياً بان لا تُشهر احدى الدول الحرب الا
بعد توسط غيرها وتعذر اطفاء نارها وقد سعى جهده في محو ما بقى
للاشراف من النفوذ والسطوة . وكان دأبه حشد المال فباع الى كارلوس
الثامن ملك فرنسا مقاطعة بريتاني باربعائة الف ليرة . ثم فرض على رعيته
الضرائب الفادحة حتى خلف في خزائنه نحو العشرة ملايين من الجنيهات .
وخلفه ابنه « هنري الثامن » توج ملكاً على انكلترا وهو ابن ثمانية

عشرة سنة . وقد جمع بين العلم والظلم والشجاعة والاستبداد وكان سريع الغضب كثيرا ما أمر بقتل رعاياه وهو في حدة خلقه . اصلى حال الاساطيل الانكليزية ونظمها وسن القوانين للجنود وامر بزرع الاشجار لبناء السفن وقد بنيت في ايامه بعض المراكب الكبيرة التي سميت باسمه . وضم مقاطعة ويس الى انكترا ومنحها حق ارسال مندوبين من قبليها يحضرون في مجالسها . واهتم في ايامه المجلس الاعلى لتقرير وراثة الملك وعضد الاصلاح وامر بترجمة الكتب المقدسة الى اللغة الانكليزية وقد اكثر من التداخل في شؤون الممالك الاوروبية . واتحد مع عمه ملك اسبانيا لمحاربة فرنسا وفي سنة ١٥١٢ حدث واقعة هائلة بين العمارتين الانكليزية والفرنساوية قرب برست وهناك استعملت المدافع اول مرة في البحر .

ومما يروي عنه انه اقترن بست نساء عاملهن الواحدة بعد الاخرى بالتوحش والقسوة . كانت اولهن كاترين دراجون زوجة اخيه ولد له منها عدة اولاد ماتوا صغارا ما عدا ابنة تدعى ماري فتمنى ذكراً يخلفه في الملك ومال عن الملكة الى وصيفتها حنه بولين راقته هذه في عينيه لما بدا له من بهاءها وذكاءها فملقها وطالب من البابا طلاقه من كاترين واتخاذها بدلاً عنها فأبى عليه ذلك فشق عصا طاعته الدينية واعتنق المذهب البروتستانتي وتعصب له حتى امر بقتل من لم يعتنقه ودعا نفسه رئيسا للكنيسة الانكليزية واقترن بنجته بعد خصام خمسة اعوام انجلي عن حكم رئيس اساقفة كنتبري بفساد اقترانه بكاترين من اوله وان حنه هي امرأته الشرعية وهكذا توجت ملكة على انكترا باحتفال عظيم وولدت منه الملكة الصيابات . ولما ابتداء يكرهها ويميل

عنها الى جان سيموراتهمها بامور كثيرة واعدت للفحص عن سيرها لجنة تألفت من بعض اللوردات كان منهم والدها فقررت انها اتت المنكر مع الموسيقى وبعض الحشم الخاص فاصر الملك بنحق بعض المتهمين وقطع رؤوس البعض وحوكت حنه بولين امام لجنة اخرى تحت رئاسة عمها فحكم عليها بقطع رأسها وقد اظهرت من العظمة والسيف مشهر فوق رأسها ما يفوق تصويره الوهم . اما هنري فانه شغف بحب ابنة فقيرة تدعى كاترين هوار كان عالماً بها احد لوردات المملكة مالت عنه الى الملك ثم اجتمعت به في مقصورتها وكان اخيراً من حظهما ان قتلا في برج لوندرا ومات هنري في سنة ١٥٤٢ وله من العمر ٥٦ سنة

(وقد مثلت هذه الواقعة بقلم شقيق واضع هذا الكتاب في رواية تشخيصية تعرف برواية مطامع النساء)

وخلف هنري ابنه ادوارد السادس ما حكم غير مدة قصيرة حتى توفي في زهرة صباه فتولت بعده ماري شقيقته اكبر بنات هنري وهي المعروفة بسفاكة الدماء لانها كانت شديدة التمسك بالمذهب الكاثوليكي فاتخذت سلطانها واسطة لنشر المظالم الفظيعة ضد البروتستانت حتى كانت تأمر بزعج من لم يكن كاثوليكياً حياً في اتون النار ثم اقترنت بفليب الثاني ملك اسبانيا تحمساً لمذهبها واشهرت الحرب على فرنسا انتصاراً لزوجها وما عادت تلك الحرب على انكلترا سوى بفقد مدينة كالي آخر ما بقي لها في فرنسا وماتت ماري وهي في اتمس حالة بعد ان حكمت خمسة سنوات .

وخلفتها اليصابات اختها ، وقد تفردت هذه الملكة عن الجنس اللطيف

وتميّزت بمزايا نادرة المثال فكانت زكية الفؤاد سريعة الخاطر جمعت بين سمو مدارك الرجال العظام وشدة الميل الى الغضب والاستبداد في الاحكام وازدانت ايضاً بحسن النساء وشدة انفعالهن وكبرياءهن فكانت تزين وتتبرج وتغار من الحسان حتى لم تطق ان ترى احسن منها وجهها في عصرها . تعلمت اللغات اللاتينية والفرنسوية والايطالية والاسبانية والفلمنكية وترجمت مؤلفاً من اللغة الايطالية الى الانكليزية وكانت تقضي اكثر اوقات الفراغ في مطالعة التاريخ .

اما الانكليز فقد اقبلوا خبر تبوأها اريكة الملك بالاحتفاء والسرور وأملوا منها الخير لما قاسوه من المظالم في حكم اختها ماري السفاكة فحققت بذلك آمالهم ولاحظت القسط والعدل بينهم وشملتهم بفضائل كثيرة واختارت لان يكون وزيرها الاول ولیم سسل الشهير بخدمتها خدمة صادقة وتهالك في السهر على مصالح البلاد حتى شغل مكانة سامية بين رجال عصره وقد اخذت بناصر الحزب البروتستانتي فانتشر بحمايتها في انحاء اوروبا انتشاراً عظيماً وحاول كثيراً البابايوس الرابع ان يردها الى المذهب الكاثوليكي فذهبت مساعيه ادراج الرياح

وفي سنة ١٥٦٣ طلب اليها البرلمان ان تتأهل لان يرث الملك كان من صالح المملكة فتقدم لها الراغبون من اشراف البلاد واعيانها افراداً وازواجاً وطلبها ايضاً شارل التاسع ملك فرنسا ثم كارلوس ابن امبراطور المانيا وفليب الثاني ملك اسبانيا زوج اختها فامتنعت ورفضتهم جميعاً واظهرت انها تكره الزواج وتفضل ان تبقى حرة على جسمها كما هي على مملكتها ولكنها كانت

علقة بحب احد كبار مملكتها ويدعى « إرل لستر » شغل في جنباتها المنزلة العليا فعلمت عواطفها عليه وازدادت له يوماً فيوماً تعطفاً وتودداً فلمبت به المطامع حتى خيل له انه لم يعد عليه إلا ان يمد يده ويضع تاج المملكة على رأسه ويصير نحر الامة ورأس المملكة الانكليزية ولذلك فتك بزوجه ظلماً وعدواناً غير ان الملكة لم تحقق احلامه فكانت في حبها شديدة الانفة والعزّة وقد تداخلت كثيراً في شؤون اسكوتلاندا وانتصرت للبروتستانت فيها فعظم شأنهم حتى ابغضوا ملكتهم « ماري استوارت » التي كان ينظر لها كاثوليكيو انكلترا واسكوتلاندا كمنقذة مذهبهم من المذهب البروتستانتي ومن الیصابات زعيمته وزاد بغض الاسكوتلانديين لها قتلها لزوجها وهاجمهم فعلها هذا فزجوها في معقل حصين وساموها جحد مذهبها علناً فأبت وابشت سجينةً حيثما تخضت عن ولدها جيمس الاول الذي وحد مملكتي اسكوتلاندا وانكلترا فيما بعد ثم ارسلت تستجير بحمي ابنة خالتها الیصابات فكانت كالمستجير من الرمضاء بالنار فان الیصابات استقدمتها اليها بأمان ثم امرت بزجها في السجن وبقيت فيه مدة ١٨ سنة اتخذت في اسنلها وسائل حجة للخلاص فلم تفلح حتى اوجست الیصابات خيفةً على نفسها اذ قام حزب يدس الدسائس فمقدت مجلساً حكم على ماري بالقتل في سنة ١٥٧٧ ثم قتلت معها ايضاً كثيراً من المتآمرين

وفي مدة حكمها حصلت في فرنسا مذبحه ماري برثلماوس الشهيرة سنة ١٥٧٢ وقد نشأت عن النزاع بين البروتستانت والكاثوليك وكان ملك فرنسا وقتئذٍ بالاسم فقط شارل الملقب بالضعيف واما المالكة فعلاً فكانت

امه « كاترين » وهي التي اضطرت الى اصدار الاوامر بذبح البروتستانت فاصدرها وجرت الدماء سيولاً في كل مدن فرنسا وقراها وقدّر عدد من قتلوا بخمسين ألفاً تقريباً .

هذا وان العقائد الدينية كانت قاسمةً وقتئذٍ دول اوروبا الى شطرين الدول الكاثوليكية والدول البروتستانية ودامت نيران الحروب والفتن مشتعلة بينهما تارة تحوز النصر فة وطوراً تفوز به أخرى وكان ذلك منذ بداية القرن السادس عشر الى منتصف القرن السابع عشر ولم تعقد شروط الصلح النهائية الا في سنة ١٦٤٨ وهي شروط وستيفالي الشهيرة وكان سكان اوروبا واكثرهم من الفرنسيين والهولانديين والجرمانيين يتركون بلادهم ويطوفون البلاد طالين حرية الدين فأمّ اكثرهم انكاثرا واستجاروا بجمي الاصابات ونشروا ما يلمون به من الصنائع والفنون فادخل الهولانديون الشاي والجرمانيون الساعات وعلم الفرنسيون الاهلين اشياء أخرى كثيرة مما كان مجهولاً او غير متقن وعرفت زراعة البطاطا والتبغ كل هذا ساعد على تقدم البلاد ونجاحها .

وكان البابا سكستس الخامس وفليب الثاني ملك اسبانيا من الداعاء الاصابات فجاوزا الطور بمناوئتها ومخاصمتها اما هي فتأهبت للكفاح بهمة الابطال . وكان فليب قد ارسل جيوشه الى هولندا لنشر المذهب الكاثوليكي فيها فشنت عليها الغارة ودمرت مساكن الاهلين واتت من الفظائع والمنكرات ما تقشعر له الابدان وتمزق منه كبدا الانسانيه فارسلت جنودها لخالصهم وبادتهم بالجميل والمعروف فظفروا بالحرية

الدينية والمدنية معاً حتى تعلقت قلوبهم بحبها وطلبوا منها ان تكون ملكتهم
فامتعت

ولما انتشبت نيران الحرب بين فرنسا واسبانيا اُمدت ايضاً فرنسا وبن
بالمال والرجال واصدرت اوامرهما الى عماراتها البحرية بان تناوي اسبانيا في
شواطئ مملكتهما فعادت لها ظافرة غائمة وهكذا فقد كانت على تلك البلاد
صاعقة سخط ونقمة . حينئذٍ اشهر عليها البابا حرباً صليبية وادّعى فليب أنه
الوارث الشرعي لعائلة لانكاستر بعد زوجته ماري فجهازا عمارة بحرية عظيمة
وهي « الارمادا » الشهيرة وكانت مؤلفة من عدد وافر من بوارج حربية
وبوارج اخرى كثيرة لنقل المهمات وارسلها تحت رئاسة القواد المجريين
لافتتاح انكلترا واخذوا سطوة اليصابات ولكن السفن بمسيرها اتها من
الارياح مالا تشهيه فهاجت عليها انواء شديدة اعدمت جانباً عظيماً منها وما
بقي بعد صبر عليه قواد البوارج الانكليزية حتى قربت منهم فاطلقوا عليها
المقذوفات النارية فدمرتها عن آخرها ومن ذلك العهد انحط شأن اسبانيا بعد
ان كان لها المقام الاول بين ممالك اوروبا والسيادة العظمى على البحار والامصار
ولما كثرت الشركات التجارية التي كانت تذهب الى الاقطار السحيقة
بقصد التجاره واستكشاف البلدان امرتها الملكة اليصابات بتسليح مراكبها
واستخدمت بعضاً من طباط هذه المراكب في العمارة الملوكية وقام في ذلك
الحين كثير من القواد الذين احلوا العمارة الانكليزية المحل الاول نظير دراك
ورالي وهو كنس وهورو وغيرهم
ولبثت هذه الملكة تحبب ملكها البهاء والفخر وحبها لارل استريزداد

يوماً فيوماً وكثيراً ما كان يخونها وكانت تسامحه حتى لم تعد تطق صبراً على فراقه فعرضت على وزرائها بان تجعله ثانياً لها في المملكة فعارضوها أولاً ثم طلبوا مدة لفحص طلبها توفي في غضونهما فمابكتها طويلاً حتى سطا على قسوة قلبها شاب في مقتبل العمر وزهرة الحياة فرقته الى أعلى المناصب وغمرته بالانعام ثم خانها ومال عنها الى غيرها واقترب بها فخيبت عليه ظلمات غيظها وزجته في السجن ثم لم تلبث ان انقلب عنه من الجفاء الى الرضا فاخرجته من السجن وأمنت بوادر غضبها ثم ارسلته في مهمة الى ايرلاندا لم يفلح بها فعاد رضاها عليه الى السخط وجاهر هو ايضاً بالمصيان فاصرت بمحاكمته وقتله ولكنها لم تستطع التجلد والصبر على فراقه فبكته بدموع سخينه رغماً عما اشتهرت به من تغلبها على عواطفها ثم استسلمت للحزن والقهر نادمة على ما فرط منها وأثراً الهزال في جسمها فلحققت به بعد سنين وتوفيت وهي في السبعين من عمرها وبوفاتها انقرضت الاسرة اليتودية وحكم هذا الملكة في التاريخ الانكليزي من ازهي الايام وازهرها فقد كان عهد الاختراع والاكتشاف والتقدم والنجاح فعملت المركبات وازدادت الاساطيل البحرية ودار الانكايز حول الكرة الارضية وتأسست لأول مرة الشركات التجارية في الهند وامريكا ونشأ في الانكايز حب الاستعمار والاسفار واتسع نطاق التجارة وتوفرت اسباب العمارة وضرب الامن اطنابه في اطراف البلاد ونبع عدد وافر من العلماء والشعراء والفلاسفة ورجال الحزب والسياسيين والمؤرخين منهم الاورد باكون الذي حوّل مجرى العقول عن السبل اللاهوتية الى السبل الطبيعية بتأليفه الفلسفية ومنهم وليم سسل الشهير والسر

ولتر رالي المؤرخ وشاكسير الشاعر وغيرهم من مشاهير الرجال الذين
نبغوا في مطالب مختلفة فجعلوا لانكلترا مقاماً عظيماً حتى صارت في حكم
اليصابات متحد المدينة ومعدن الثروة وقطب دائرة العلوم والمعارف



« أسرة ستوارت »

« The House of Stuarts »

رأس هذه العائلة « جمس الاول » ابن ماري ستوارت دُعي ملكاً على
سكوتلاندا حين ولادته بوكالة عمه وحماية اليصابات التي اقرت له في حياتها
بالخلافة من بعدها . ولما توفيت توج ملكاً على انكلترا وضم اليها سكوتلاندا
فاتحدت وقتئذ المملكتان وصارتا مملكة واحدة . وكان جمس خشن الطباع ضعيف
الرأي فاسد الاخلاق قبيح المنظر نهج على سياسة عوجاء في كل أعماله واعاد
المظالم على الكاثوليك مما حمل الشعب وخدمة الدين الى بغضه واحتقاره
فتألب عليه بعضهم واتفقوا على وضع لغماً من البارود اسفل قاعة البرلمان
واخذوا يترقبون وقت الثأمة وكان بينهم ابن اخي اللورد موتجلو من اعضاء
البرلمان فكتب الى عمه يحذره من حضور تلك الجلسة في اليوم الموعد
واوضح له السبب في ذلك فأخذ هذا الكتاب واطلع الملك عليه الذي اصر
بالقبض على المتآمرين وشدد الوطأة على الكاثوليك وحرّمهم من التمتع باكثر
الحقوق وقضي عليهم بالبعد مسافة خمسة عشر كيلومتراً عن عاصمة المملكة

ورام ان يستبد في الاحكام بلا منازع فجاهس في البرلمان بأن للملوك امثاله حقاً
الاهياً فاذا عدلوا او ظلموا واذا فعلوا ما شاؤوا فلا نقض ولا ابرام فساء هذا
التصريح اعضاء البرلمان وسمعوا في وضع حد لحقوق الملوك على الرعايا وفي مدته
اشهر الدوك بكنهام وحكم اثنين وعشرين سنة انخط فيها شأن انكثرا وصار
دون ما كان عليه في عهد الملكة اليصابات .

وقام بعده ابنه « تشارلز الاول » سر الشعب لدي تبوأه اريكة الملك
واملوا منه الخير لما اشتهر عنه من الاخلاق الحسنة وقد اقترن في عهد ابيه
بهنريت ابنة هنري الرابع ملك فرنسا وكانت كاثوليكية المذهب فعضدت
الكاثوليك حتى كاد المذهب الكاثوليكي والمذهب البروتستانتى ان يكونا على
على قدم المساواة بيد انه اخلف ظن الشعب فيه واثار الاضطهاد على
الكاثوليك ورام ان يستبد كايه في سلطته معتقداً مثله بان عامة الناس
ما خلقوا إلا لتسلط الملوك عليهم تساطاً مطلقاً فشرع في حل البرلمان الممثل
لهيئة الامة إلا ان اعضاءه تصدوا له معارضين فزلهم واستبدلهم بغيرهم كانوا
اشد مقاومة من المتقدمين حتى اذا اضاق ذرعاً عن اذعانهم لرغائبه ابطال
مجلسهم واستقل بالاحكام احدى عشرة سنة يعضده اثنا من اخص
مستشاريه وهما « لود » و « ايرل سترافورد » فتم على التسوس بان لا يعطوا
في الكنائس وعلى الالهيين بان ينقطعوا عن التبعيد فيها واضطهد بعضهم حتى
اضطروهم ان يهجروا مواطنهم افواجاً افواجاً ويستوطنوا الجهات الشمالية من
الولايات المتحدة وقد استمرت هذه المهاجرة سبعة اعوام متتالية نفشى الملك
من عواقبها واصدر الاوامر بمنعها وكان بعض الاشراف ككرمريل وبيم

وهم يدين وغيرهم عازمين على الرحيل فصدّهم عنه فخذوا عليه وصاروا من
اشد اعدائه وانضم اليهم كثيرون غيرهم وطلبوا منه قتل مستشاريه وتنازله
عما يدعيه من السلطان المطلق وان لا يكون له ادنى حق في حل البرلمان
بدون مصادقة أكثر اعضاءه فرفض الملك ذلك بتاتاً

فقام النزاع على قدم وساق وانقسمت البلاد الى حزبين حزب الملك
وتألف من اعظم المملكة وشبانها واساقفتها وحزب البرلمان وتألف من عامة
الشعب الذي ثارت فيه روح الحرية فهبّ لأول مرة يطالب بحقوقه
المهضومة وكان المؤلف لشمّل هذا الحزب على نفقته الخاصة اوليفر كرمويل
كان من اكابر المملكة وعلى جانب عظيم من الذكاء والدهاء تألب حوله عصابة
من الرجال الاشداء مالوا اليه لما آتسوا فيه من شدة البأس وعلو الهمة وتكوّن
منهم جيش عظيم كان رئيسه ورئيس تلك الثورة ولما شبت نيران تلك
الحرب الاهلية اظهر من الشجاعة ما لا مزيد عليه واستظهر بجيشه على
جيش الملك في موقعين عظيمين فاسره وسجنه واقام الحجة عليه امام البرلمان
وطالب من الاعضاء الحكم باعدامه فهال بعضهم هذا الطلب وأبوا
المصادقة عليه وكان الجيش الذي يقوده وقتئذٍ مصدر القوة فظهر به على
مقاوميه واعمل في رقاب بعضهم السيف واستبدلهم بمن جاروه على طلبه
وحكموا بقتل الملك وقد نفذ هذا الحكم بقطع رأسه امام قصر «ويت هول»
غير أن بعض المظالم عدوا ذلك الحادث مصاباً عظيماً على المملكة فالتفوا حزباً
ضده الاّ انه انتصر عليهم انتصاراً عظيماً اوهن قواهم وزحف على ايرلاندا
ففتحها ودوّخ قسمًا كبيراً من سكوتلاندا ثم وجه جهده الى اخضاع الثورات

وتغيير هيئة الحكومة من ملكية الى جمهورية فهد الامور بما كان عليه من
الدهاء والذكاء حتى عاد عظماء المملكة واعيانهم وتألّوا حوله وسلموه زمام
الاحكام كما كان متقلداً قيادة الجيوش ودعوه في سنة ١٦٥٤ «حامي حمي
جمهورية انكلترا»

«وقد وصف جيزو المؤرخ الفرنسي الشهير هذه الثورة بقوله : ان الثورة
الانكليزية كانت سياسية في طبيعتها وقد تمت في عصر ديني ووسط شعب ديني وكانت
تخدمها التصورات والتعصبات الدينية غير ان النية الاصلية والغاية النهائية كانتا سياسيتين
فكان القصد منهما نسخ السلطة المطلقة وتأييد مبادئ الحرية التامة »

وقد قام كرمويل بمهام رئاسة الجمهورية بحزم وحسن تدبير مدة خمسة
اعوام سنّ فيها شرائع جاءت مطابقةً لمقتضيات الامة في ذلك العهد ولما
صفت له الايام ولم يعد من يزاحمه في سلطته طمحت انظاره الى الاستئثار
بالملك بيد انه لم يعلن رغبته هذه لعله بميل الجند الى الجمهورية التي أخذت
في مدتها الثورات والحروب الاهلية وعظم شأن انكلترا فهابتها الممالك العظيمة
وبعد وفاة كرمويل خلفه ابنه رتشرد لم يلبث قليلا في المنصب الذي
ورثه عن ابيه حتى استقال منه اذ رأى نفسه غير كفوء له فوقع النزاع بين
رجال الادارة وقواد الجيش حتى آل الحال الى قلب نظام الحكومة من
جمهورية الى ملكية .

وأول من سعى في تغيير هذا النظام الجنرال «منك» كان شهيداً شجاعاً
تولّى قيادة الجيش بعد موت كرمويل فاستدعي تشارلز الثاني وهو بكر تشارلز
الاول هرب بعد قتل ابيه واخذ يطوف البلاد دون ان يقر له قرار وقد

وقد لبّي طلب منك ليخلص من شظف العيش ودخل لوندرا باستقبال عظيم
وتوّج ملكاً بلقب تشارلز الثاني فأثر ان يعيش على عرش ملكه الجديد
مرتاح البال وعكف على معاقرة بنت الحان والانتقام في الملذات ثم انتقم
من كان لهم يد في قتل ابيه . وفي مدة حكمه كان الهولنديون يسابقون
غيرهم في التجارة حتى اوصلوها الى الهند والصين واطراف امريكا فوقع
الحصام بينهم وبين الانكليز واشتبك القتال في عدة مواقع ثم عقد بينهما
الصلح واشتركت معهما مملكة « اسوج وزوج » فاتحدت الثلاث دول اتحاداً
ثلاثياً تنازلت فيه هولاندا لانكترا عن املاكها الاميركانية على انه لم
يمض قليل على هذا الاتحاد حتى انحازت انكترا لفرنسا واتفقت معها على
محاربة حليفها هذه فاصطلت نار الحرب بحراً بين الاسطول الهولاندي
والاسطول الانكليزي فتمكن بذلك الفرنسي من شن الغارة برّاً على
هولاندا والفتك بها وقد اسأت سياسة هذا الملك اعضاء البرلمان فطلبوا منه
مطالب عدة سلم لهم بها وكثرت في مدته انتفاقل وعاد تعصب المذاهب
الدينية يفرق الاهلين واصيبت البلاد بوباء عظيم تلاه حريق اعظم كل هذا
وهو في غيه المعهود . ثم جدد عهود الصلح مع هولاندا وازوج ابنته صريم
بالبرنس وليم اورانج الهولاندي تعزيزاً لدعائم هذا الاتحاد وتوفي بجأة سنة
١٦٥٨ خلفه اخوه « جيمس الثاني » وكان كاثوليكي المذهب اتخذ سلطته الملوكية
واسطة لتعميمه بين الانكليز ولم يعد يستخدم لادارة مهام الحكومة سوى
الكاثوليك او البروتستانت الذين كانوا يرضون بعمل الكاثوليك . وفي مدة
حكمه جهز ملك فرنسا اسطولاً كبيراً لافتتاح انكترا فالتقت به اساطيل

الانكيز تحت قيادة الاميرال رسل ودامت نيران الحرب مستعرة نحو اربعة ايام فانكسر الاسطول الفرنسي وبني الانكيز مستشفى « كرينوتش » تذكراً لهذه الواقعة ثم جعل هذا المستشفى مدرسة لتعليم العلوم الحربية وقد نهج جسم هذا سياسة عوجاء فجعل سياسة بلاده الخارجية تابعة لسياسة فرنسا لان سياسة تلك المملكة كانت ضرورية لتأييد سياسته في بلاده وكان البابا وحكومة اسبانيا وجرمانيا مقاومين لاعماله وسياسته كذلك عظماء المملكة واعيانها الذين بغضوه فكان النزاع بينه وبينهم مستمراً ولذا كان يوقف البرلمان حيناً ويرضى عنه احياناً . ولما اشيع انه ولد له صبي يرثه اطبق رأي الامة ان الولد ليس ولده فاقى هذا الحادث باعثاً على الثورة واطبق الانكيز وقتئذ على خامسه وطلبوا الى وليم برنس اورانج ان يوافي بلادهم ليلمكوه عليهم فسافر بحراً من هولاندا بجيش تألف من خمسة عشر الف مقاتل ففتحت له ابواب البلاد بلا نزاع وركن جسم الى الفرار واحتفى بلويس الرابع عشر ملك فرنسا وبايع الاشراف والاعيان وليم وتوجوه وزوجته سنة ١٦٨٩ تحت لقب الملك « وليم الثالث » والملكة ماري .

ويعرف هذا التغيير في التاريخ الانكيزي بثورة سنة ١٦٨٨ المجيده فان وليم عضد الاصلاح وجدد ما اندثر من قوانين البلاد واطلق الحرية التامة للديانات والمطبوعات وكان من جملة ما وضعه من القوانين التي لا تزال متبعة الى الآن ان لا يتولى ملك على انكترا الا اذا كان بروتستانتى المذهب وفي مدته اتم انكترا خمسون الفاً من بروتستانت الفرنسيين هربوا من لويس الرابع عشر اذ حرمهم ما منحهم جده هنري الرابع من حرية الدين وكانت

أكثرهم من ذوي المعارف وأرباب الفنون والصنائع فنشروا بين الإنكليز ما يعلمون ويعرفون فأتسع بهم نطاق الأعمال فخلق من ذلك لويس الرابع عشر واعترف بابن جس الثاني ملكاً على انكلترا بعد وفاة أبيه فهاج وقتئذ الإنكليز وتأهب ولهم لمحاربتة إلا أن المنون عاجلته فوقع عن جواده وهو في الصيد وتوفي سنة ١٧٠٢ خلفته الملكة حنه وهي ثانية بنات جس الثاني نشأت على مبادئ كنيسة انكلتره الاسقفية وافترنت سنة ١٦٨٣ بالبرنس جورج اخي كريستيان الخامس ملك الدانمرك ولدت منه سبعة عشر ولداً ماتوا كلهم اطفالاً واشتبكت في مدة حكمها انكلترا بالحروب المعروفة بحروب الوراثة الاسبانيولية انتصرت فيها مع مملكتي بروسيا وهولاندا للنمسا وكانت الدائرة فيها على فرنسا واسبانيا وقد اشتهر فيها ايضاً البطل العظيم الدوك مابوروك من عائلة تشرشل بانتصاره على الفرنسيين في وقائع معدوة وقد اتحدت انكلترا واسكوتلاندا اتحاداً تاماً في سنة ١٧٠٧ ثم جددت المعاهدة الثلاثية مع هولاندا والمانيا واستولت على مضيق جبل طارق بعد وقائع مشهورة مع فرنسا واسبانيا .

ويطلق على حكم هذه الملكة البالغ قدره اثني عشرة سنة اسم « العصر الاوغسطي للاداب » فان الجرائد انتشرت في ايامها كثيراً وازهرت الآداب بما نبغ من مشاهير العلماء والفلاسفة والكتاب كنيوتون ولوك ودريدن وغيرهم من مشاهير كل فن ومطلب وتوفيت حنه فجأة سنة ١٧١٤ وبموتها انتقل الملك الى اسرة هانوفر .

أسرة هانوفر

« The House of Hanover »

هي العائلة المالكة في انكلترا الآن اصلها من المانيا آل امير الملك اليها بعد نزاع قام بين الانكايز لتقرير وريث للملكة فقد رام بعضهم ان تكون صوفيا اكبر بنات جمس الاول وحاول غيرهم ان يكون ابن جمس الثاني واستمرت الآراء متفرقة حتى توفيت الملكة ولا وريث لها فتألب عظماء المملكة واستدعوا اميراً المانياً من آل هانوفر (مملكة من المانيا) ليملكوه عليهم . فكان اول ملوك هذه الأسرة توج سنة ١٧١٤ بلقب جورج الاول إلا ان اهالي سكو تلاندا وشمالى انكلترا عدوه غريباً عنهم لجهله لغتهم وعوائدهم وميله الى سكن هانوفر بلاده أكثر من ميله الى سكن بلادهم فنشأ عن ذلك النزاع وحصلت بعض المناوشات لاعادة الملك الى اسرة سوارت إلا انها لم تأت بطائل فقبض على العصاة ونالوا اشد عقاب .

وقد نالوا الاسبانول في عهد حكم هذا الملك صراكب الانكايز في مستعمراتهم الاميركية وحاولوا اعادة جبل طارق لهم فخاربهم الانكايز صراراً وانتصروا عليهم . وتوفي جورج سنة ١٧٢٧ ولم يكن لحكمه شأن يذكر في التاريخ الانكليزي

وخلفه جورج الثاني فاستأنفت انكلترا في بدء حكمه محاربة اسبانيا ووقع لها مع فرنسا حروب كثيرة في اميركا نشأت عن الخصام المستمر الذي

كان بين مهاجري الملكتين على تلك الاصقاع السحيقة . وقد ظفرت انكلترا في اكثر هذه المواقع واستولت على مدينتي لويز بورك وكوبك وهما من امع المستعمرات الفرنسية سيما كوبك فانها كانت مفتاح ولاية كنادا . وكان يقود الجنود الانكليزية الجنرال ولف وهو من نوابغ عصره في الشجاعة والاقدام .

وتوفي جورج الثاني فجأةً خلفه ابنه « جورج الثالث » سنة ١٧٦٠ وهو في الثالثة والعشرين من سني الحياة فاقتنر بشارلوت صوفيا شقيقة الدوك مكلمبرج فولدت منه خمسة عشر ولداً مات منهم اثنان وشاركته في الملك سبعاً وخمسين سنة حدث خلالها في المملكة الانكليزية اهم الحوادث الخطيرة فقد عقدت مع فرنسا معاهدة الصلح سنة ١٧٦٣ وبمقتضاها تنازلت لها هذه المملكة عن ولايات كنادا وعن جميع املاكها الشمالية فاضافتها الى مالها من المستعمرات الكثيرة المنتشرة في تلك الاقطار .

وبدأت منذ سنة ١٧٧٤ الى سنة ١٧٨٣ بالحرب مع الولايات المتحدة ولا يخفى ان سكان هذه الولايات تكون معظمهم من الانكلز الذين نزحوا من انكلترا افواجاً افواجاً خصوصاً في القرن السابع عشر هرباً من اضطهاد عائلة استوارت الكاثوليكية . وقد مدّت انكلترا سلطانها عليهم ووزعت الحكم على كل الولايات فاسأوا الى الاهلين حتى اضطروهم الى التظلم والشكوى فلم تر انكلترا بداً من تلبية طلبهم واستبدال الحكم بمن يقع عليهم انتخاب الاهلين بحيث يكون المرجع اليها في كل الاحوال . ولما رأت خيرات البلاد ضربت الاموال على الاهلين وقررت الضرائب

وقضت بوجوب استعمال ورق التمنه في صكوك المبايعات والمعاهدات وامتلاك الاراضي فمقد الاميريكان الاجتماعات الكبيرة في نيويورك وقرروا رفض ما فرضته ثم قررت دفع الجمر على الشاي الوارد لبلادهم فأبوا ايضا الاذعان لهذا القرار فتبين لها من ذلك أنها لم تعد قادرة على بسط نفوذها على تلك البلاد . وكانت بعض الدول من المعاديات لها كفرنسا واسبانيا وهولاندا تحرك الاميريكان على المصيان وتعدهم بالمساعدة عند الحاجة . فاثارت ايضا هذه الاسباب شرر الحرب بين الطرفين وجرى بينهم مواقع كثيرة يطول شرحها كان النصر والفوز في أكثرها للانكليز ماعدا واقعتين عظيمتين احدهما في ساراتوكا سنة ١٧٧٧ فاز فيها الاميريكان فوزاً عظيماً والثانية في مدينة يورك التابعة ولاية فيرجينيا وقد نال في هذه الواقعة الجنرال واشنطن قائد الجيوش الاميريكانية الامداد من العمارة الفرنسية التي امسكت على العمارة الانكليزية فم نهر يورك لنحول دون المساعدة التي كانت تتطرها وقد بذل اللورد كورنواليس قائد العمارة الانكليزية جهده في المدافعة والمصادمة الا انه اضطر الى التسليم

وبعد هذه الوقائع العظيمة رأت انكلترا ان مشاربتها على الحرب تضطرها الى تحويل قواها عن مقاومة بعض الممالك الاروية كفرنسا وهولاندا واسبانيا التي اتحدت ضدها فكفت عن الحرب واخلت الولايات المتحدة من جنودها في سنة ١٧٨٣ واقرت في باريس باستقلالها استقلالاً تاماً ثم عقدت معها المعاهدات التجارية وجميع الشروط التي تبطل الخصام والنزاع وكانت اسبانيا تحاول في أثناء تلك الحرب اعادة جبل طارق اليها فلم

تجدها تلك المحاولة نفعا كذلك ايرلاندا فانها بعد ان حصلت في سنة ١٧٨٢ على برلمان مستقل اغرتها فرنسا وحملتها على العصيان في ١٧٩٨ الا انها لم تحصل على مساعدة فعالة من الجمهورية بل خابت وتيسر لانكلترا قمع الثورة حالا ومعاقبة الثأرين ثم قرر البرلمان الانكليزي في سنة ١٨٠٠ انضمام المملكتين نهائيا والغاء نظام البرلمان الارلندي ومنح الارلنديين حق ارسال النواب عنهم الى البرلمان الانكليزي

وفي حكم جورج الثالث اشهر نوابغ من رجال السياسة كفو كس وشريدان وبورك وغيرهم الا ان اعظمهم كان وليم بيت الشهير تولى رئاسة الوزارة الانكليزية من سنة ١٧٨٤ الى سنة ١٨٠١ اي مدة سبعة عشرة سنة تهالك فيها على خدمة وطنه بهمة واخلاص حتى خيل للعالم انه ما خلق الا ليكون دعامة تقدم الامة الانكليزية وركن سعادتها . وقد كان شديد الوطأة على فرنسا فناوأها مناوأة عظيمة وحمل اولاً انكلترا على اتحادها مع بروسيا ومساعدتها في الحروب التي كانت وقتئذ بينها وبين اوستريا بسبب بولونيا وبعض املاك جرمانيا ولما كانت فرنسا من المتحالفين على بروسيا اضطرت عند ما رأت عداوة انكلترا لها ان توجه جهدها وتحصن قوتها في اوربا لمقاومة خصومها فنجم عن ذلك ضعفها في الخارج وبذا اغتتم الانكليز سnoch تلك الفرصة فامتلكوا بعض مستعمراتها واستعمروا غيرها

وفي حكم جورج الثالث ظهرت الثورة الفرنسية فلما ثملت الحكومة الجمهورية الجديدة بالقوز الذي نالته سعت في اثارة روح الثورة في العالم اجمع ونشرت تعرض مساعدتها لكل امة ترغب في ان تتهج خطتها لتنال حريتها

وكاد روح هذه المبادئ يعم بين عامة الشعب في انكلترا فحذر بيت من غوائلها وسعت الحكومة على منعها واستئصالها ثم حولت قواها الى محاربة فرنسا .

وكانت حكومة الديركتوار قد جهزت لنابليون بونابرت اربعة وثلاثين الف جندي مع السفن الحربية والبحرية ووجهته لفتح الديار المصرية فاستولى على الاسكندرية والاساكن البحرية وتقدم بجنوده الى داخل البلاد فخافت انكلترا على مستعمراتها في الهند وغيرها وارسلت الاميرال نيلسون بعارة بحرية عظيمة حطمت بها العماره الفرنسيه في ابي قير وذلك في سنة ١٧٩٨

وفي سنة ١٨٠١ اشارت فرنسا وروسيا على مملكتي الدانمرك واسوج ونروج بمحاربة انكلترا فاشتبك القتال بحراً في كوبنهاجن وكان السير هيد پاركر رئيس العماره الانكليزية فوج بها الاميرال نيلسون الذي شرع فرتبها على نظام عجيب ثم هجم بها على الاعداء فحطمت بوارجهم وضعضع احوالهم وعقد في النهاية الصلح على شروط كثيرة .

وعادت بعد ذلك انكلترا تناوى نابوليون باغراء بيت رئيس وزارتها فانه كان يهتف دائماً بين قومه في البرلمان بان نابوليون لا يروق في عينيه الا سفك الدماء انهاراً في اواسط اوروبا وان الطمع هو المحرك الاول لكل اعماله وان انكلترا ترج بمحاربته حتى النهاية اكثر مما تخسر . فلما توج ابراطوراً على فرنسا وملكاً على ايطاليا ودان له السعد وصار في يده عنان اعظم الممالك الاوروية يديرها كيف يشاء اعترف له الكل بالسيادة ما عدا انكلترا فانها ابت ان تعترف له بشيء من ذلك ورفضت مخبرته بشأن الصلح فحوّل

نابوليون بعد هذه الاهانة جهده للانتقام واخذ يهيأ الجيوش ويعد الممدات لقطع بحر المانش وغزو الجزائر البريطانية . اما انكلترا فانها هيجت عليه دولتي النمسا والروسيا إلا انه انتصر عليهما ودخل فينا عاصمة النمسا ثم اتحد مع اسبانيا على محاربتها وكانت عمارتهما تبلغ الاربعين بارجة فالتقاهما الاميرال نيلسون بسبع وعشرين بارجة حربية واشتبك القتال بين الفريقين في طرف افغار (او طرف الاغر) وبعد موقعة عظيمة أسر اميرال الفرنسي وتلف من بوارج الانكليز ١٩ بارجة وفي هذه الحرب أصيب الاميرال نيلسون برصاصة اصابته ظهره وكسرت العظم فاسلم الروح وهو مسرور بذلك النصر الذي امتلكت انكلترا على إثره ناصية البحر حتى لم تعد تنازعها في سيادتها مملكة من الممالك ومن ثم تلاشت قوة نابوليون البحرية ولم يعد لها قائمة

ولما كانت انكلترا تكتسب هذا الفوز العظيم أصيب ملكها جورج الثالث بضرب من الجنون فاقم بالنيابة عنه ولي عهده وفي زمن نيابته استأنفت انكلترا مناوأة نابوليون وسعت مع الدول المتحدة وهي روسيا والنمسا وبروسيا واكثر ولايات الالمان على محاربته وابادة ما بقى من سطوته وقد وصلت الى غايتها في واقعة واطرللو .

وواطرللو هذه بلد في بلجيكا حصلت الواقعة في سهل فيها يبلغ طوله نحو المليون فاقبل ولقتون قائد الجيوش الانكليزية بجيش عدده ٧٢ الف مقاتل مختلط من انكليز وبلجيكيين والمان ومعهم ١٨٠ مدفعا بينما كان نابوليون يقود جيشاً من الفرنسيين عدده ٨٠ الفاً ومعهم ٢٥٠ مدفعاً وكانت هذه

الواقعة من اشهر الوقائع وتلك الحرب من اغرب الحروب لانها كانت بقيادة بطلين عظيمين كان النصر يسير بركاب كل واحدٍ منهما اينما سار فألفا من جيوشهما خطوطاً وصفوفاً في ذلك السهل وكان نابوليون وقتئذٍ فرحاً مسروراً من ترتيب عسكره حتى قال لمن حوله من القواد ان النصر سيكون له . وما جاءت الساعة الحادية عشرة من صباح ذلك اليوم حتى اطلقت الجيوش الفرنسية مدفعاً من وسطها ثم اعقبته باطلاق البنادق وهجمت على مينة الجيوش الانكليزية فقاومتها ما امكن واشتبك القتال بين الفريقين فلاً الجو من رعود المدافع ودوي البنادق . وكان كل من نابوليون وولتون يديران رخي الحرب بملء الشجاعة والاقدام ويشددان عزائم جيوشهما ويحضنهما وهي تطلق الموت الاحمر وقد تفننت الجيوش ذلك اليوم في ضروب القتال فكانت تنساب تارة على الجبال والآكام كالثعابين وطوراً تنطرح على الارض اتقاء النار وبعد قتال ثمان ساعات قسم نابوليون الحرس الملوحي الذي كان يعتمد عليه في كل مواقعه الى فرقتين واصرهما بالهجوم من جهتين متضادتين فهجمت الفرقة الاولى هجمة الاسود الكواسر فالتقتها المدافع الانكليزية بمقدوفاتها الجهنمية فارتدت مذعورة ثم هجمت الفرقة الثانية فأصر نابوليون جيوشه ان تنطرح على الارض حتى يصير اعدائهم بالقرب منهم فصبروا عليهم حتى قربوا منهم فهبوا كالنسيم واطلقوا عليهم من البنادق نارا دونها نار جهنم ردوهم بها على الاعقاب مخذولين . وهكذا لحق الفشل بالجنود الفرنسية فاخذت تثني وتهرب باضطراب وخوف حاملة اخبار الانكسار وكانت الجنود البروسيانة قد وصلت وقتئذٍ خففت عن

الجنود الانكليزية وهى على آخر رمق من التعب والكلال تعب مطاردة الجنود الفرنسية ولما رأى نابوليون هذا الانكسار الذي لحق به امتنع لونه ووجع فؤاده وادار العنان لجواده يغالب اليأس بالجلد ولا يلوى على أحد وقد بلغت خسائر الانكليز ١٠٦٨٦ رجلاً منهم ٢٠٤٨ قتيلاً والباقون بين جرحى واسرى أما الفرنسيون ففقدوا نيفاً واربعين الف رجل .

وعاد نابوليون بعد هذا الواقعة لباريس وتنازل عن الملك لابنه نابوليون الثاني غير ان الدول المتحدة لم تقبل ان يتبوأ تحت فرنسا احد من سلالاته فمضى الى رشفورت ورغب الى الانكليز ان يحل بلادهم قلبوه حتى وصلت به الباخرة الى بليموث حيث حُظر عليه النزول الى البحر وابلغته الحكومة أنه اسير حرب ثم شيع اخيراً الى جزيرة القديسه هيلانه حيث عاش كظيماً الى ان حانت منيته ودفن في الانقاليد .

وكان في واقعة واطرللو فصل الخطاب في كل المسائل التي ظلّ الحكم يتنازع في امرها مدة عشرين عاماً . وعلى إثرها خرجت انكلترا ظافرة متصرة فصار لها الصول والطول على سياسة الاقطار والسيادة على البحار فوسعت نطاق مستعمراتها الامريكية واحتلت النقط المهمة من غرب افريقيا وجنوبها وعمرت في الهند مملكة واسعة الاطراف شاسعة الارحاء وامتلكت استراليا ومدّت سلطانها على جزر الاقيانوسية السمكية التي اكتشفها كوك وغيره من السياح . إلا انها كادت تنوء تحت اثقال الديون الباهظة لان تلك الحروب الطويلة كلفتها الاموال الجسيمة فلما عقد الصلح اخذت في اصلاح شؤونها فانبتت في البلاد روح التقدم والارتقاء وانشأت الترع

العديدة لسهولة المواصلات وعمت اطراف المملكة الصنائع والسكك الحديدية وصارت اسبق الدول في مضمار التجارة

وفي سنة ١٨٢٠ توج ابن جورج الثالث ملكاً بلقب جورج الرابع واشتهر حكمه باخضاع المراثيين ومملكة بورما في الهند وفتح طريق المتجر في الصين ووضع قانون يضمن حرية الديانات وثورة اليونان وطلبهم الاستقلال ثم تدخل انكرا وفرنسا والروسيا بشأن الصلح وتوفي سنة ١٨٣٠ خلفه اخوه دوك كلارنس الملقب بوليم الرابع وكانت مدة حكمه قصيرة الا انها كانت عظيمة مجيدة فادخل فيها الاصلاح على البرلمان سنة ١٨٣٤ وأبطلت العبودية في الهند العربي وعوض على ملاك العبيد بمكافئة عشرين مليون جنيه وانشئت السكة الحديد بين ليثربول ومنشستر واستطردت المملكة سيرها في التقدم والنجاح حتى توفي هذا الملك سنة ١٨٣٧ وخلفته الملكة فيكتوريا

(الباب الرابع)

المستعمرات الانكليزية

CHAPTER IV.

« British Colonies »

يعني علماء الجغرافيه بالمستعمرات البلاد التي تمتلكها دولة مستقلة اما عنوة بالحرب . واما برضاء حاكمها شراءً او هبة . وإماً بوضع اليد عليها بان لم يكن لها مالك من قبل . فعنوةً بالحرب كبلاد الجزائر مثلاً فانها من مستعمرات فرنسا قد امتلكتها اثر حرب شبت بينها وبين الامير السيد عبد القادر الحسيني الجزائري حاكم تلك الديار اذ ذاك او شراء جزيرة سنجاپور التي اشتراها الانكليز من امير جاهور بستمائة الف فرنك وكالبلاد الافريقية التي اشتراها الفرنسيون برازا لحكومته . او هبة جزيرة بمباي التي وهبها امير دلهي الى الحكومة الانجليزية .

ولا يخفى على القارئ ان المستعمرات انما هي اكبر الاسواق التي تنجر فيها الدولة الفاتحة او المالكة ففيها تباع تجارتك الدولة . مصنوعاتهم على اختلاف اجناسها من انسجة وحرار واقطان واوراق وموئفات واوان خزفية ونخارية ونحاسية وحديدية وآلات معدنية ورصاصية ومصنوعات من ذهب وفضة وماس وغير ذلك وبالعكس فكثيرا ما تستمد الدولة المالكة من مستعمراتها ومحصولاتها وحيواناتها مثلاً تستمد انكلترا كثيراً من التيران والشعاج والصوف من استراليا وزيلانده وكذا تستمد من بلاد الهندستان كثيراً من غلالها

واقطانها وشابها واملاحها وماسها ومصنوعاتها كالكثير وتستمد مقداراً عظيماً من الاخشاب من بلاد كندا واسقوسيا الجديدة وغير ذلك مما يطول شرحه وكفى شاهداً على ذلك ما ثبتته احصائية سنة ٩٢ فقد دل ان تجارة انكلترا مع املاكها وصلت ٤٤٧٥ مليوناً من الفرنكات . وكلما كثرت مستعمرات اية دولة عظمت قوتها البحرية لان قبح تلك البلاد يستلزم شدة العناية بحفظها ولا يتيسر ذلك الا اذا كانت بينها وبين مستعمراتها علاقات متواصلة دائماً حتى لا يتورها فتور يعقبه انصرام كل ذلك انما يستدعي وفرة في عداد سفنها وبوارجها التجارية والحربية وقد شعرت انجلترا بهذه الحاجة فعززت اساطيلها حتى ملكت ناصية البحر هذا ولا يخفى ان المستعمرات ضرورية ايضاً لمد تلك السفن والبوارج بالموءن اللازمة لها من خم وماء وذخائر لانه ان اضطرت تلك السفن والبوارج الى الذهاب الى وطنها للبحث عنها لربما نفذت مؤنتها قبل ان تصل لا سيما وقت انتشار الحروب البحرية بين الدول عند ما تكون السفن مفتقرة الى ميناء تخفها لتأمين مفاجأة العدو ولذلك ترى ان الدول في اغلب مستعمراتها تخصص بعض جهات منها لمصالح قوتها البحرية فتجعلها كمحاط لها ومجاؤى اليها عند مسيس الحاجة .

(قال احد علماء الفرنسيين ما معناه) « ان اول الشعوب رتبة اكثرهم استعماراً في الحال والاستقبال »

وليس يخاف على احد ان انكلترا هي اكثر الدول مستعمرات لان لها قسماً يوازي مستعمرات العالم بأسره ومجموع مساحات مستعمراتها تزيد بستين

مرة عن مساحة انكلترا وحدها والشمس لا تغيب عنها وقد دل الاحصاء انها تزيد عن خمس اقطار المسكونة وهي اكبر من قارة اوروپا ثلاث مرات وتكاد توازي مساحة افريقيا وهالك جدا ولا صغيرا بمساحات وعدد سكان مستعمرات الدول الاوروبية العظيمة

اسماء	المساحة بالكيلو متر المربع	عدد السكان
انكلترا	٢٣ و ٩٣٦ ر ٠٠٠	٣٧٠ مليون
فرنسا	٢١ و ١٠٠ ر ٠٠٠	٤٥ مليون
هولانده	١٢ و ٦٠ ر ٠٠٠	٣٠ مليون
بورتلغال	١٨ و ٧٠ ر ٠٠٠	٦ مليون
اسبانيا	٥٠٠ ر ٠٠٠	١٠ مليون
المانيا	١٥٠٠ ر ٠٠٠	٨ مليون

هذا وان الامة الانكليزية لم تكتسب هذه السيطرة البحرية الا منذ عهد قريب لان سفنها في القرن السادس عشر كانت لا تتجاوز في الابحار فرضة بايون وقتما كان بعضها يصل الى لزبون عاصمة البرتغال وفي عهد هنري الثامن دفعت جراءة اقتحام الاهوال البحرية ربانا انكليزيا فاجر باسطوله الى مصب نهر الوادي الكبير ولكن لم يستطع ان يتوغل في بحر الروم كملاحي باقي الامم . وكان البرتغاليون في ذلك العهد عهد قصور الامة الانجليزية قد فتخوا جزائر كناريا وجزائر الرأس الاخضر وطافوا حول رأس الرجاء الصالح واسسوا نزلا عديدة في بحر الهند وكذلك كان الاسبانيول اكتشفوا العالم الجديد او قارة امريكا واستولوا على الاقاليم الوسطى منها وعلى شواطئ المحيط الهادي

وقد قال احد فلاسفة العصر ان انكلترا لم تحز الدرجة الاولى في الاستعمار لكونها سبقت الدول الاخرى في استكشاف البلاد وفتحها بل لعدم تداخلها في الارتبكات الاوروبية والحروب الدولية فلم يكن لها شوكة تؤيدها مثل شوكة فرنسا وسيطرة اسبانيا في عهد لويس الرابع عشر وعز شارل كان او املاؤه تدافع عنها كما كان لهولاندة والبرتغال في سالف الازمان فينما كانت الحرب مستمرة تارة بين فرنسا واسبانيا وطوراً بين فرنسا والنمسا وآونة بين النمسا وتركيا واخرى بين فرنسا وجرمانيا او روسيا كانت انجلترا تنتهز فرصة شبوب هذه الحروب بين الدول بعضها مع بعض لتمتلك هي بلدا او تحتل جزيرة وتعقد معها المعاهدات التجارية وتنشأ فيها المراكز الحربية فتشيد فيها القلاع والحصون وتعمرها وتبنيها على اساس متين فلا ترزعزعا احوال الزمان وانقلاب الاحوال .

وما تكاد انجلترا تفتح بلدا او تستولى على ارض حتى يهرع اليها الانكليز للاستثمار بتجاريتها وصناعاتها فيجمعون بعد قليل من الزمن الاموال الطائلة فمنهم من يؤب الى بلاده قانعا بما ناله منها ومنهم من يطيب له المقام فيستوطن بها وقد دل الاحصاء ان مقدار من هاجر من سنة ١٨٥٣ الى سنة ١٨٩٣ من انكلترا وصل الى سبعة ملايين نفس وذلك بقصد الاستيطان في الاملاك الانكليزية وغيرها ولا يخفى ان اهم الاسباب الداعية للشعب الانكليزي على الاستعمار انما هو نموهم وتكاثر عددهم وضعف الثروة على هذه النسبة بازدياد السكان يوما فيوما وفي المستعمرات الانجليزية من الانكليز نحو الاربعة عشر مليوناً عدا الذين في الهند ولهم ثروة كبرى .

وتنقسم المستعمرات الانكليزية قضائيا الى قسمين اولهما ما امتلكته انجلترا بمجرد وضع اليد عليه وثانيهما ما امتلكته بحرب او شراء او هبة ففي القسم الاول ادخلت انكلترا قوانينها وهيئة الحكومة التي قررها برلمان لوندرد لان عدم وجود قوانين هنالك يوجب تطبيق القوانين الانكليزية بمجرد مجيء اي فرد من افراد الامة البريطانية الى تلك البلاد . قال بلاكستون احد مشاهير مبشر عي الانكليز :

« القانون الانكليزي مال يتأمله كل انكليزي بمجرد ولادته ويتبعه اينما حل وذهب فاذا اتى ارضا خالية من السكان اصبحت تلك الارض خاضعة للقوانين الانكليزية »

ولكن انكلترا حافظت في المستعمرات التي من القليل الثاني على القوانين التي كانت متبعة بها من قبل وجوزت للحاكم ان يشكل حكومته كيف يشاء مثال ذلك جزيرة سانت لوسى التي استولت عليها بعد ان طردت الفرنسيين منها بقى القانون الفرنسي صريحا حتى الآن وكذلك مازال القانون الاسبانيولي صريحا للآن بجزيرة التليث (تريتي) التي استولى عليها الانجليز بعد طرد الاسبانيين منها .

ثم ان حكام المستعمرات الانكليزية ليس لهم حق في رئاسة الجنود التي بهاغلا يستطيعون تحريكها او قيادتها بعمل من الاعمال الحربية لان تلك القوة الحربية يرأسها ضابط عظيم يعينه المجلس العالي بانكلترا مباشرة لهذه الوظيفة خاصة . وهو المكلف باحاطة دولته علما بحالة الجنود والذخائر والحصون والقلاع التي يقيمها كي تكون على معرفة تامة بما يفعله .

اما سلطة الحاكم فتتخصر في حل المجالس الاهلية وملاحظة الانتخابات وله وحده دون غيره الاذن بصرف المصاريف اللازمة من مالية المستعمرة وله ايضا حق العفو عن الجناة وحقوق اخرى لا فائدة في ذكرها هنا اما اعضاء المجالس الشورية الخاصة بالمستعمرات فيكون تعيينهم بمعرفة الحكومة الانكليزية ايضا وينتخبون من اعيان ووجوه سكان المستعمرات واما المستعمرات التي ليس بها مجلس انتخابات فالحاكم نفسه هو الذي يسن القوانين واللوائح الواجب اتباعها لانه هو المسؤول امام البرلمان الانكليزي .

ومما هو جدير بالذكر ان انكلترا لا تأخذ مالا من املاكها الواسعة ولا تضرب عليها الجزية وكل ما تجبته في كل بلد تنفقه على حكومتها وكذلك لا تحدث ادنى تغيير في عوائد اهل البلاد التي تحتلها وتبيح لهم اديانهم بلا معارضة ولا نزاع ولا تصدى لشيء منها مباشرة ما لم يكن هنالك داع يوجب اختلال النظام بل وتساعدهم على ادائها فتصرف المرتبات الباهظة لاصنام الهند وفي مواسمهم واعيادهم تحفل معهم كما لو كان العيد عيدها وتعزف الموسيقى امام الاصنام اكراما للاهلين واحتراما لعوائدهم

ومما هو حري بالذكر ايضا ان كل من يدخل ارضا تحت حماية الانكليز يصير حرا وتجري عليه احكامهم واعظم شاهد على ذلك وفود كثيرين من سكان البلاد الاجنبية على المستعمرات الانكليزية للاستظلال بحمايتها والتمتع من خيرات ارضها لثقتهم بعدالة مالكيها

ولنشرع الآن بذكر المستعمرات الانكليزية مبتدئين بما يوجد منها باوروبا ثم اسيا وامريكا فالاقانوسيه فافريقيا ،

« مستعمرات انكلترا باوروبا »

British Colonies in Europe

لانكلترا باوروبا مستعمرتان جبل طارق وجزيرة مالطة وكانت لها
مستعمرة ثالثة في شمال المانيا تسمى بجزيرة هيلجولاند فاعطتها لالمانيا واخذت
بدلا عنها مقايضة جزيرة زنجبار وذلك من عهد غير بعيد

« جبل طارق »

Gibraltar

جبل طارق مدينة حصينة كائنة على لسان داخل في البحر وواقعة على
البوغاز الذي يسمى باسمها نسبة لطارق بن زياد العربي الذي اجتاز هذا البوغاز
عند ما عبر الى اسبانيا عند احتلال العرب لها في خلافة الوليد بن عبد الملك
الاموي وهذا البوغاز يفصل اوروبا عن افريقيا وبعبارة اخرى يفصل اسبانيا
عن صراکش وهي مفتاح البحر الابيض المتوسط . استولت الانكايز عليها
سنة ١٧٠٤ وهي الى الآن ملكا لهم

ولهذه المدينة اهمية كبرى لانها على طريق الهند ولاف بوغاز جبل
طارق هو الباب الوحيد الموصل بين المحيط الاطلانطيقي والبحر الابيض
المتوسط فجميع الممالك التي ليس لها ساحل على ذلك البحر لا يتسنى لسفنها ان
تأتيه الا بمرورها من ذلك البوغاز ويبلغ عدد سكان المدينة نحو ٢٠ الف
نفس وهي واقعة على صخرة عظيمة قد اقام الانكليز عليها القلاع وحفوتوها

حتى صارت منيرة جداً .

مالطة Malte

اما مالطة فهي كلمة تطلق على احدى الثلاث جزر المكونة لهذا الارخبيل الصغير الكائن في البحر الابيض المتوسط بين جزيرة صقلية وسواحل طرابلس ويبلغ عدد سكانها ١٦٥ الف نسمة وعاصمتها قاليته وقد كانت هذه الجزيرة ملكا لشارلكان الامبراطور المشهور ثم تازل عنها في سنة ١٢٣٠ هـ لاشراف جزيرة رودس الذين اشتهروا في قتالهم مع الترك سلاطين البحر اذ ذاك وبقيت لهم حتى اخذها بونابارت القائد الفرنسي الشهير حين جاء لفتح الديار المصرية سنة ١٧٩٨ ولكنها لم تلبث في قبضة الفرنسيين طويلا لانهم هتكوا بعض السنن القديمة وانهكوا خزنة الكفاس فأثار ذلك سخط السكان عليهم فاخذها منهم الانكليز عنوة بالتحادهم مع الالبيين بعد استيلاء بونابارت عليها بسنة واحدة وايدوا ملكهم بها في معاهدة باريس التي عقدت بين الدول المتحالفة ضد فرنسا اذ ذاك بعد واقعة واترلو التي انهزم فيها الامبراطور نابوليون سنة ١٨١٥ وقد حصن الانجليز تلك الجزيرة وبنوا بها القلاع لوقوعها على طريق الهند واتوا باعمال عظيمة من يوم دخولهم فيها هادت على مالطة بالنفع العميم وجميع موظفي الحكومة من المالطين وهم لا يمسون شيئا من دخل الجزيرة ولا يضربون على الاهلين ادنى ضريبة الا ما كان على المسكرات ومصاريف العسكر تؤخذ من خزينة الحكومة لا منها وميرتب المسبكري فيها شلين يوميا ولهم فيها عدة سفن حربية اقل سفينة منها تصرف أكثر مما يصرفه الاهلون عموما

واول من استوطن هذه الجزيرة هم الفنيقيون سكان صور وصيدا ثم تداولتها ايدي الرومان فالعرب حتى اختلطت لغة البلاد بلغتهم واصبحت مؤلفة من العربية والفنيقية ولذا تراهم يتكلمون الآن بالعربية الفاسده ومما يستحق الذكر هنا ان في مالطة كنائس كثيرة حسنة الانقان والزخرفة والتماثيل يتباهى بها الاهلون لتحمسهم الشديد في الدين الكاثوليكي ولكل قدس عندهم عيد مخصوص في مكان مخصوص وقد تمازج المالطيون بالانكليز وهم مع ذلك لا يبلغون في الآداب شأومهم.

« مستعمرات انكلترا باسيا »

الهندستان

« British Colonies in Asia »

HINDOUSTAN

يطلق اسم الهندستان على مجموع البلاد الواقعة بين جبال هماليا ونهر الاندوس وبين المحيط الهندي وخليج بنغال وبلاد الافغانستان ويسكنها زهاء ٢٨٠ مليوناً من النفوس وهي اعظم دول الارض في عدد السكان بعد بلاد الصين البالغ مجموع سكانها نيف و ٣٥٠ مليوناً من النفوس . والهند بلاد ذات ثروة عظيمة شديدة الحرارة غزيرة الامطار تستمد تربتها خصوبة عجيبة من طمي انهارها وطقسها يختلف باختلاف اصقاعها واشهر جبالها جبال هماليا ومعناها باللغة الهندية محل الثلوج هيماليج .

ولاي محل . وبها قم كثيرة يزيد ارتفاع ثلاثة منها عن ثمانية آلاف متر وهي
اعلى نقط الارض عن مياه البحر وقد توصل احد رجال الانكليز الى الصعود
عليها فسميت القمة العليا فيها باسمه وهي قمة افرست

وتنقسم السنة في بلاد الهند الى ثلاثة فصول فصل البرد والجفاف من
شهر نوفمبر الى شهر فبراير وفيه يكون الهواء جافاً فتخلع الجنان برودة نضارتها
وازدهاؤها وتكتسى بتياب عاطل لا تحلو رؤيتها للناظرين ويليهِ فصل الامطار
من شهر يونيه الى شهر سبتمبر وفيه تسقط الامطار كالسيول الجوارف تغطي
الحقول والمراعي فتكتسي حلة تسر كل راء وناظر ثم فصل الحر ويتقدمه حين
من الدهر كثير العواصف والزعازع اذا هبت القت الرعب في القلوب
وهشمت الصخر الجلود .

ويخرج من بعض جهات الهند امراض وبائية كالكويرا والطاعون
وقانا الله شرهما . وفي فصل البرد قد ينخفض الترمومتر احياناً الى درجة ٢٠
الصفر ولو ان معدل الحرارة في يناير ١٥ ومعدلها في فصل الحر يبلغ ٣٣
وقد تصل في بعض الايام الى ٤٥ تحت ظلال الاشجار وتخال سلامل جبال
هيماليا اجات واسعة كثيفة تستمد منها الهند خشباً كثيراً نخس بالذكر منها
الابنوس وتربتها خصبة جداً تثبت فيها بعض النباتات الاورويه كالقريز
والكريز وبها كثير من الغاب الجيد المعروف بالغاب الهندي ومن محصولاتها
الوافرة الارز والقمح وابو النوم والافيون والقطن والجوز المعروف بالجوز
الهندي والقيلة وكثير من القواكه اللذيذة وينبت على الجبال الشاهقة هناك
كثير من شجر التين والشاي .

معادنها — ومن المعادن الكثيرة الوجود ببلاد الهند الحديد والفحم الحجري وبلاد البنديجات كثير من مناجم ملح الطعام وبوادي نهر الكنج ودلتا نهر الاندوس كثير من ملح البارود ولا يوجد في العالم كله اقليم يستخرج منه ملح البارود اكثر مما يستخرج منها وبها ايضا مناجم من النحاس والعقيق .

تجارتها وصناعتها — ولو ان بالهند كثير من المعامل تصنع الاقشة القطنية والحريه والاواني النحاسيه الا ان الاهلين يعتنون بالفلاحة اكثر من اعتنائهم بغيرها . وتجلب الهند من البلاد الاوروبية مقداراً عظيماً من المعادن والاقشة والمنسوجات المتنوعة وتصدر اليها كثيرا من ارزها وقمحها وافيونها واقطانها وحريها وبها وشايها ونيلتها وقد بلغ ثمن ما تصدره الى اوروبا سنوياً مليارين من الفرنكات (اي الني الف الف فرنك)

وتجارة بلاد الهند محصورة بين ايدي تجار الانكليز وقد سهلوا تجارتهم فيها بانشاء سكك حديدية عديدة في جميع انحاءها فاخذت تجارتها في التقدم يوماً فيوماً ثم انشأوا بها ايضا مصانع ومعامل عدة حتى اصبحت صناعتها تقرب من صناعة البلاد الاوروبية الشهيرة واول مصنع للاقطان والانسجة انشأ بها في سنة ١٨٥٤ ثم ازداد عدد هذه المصانع الى ان صار اليوم عديدا وقد بلغ عدد العملة الذين يستخدمون فيها مائة وعشرين ألفاً

دياناتها — الديانة ليست واحدة في بلاد الهند فخمس اهلها مسلمون ويقطنون في الشمال الغربي من بحيشجزيرة الهندستان وجل الهنود من البراهمة الذين يعتقدون ان برهمة خلق الكون وان له اخاً يدعى فيتشويسمي بحفظه واخر يسمى سيوا يسمى بخوابه وفي بلاد الهندستان ما ينوف عن

المليونين من النصارى اغلبهم انكليز . وبعضهم يعتقد بتناسخ الارواح اي انتقالها بعد الوفاة الى جسم حيوان اخر والحلول فيه ولذا يحرمون اكل اللحوم .
وللبقر والافاعي عند بعض الهنود مقام مقدس

حيواناتها — من حيواناتها الضارية النمر والفيل فتمر بلاد الهند بمائل الاسد قدماً طويلاً وعرضاً وهيئة الا انه اشد بأساً واعظم قوة واكثر توحشاً فحيثما وجد استولى الرعب والجزع على الاهلين لانه قتال للحيوانات الالهية دماراً للقرى التي يحل فيها يختطف الخيل والبغال كلها نجاج فيقطع الانهر العظيمة المتلاطمة الامواج وهي في فيه لا تستطيع ان تبدي حراكاً حتى يلتهمها التهاماً ولا يقصر اعتداؤه على الحيوانات الصامتة فقط بل كثيراً ما يعتدي على الانسان نفسه فيصول عليه كالبرق الخاطف لا ترهبه العيارات النارية ولا البيض الصفاح اما الفيل فطبعه الهدوء يميل الى السكون والبدعة والبعد عن الاذى وله قوة غريبة تجعله قادراً على ان يقطع ٨٠ كيلو متراً في اليوم الواحد حالة كونه محملاً بأثقال وزنها ٥٠٠٠ كيلو جرام وجلده سميك جداً يبيض بتبادي الايام وله غرطوم يساعده على تناول الاشياء وسن غليظ لصيد هجمات اعدائه ويقتات من الجذور والحشائش والاوراق ويسكن غالباً الاجامات والمواقع الحارة وكثيراً ما يستعمل الهنود الفيلة في الحروب فقد دلتنا التاريخ ان الملك بوروس حارب الاسكندر وهو ممتط صهوة فيله ومن الغريب انه بينما كانت تلك الحرب مستعرة بين الطرفين كان فيل الملك بوروس يدافع عنه بكل حمية وجراءة حينما كان سليماً ولما اصاب بالحرب ولم يستطع مداومة القتال ركم الفيل على ركبتيه بكل هدوء وشرع يخرج الحراب

بخرطومه من جسم سيده بكل تأن حتى لا يؤلمه

وللوك سيام احترام زائد للفيلة البيض ولذا لا يسكنوها الا في سراي
غاية في الابهة آية في الزخرف ولا يقدمون لها الطعام الا في اوان من
الذهب ولا ينزهونها الا اذا كان فوقها مظلة فاخرة مزركشة وسبب ذلك
انهم يعتقدون ان روح الفيلسوف كيكيا حلت في فيل ايض

الدور ببلاد الهند — دورها متخذة من الاخشاب مبنية على أسس
متينة مكونة عادة من طابق واحد واحياناً من طابقين او ثلاثة ولا تخلو
دور الاغنياء منهم من الجنان الواسعة ذات الاشجار الفناء والرياض الفناء
والزهور ذات الاربع العاطر واللون الزاهي الزاهر ومنهم من يبني داخل
بساتينه اضرحة ومبان للعبادة على شكل الاهرام غالباً ويفشون الدور بالطين
احياناً فقتبت فيها الحشايش والازهار وبهذه المثابة تمثل القرى والبلدان
للسائح منظرًا بهيجاً .

ومن اجمل بقاع بلاد الهند اقليم كشمير الواقع في شمالها فقد اشتهر بحسن
مناظره وبهاء مفاخره ولذا سمي بمجنة الهند واهل بلاد كشمير اكثر السكان
مهارة وعقلاً وحقاً وجلداً على العمل ومما اشتهر وابه عمل الشيلان التي تعرف
بالكشمير نسبة اليها وقد بلغ تصدير هذه الشيلان درجة عظيمة جداً ويكاد
يكون جل الاهلين في هذه البلاد من الصناع وارض بلاد الكشمير مشهورة
عند الهنود بكونها مقدسة ولها ايضاً عند المسلمين مزيد الاحترام واكل طاقة
في هذه الارض محل للحج غير ان جميع ما فيها من الآثار القديمة الدينية يعزى
الى الهنود . والقصور التي شادها ملك كشمير منذ عهد غير بعيد في غاية من

الفخامة لاسيما البساتين التي بها وهي على صورة مدرج يشتمل على ابنية كبيرة وفي الوسط عين ماء يتكون منها وهي جارية شلالات وبرك وفساقي ذوات فوارات وتحت الشلالات حفر صغيرة معدة لان تظهر فيها الاضواء المنعكسة مياه تلك العين ذات البريق واللمعان ويبيع اهل تلك البلاد للنساء الرافصات ان يقتلن في تلك الحياض فيظهرن فيها بمظهر التيه والدلال كأنهن عرائس بحرية برزن من خدورهن يسبحن فوق لجين الماء فيرشن العاشقين الناظرين بسهام ليس لآلامها دواء

وبيع الصائين من الهنود التي يقيمون فيها الشعائر الدينية تشبه المساجد شكلاً من الخارج ومن الداخل بكثرة الاعمدة . واليك وصف احدي بيهم المشهورة . ترى في المقدمة محراباً عليه ثلاث او اربع تماثيل من الذهب الخالص يعادل ارتفاع كل منها قامة الانسان بعضها واقف والاخر متربع ووراءها تمثال اخر اكبر منها باسق جسيم يبلغ ارتفاعه اربعة وخمسين قدماً تقريباً وكله من الذهب الخالص .

وترى ايضاً من الداخل مصابيح كثيرة تتلألأ بما عليها من الاحجار الكريمة كأنها كواكب تضيئ ساحة البيعة الفيحاء كلما سرح الناظر طرفه فيها زاد شغفه الى الاجتلاء والتمتع برؤية ماحوته من ثمين الجواهر .

تاريخ استيلاء الانكليز على الديار الهندية

ان بلاد الهند خاضعة كلها الى سيطرة انكرا ولذا تسمى جلالة ملكة الانكليز بامبراطورة الهند الا ان تلك البلاد منها ما هو ملك انكتر ملكاً تاماً ومنها ما هو داخل تحت حمايتها ومعترف بسلطانها

واليك الآن تفصيل الحوادث التي توالى عليها من ابتداء القرن السادس عشر الى يومنا هذا .

في سنة ١٥٠٥ ميلاديه اسس « بايور » من سلالة نيمورلنك مملكة واسعة في بلاد الهند عاصمتها دلهي وكانت منقسمة الى عدة ايلات وكل ايالة منقسمة الى اقسام صغيرة خاضعة كلها له ولما رأى الاوروبيون في القرن السادس عشر ان تلك البلاد ذات ثروة عظيمة صالحة لرواج تجارتهم اشخصت اليها ابصارهم وحولت اليها سفائنهم فابتدأ البورتغاليون بالرحيل فاحتلوا جزيرة جوا ثم جزيرة سيلان وصاروا ينشأون المتاجر الجمعة بها ثم اغار عليها الهولنديون وحلوا محارمهم ولكنهم لم يتمتعوا ببغيتهم امدأ مديداً لان الانكليز اتوا اليها فطردوهم منها وحلوا محارمهم سنة (١٥٩٩)

وفي سنة ١٦٢٤ انشأ الانكليز في تلك الديار وبمدينة مدراس وكالات عدة لتكون واسطة في الهند بين الشركات الانكليزية الاصلية في انكتراوين التجار المقيمين في الهند .

وفي سنة ١٦٤٠ وهب لهم احد امراء الهند قطعة ارض تبلغ مساحتها خمسة اميال طولاً وعرضاً فاقاموا بها مراكزاً لهم ثم اشتروا من وال هندي بعض اراض اخرى فعمروها بعد خرابها وافعموها بوكالاتهم ومراكزهم لوضع سلمهم وبضائعهم وذخائرهم الحربية لانهم كانوا يتحفظون دائماً على انفسهم واملاكهم حذراً من غدر الاهلين واعتداء الاجانب

وقد قيض الله لهم ان احترقت ابنة الشاه جهان بمدينة دلهي في القرن السابع عشر فارسل الشاه يستدعي احد اطباء الانكليز فارسلوا له

جراحاً ما هراً فعا لجها وبعون الله شفيت فطاب ابوها نفساً وسر من ذلك سروراً عظيماً فطلب من الجراح ان يسأله ما يريد جزاء حسن صديقه فسأله ان يرخص للشركة الانكليزية بتوصيل علاقاتها التجارية الى جميع ولايات سلطنته لتتجر معهم وذلك بدون دفع رسوم عليها وان يأذن لها بإنشاء مراكز جديدة فصادف طلبه قبولا وصدرت الاوامر بتنفيذها

وفي سنة ١٦٦٨ وهب الشاه جهان المذكور كارلوس الثاني ملك الانكليز جزيرة بومباي فتنازل عنها للشركة الانكليزية في مقابل مبلغ من النقود . الا ان الانكليز لم يكونوا وحدهم ذوي هذه الامتيازات العديدة فقد كان لامة الفرنسيين حظ مثلها . وكان للشركة الفرنسية الهندية التي اسسها كولير احد وزراء لويس الرابع عشر مدينة شندر ناجور التي اشترتها الشركة من احد اصراء الهند

وكذلك كان لها كاليكوت في قسم مالابار (وهي غير مدينة كلكوتا الانكليزية) وكذلك اسست مدينة بونديشيري وكان لهم على طريق الهند جزائر بوربون وارخبيل سيدشل وبعض جهات من جزيرة مدغسكر والجزيرة المسماة الآن بجزيرة موريس وكانت تسمى قبلاً بجزيرة فرنسا وبظهور هاتين الشركتين على ارض الهند ابتدأت المناوشات وكثر الجدل وعظم التنافس وسعت كل منهما في تعزيز شأنها وامانة سلطتها الاخرى فابتدأت الشركة الفرنسية بشراء مدينة كاريكال (وهي ميناء عظيمة على بحر بنغال) وجميع الاراضي التي حولها واسست عدة محال تجارية مهمة خصوصاً في ميناء ماهي وفي ذلك العصر كان مدير الشركة الفرنسية رجلاً مشهوراً

بمهارته في الادارة وبذكائه الغريب يسمى ماهي دي لا بوردونني وهو الذي
احي جزيرتي بوروبون وفرنسا (الان جزيرة موريس) بعد ان كانت تجارتهما
كاسدة وصناعاتهما معدومة فقد ادخل بهما زراعة قصب السكر والقطن
والنيله وانشأ المعامل والمخازن والترسانات والحصون والقلاع . وخلق في
ادارة شؤون الشركة الفرنسية شخص يدعى جوزيف دوبلكس وفي عهده
توفي احد امراء الهند الحاكين فرام اتباع طرق السياسة لتعزيز شأنه وسلطانه
في البلاد الهندية بان يستميل اليه بعض امراء الهند ويعززهم بقوته وجاهه كي
يبددوا الاقوام الثائرين عليهم وبذلك يكون له الحق في التداخل واعلاء كلمته
والاستيلاء على ما يروم الاستيلاء عليه ولبث مدة من الزمن متبعاً هذه
الخطه حتى ازهرت في عهده المستعمرات الفرنسية ورجح التجار الفرنسيون
عشرة اضعاف رؤوس اموالهم الا ان الامة الانكليزية لم تقادر الامة
الفرنساوية تسعى في الاستيلاء على الهند فعزمت من ذلك الحين على امانة
سلطتها ودحض شوكتها لتفوز هي بالنصر والظفر ولذلك اتحدت مع اعداء
الامراء الذين تحالفوا مع الفرنسيين فصارت تعضدهم وتقدم بالاسلحة
والمؤونة وفي ذلك الوقت كان دوبلكس ساعياً في حشد الكتائب وضم الجنود
الهندية اليه فتوصل الى الاستيلاء على جميع ساحل كورومندول واوريسا
وهي ارض اكثر اتساعاً من ارض فرنسا باسرها وقد طلب من الدولة
الفرنساوية ان تمده بعسكره لتوطيد هذا الملك الهائل وبنائه على اساس متين
الا ان حكومته خشيت ان تمده بعساكرها لتلا تهيج الخواطر الانكليزية
ضدها بخلاف الحكومة البريطانية فكانت ترسل التجذبات المتواصلة المتوالية

لمدير الشركة الانكليزية اذ ذاك المسمى سوندرس فسهل ذلك للورد كليف ان يكره الفرنسيين على رفع حصار « مادوره »

وقد كان لصدي هذه الهزيمة باوروبا وقع عظيم حمل الحكومة الفرنسية على عزل دوبلكس من منصبه واسترجاعه الى وطنه على الفور ولما وصل دوبلكس هذا الخبر غادر الهند باكيا وآب الى بلاده كشيئا كظيما ومن شدة اسفه مات بعد قليل من الزمن وهو في أشد الفاقة .

ثم ولت الحكومة الفرنسية بعده « جودهو » الذي امضى معاهدة « مدراس » وبهذه المعاهدة اضطرت الحكومة الفرنسية مغادرة جميع الاملاك التي استولى عليها دوبلكس ولم تقتصر خسائر الفرنسيين على هذه الاملاك فقط بل كان الانكليز يسعون في تدمير املاكهم اينما وجدوا ففي بلاد السنجال مثلا بينما كان الفرنسيون يقيمون قلعة اذ ارسل الانكليز لهم بارجة اطلقت عليهم قنابلها فدمرتها تدميرا وكذلك حاكم الفرنسيين في جزائر الانتيل كان قد اقام عمودا عليه هذه الجملة « تابع املاك لويس الخامس عشر ملك فرنسا » فارسل الانكليز في الحال سفينة حربية قدقته بنيرانها واوقعته واعظم من ذلك ما حصل باملاك فرنسا في امريكا الشمالية فان الفرنسيين كانوا قد ارسلوا لجيرانهم الانكليز مندوبا فرنساويا ليتداول معهم في شأن مسألة فقبطوا عليه وساموه عذابا غليظا ثم ذبحوه وفي هذه الاثناء كان الملاحون من الانكليز يقتدون على المراكب الفرنسية الحاملة للبضائع والسلع والخيرات حتى استولوا في ظرف شهر واحد على (٣٠٠) سفينة تجارية بها ٨٠٠٠ نوتي وينوف ثمن ما فيها من الخيرات عن ١٠٠

مليون فرنك

وفي سنة ١٧٥٦ وهي السنة التي اشتهرت فيها الحرب بين فرنسا وانكلترا تصادف وفاة حاكم الهند فبويج من بعده حفيده المسمى سراج الدولة وكان للانكليز عدواً مبيناً ولم يمض زمن مديد على ولايته حتى شن الغارة على املاك الانكليز ببلاد الهند فاستولى على قلعة وليم واستمر يقاتلهم حتى كاد يزغزع ملكهم الا انه لم يساعده الحظ على اتمام بغيته لان اللورد كليف هجم عليه وحاربه حتى اكرهه على طلب الصلح منه ثم استولى اللورد المذكور على مينا شندرناجور التابعة للشركة الفرنسية وطرد الفرنسيين من قسم البنغال ولم يكتف بذلك بل اصر على ابادته ملك سراج الدولة كي لا تقوم له قائمة بعد فام ملكه قاصداً محاربه فالتقى الجيشان عند بلاسي دارت فيها الدائرة على سراج الدولة ومن ذلك الحين صارت للانكليز الكلمة النافذة في بلاد البنغال كله فعزلوا سراج الدولة وولوا مكانه الامير جعفر وجعلوه تحت حماية الشركة الانكليزية

وفي ذلك العهد ولت الحكومة الفرنسية لادارة املاكها الهندية رجلاً ايرلاندي الاصل كان بطلاً صنديداً الا انه كان قاسي القلب جباراً عنيداً جلب لنفسه كراهة الاهلين ونفورهم منه وقد حارب الانكليز فانتصر عليهم واستولى على جوندولور وقلعة سان داوود ولما ثمل من خمرة ذلك النصر دفعه طمعه الى اخضاع مدينة مدراس التي كانت من مراكز الشركة الانكليزية فقصدتها وحاول الاستيلاء عليها الا انه فقد جزءاً عظيماً من نخبة جنده وآل امره الى الفرار لمدينة بوند يشيري فحصر بها زمناً ثم وقع

في قبضة اعدائه فوكم وشنق

وفي سنة ١٧٦٢ بينما كانت الحروب تطحن الامم وتسحق الاقوام اذ
علا الى السماء صوت الانسان منادياً بالراحة وكف القتال فالتأمت لذلك
المؤتمرات وعقدت اذ ذاك الدول معاهدتين الاولى وهي معاهدة باريس
عقدت بين انكلترا وفرنسا واسبانيا والبرتغال تنازلت فيها فرنسا لانكلترا
عن بلاد كنادا وجزائر سان لوران ولم تحفظ لنفسها هناك الا حق صيد
الاسماك وملكتها ايضاً جزيرتي ماري بطرس وميكلون وجزيرة غرناطة
بارخييل الانتيل وجزيرة ماري فنسان ودومينيك وتاباجو وسانت لوسيه
وتنازلت لها ايضاً من املاكها الافريقية عن بلاد السنغال عدا جزيرة جوره
(وهي جزيرة صغيرة على ساحل السنغال) وكذا تنازلت عن املاكها الهندية
عدا مدن شندرناجور وبوند يشيري وكاريكال وماهيه (وقد حافظت فرنسا
عليها للآن) مع تعهدها بعدم اقامة حصون او قلاع بها واخلاؤها من كل
حامية وفقدت ايضاً جزيرة مينورك بجنوب اوروبا وفقدت اسبانيا
بمحيط جزيرة فلوريد الا ان فرنسا عوضتها تلك الخسارة باعطائها بدلا منها بلاد
لوزيان

{ اما المعاهدة الثانية فلا دخل لها في موضوع بحثنا }

ولم تكن معاهدة باريس خاتمة الحروب بين الامتين الفرنسية والانكليزية لان الحكومة البريطانية خولت للورد كليف ساطة غير مقيدة
في الاعمال السياسية وبذلك تيسر له اكراه امراء البنغال واوريسا على
الخضوع لسلطانه ورتب لهم معلوماً يقبضونه مساهمة وقد أيد المغول الكبير

السلطة المخولة للورد المذكور باعترافه بها اعترافاً رسمياً وذلك في المعاهدة التي أبرمها معه في مدينة (الله آباد)

وما زالت تتسع املاك تلك الشركة الانكليزية ببلاد الهند حتى نزلت من وارث مملكة تيمور كل املاكه خلا عاصمته فلبث بها مدة لم يستطع بعدها الا الخضوع الى سلطة الامة الانكليزية . وقد سهلت الشركة معاملاتها وتجاريتها في الهندستان بتقليدها ادارة شؤونها الى حاكم عام أقام في مدينة كالكوتا التي اتخذوها مركزاً لاعمالهم ونجم عن ذلك فوائد مادية كبيرة فسهل انجاز الاعمال بغاية السرعة وبلغ ربح الشركة دفعة واحدة ستمائة مليون من الفرنكات هذا في البداية وما ادراك ما بلغ في النهاية

وكان من الد اعداء الامة الانكليزية ببلاد الهند امير يدعى تيبو صايب حاول صراحة ان يرفع عن عاتق بلاده نير حكم الاجنبي فلم تمكنه الظروف وقد ورث هذه الكراهة عن ابيه الامير حيدر علي الذي كان للانكليز عدواً عنيداً وقد توصل الامير تيبو الى حشد كتيبة من الجندها جم بها المواقع الانكليزية فاستولى على جوندولور وهزم الجيش الانكليزي بواسطة احد قواده في خمس وقائع الا ان اللورد كرنواليس الذي كان مديراً للشركة الانكليزية الهندية في ذلك العصر تحالف مع قبائل المهرات واهل النظام والى منهم حزباً قوياً حركه على قتال عدوه تيبو وقد شبت الحرب سنتين سجالاً بين الطرفين ثم انتهت بوقعة هائلة دارت فيها الدائرة على تيبو فاضطر لان يطلب الصلح فمقد معهم معاهدة في « سرنجايابا تام » بها تنازل لاعدائه الظافرين عن نصف الولايات الخاضعة له ولكنه لم يلبث على العهد زمناً

طويلاً حتى شق عصا الطاعة وتآلب ضدّهم فاربوه في عاصمة بلاده فاستولى عليه الجزع والياس وانتهى امره اخيراً بالانتحار وبموته امتدت فتوحات الانكايز بسرعة زائدة لانهم وزعوا بعضاً من ايلاتة الى قبائل المهرات حلفائهم واحتلوا ما بقى .

وفي سنة ١٧٩٩ اكرهوا امير آوود على ان يتنازل لهم عن نصف املاكه وفي سنة ١٨٠٠ احتلوا قسم كرناتيك وفي سنة ١٨٠٣ احتلوا مدينة دلهي وكان مستقبل الهند متوقفاً عليها فاصبح بذلك المغول الاكبر خاضعاً لهم وما اقبلت سنة ١٨١٨ الا وكانت بلاد الهندستان باجمعها خاضعة للشركة الانكليزية واستمرت كذلك حتى استلمت زمامها الحكومة سنة ١٨٦٠ فمدت سلطتها حيث ضربت بعض القبائل الحرة وضمت اليها جهات هيماليا وبلاد الشترال ووادي سوات وجهات الباجور وفي سنة ١٨٩٧ ثارت بعض القبائل على الحدود كان منها قبائل المفريتئين وقبائل وادي سوات ولكن انكثرا توفقت بعد الحملات المتتابة ان تكبح جماح هذه الثورات التي كان يهب شرارها من وقت لآخر

وتنقسم الهندستان ادارياً الى اربعة اقسام عظيمة

القسم الاول تابع للانجليز مباشرة وبه مقر الحاكم العام للهند وقاعدته دلهي وهذا القسم يشمل عدة اقسام صغيرة منها ادجير وبارودا والهند الوسطى وقسم برار وحيدرآباد ومملكة ميسور واسام

القسم الثاني : مملكة بنغال ويسمى بروضة الهند ويشمل اربع حكومات . بنغال . والاقليم الاوسط . واقليم الشمال الغربي . وبنجاب اي اقليم الخمس

نهرات

القسم الثالث . اماره بمباي ويشمل قسم بومباي والسند والمواني التي تمتد جهة الشمال

القسم الرابع : مدراس ويشمل المركز المسمى باسمه وواحد وعشرين مركزاً غيره وخمس امارات اشهرها ترافنكور وكوس

واشهر مدن الهندستان مدينة : بمباي وهي اول مواني اسيا تجارة يبلغ عدد سكانها ٨٠٠ الف نفس وهي كائنة في جنوب جزيرة صغيرة مسماة باسمها ضمن ارخبيل واقع في الجهة الغربية من شبه جزيرة الهندستان ومينائها من اعظم مواني العالم لوقاية السفن غوائل الرياح التي تهب على تلك الشواطىء وهي مدينة صناعية تجارية يصدر منها اغلب الفلال والاقطان لانجلترا ومنها يصل بريد الشرق الى برنديزي ثم مدينة كلكتا وهي قاعدة الهند الحالية وكائنة في قسم بنغاله على نهر هوجلي احد تفرعات نهر الكنج في وسط وادي منخفض وهي شهيرة بتجارها وصناعاتها التي امتازت بهما على غيرها من مدن الغرب الا ان الامراض تكثر بها ومدينة بنارس على الشاطىء اليسر لنهر الكنج وبها تدرس العلوم الدينية والعقلية ولذا تسمى بمدينة فلاسفة الهند ومدينة لاكنوا وتسمى بستان الهند وكانت قاعدة آوود الكائنة بين ولاية ينول ونهر الكنج وهي مدينة ذات مناظر بهيجة في وسط حقول تكتنفها الغابات الجميلة

ثم مدينة مدراس وهي كائنة على خليج بنغال لا تطرقها السفن الا قليلاً لوعورة مينائها ولم يتيسر للامم التي استولت عليها اصلاحها الا ان

الانجليز آخذين في بناء ميناء حصينة لوقاية السفن ورواج التجارة وبلغ عدد سكان هذه المدينة ٤٥٠ ألف نفس

مدينة پونا وهي كائنة في وسط جبال الغات الغربية وعدد سكانها ١٧٠ ألف نسمة . وهي مدينة صناعية بها كثير من الانجليز لا يرحونها لحسن موقعها ويفد اليها الاغنياء من بمباي عند اشتداد الحرارة وتغير الجو في المدن الكائنة جهة الغرب

مدينة بانجا لور شهيرة بجودة هوائها حيدر آباد وهي قاعدة قسم نظام عدد سكانها ٤٥٠ ألف نسمة وقد اسس الانكليز بقربها بلدة صغيرة لسكنهم سموها الكسندر آباد وديانة اهل هذا القسم الاسلام

واما مدينة دلهي التي كانت قديماً عاصمة مملكة المغول فانها على فرع من فروع نهر جمه تشتمل على كثير من الابنية العظيمة المبينة بالرخام وحجر المرمر منها دار مجلس الشورى والمجلس العام وكان به في القدام عرش الطاووس المشهور المصنوع من الذهب الخالص والجواهر قدّر ثمنه بمائة وخمسين مليوناً فرنك وفيها للمسلمين الجامع العظيم ويسمى مسجد جمه يعده المسلمون من غرائب الدنيا وعجائبها كما يدعون المدينة شاه جهان آباد اي مدينة ملك العالم وفي المدينة نحو اربعين جامعاً وبعض الهياكل الهندية واضرحة اسلاطين الهنود واولياء المسلمين وكثير من المباني الاوروبية العظيمة منها دار الحكومة وكنييسة سنت جيمس وعدة كنائس غيرها وفيها ايضاً معامل للمنسوجات القطنية والتيل وتجارتها واسعة النطاق في اصناف الحرير والجواهر وسوقها

المعروفة بكادني شوك من احسن اسواق الهند واكثرها اتقاناً
تجارة الهندستان - ولو ان التجارة الداخلية في بلاد الهند عظيمة جداً الا
انها ليست متناسبة مع عدد سكانها فالسواد الاعظم من الهنود يعيشون
معيشة تقرب من الفقر واكثرهم قانع بمستخرجات البلاد ومحصولاتها . ولقلة
النهيرات القابلة للملاحة فيها اضطرّ الاهلون لانشاء ترعة كبيرة محاذية لنهر
الكنج تيسيراً للمعاملات التجارية في الداخل وانشأوا سككاً حديدية عدة تمر
على اشهر المدن التجارية بها . منها السكك الحديدية التي تفرّع من بومباي
وتتجه الى الشمال فتمر على سورات وبارون فوادي نهر الاندوس ثم قسم
لاهور والى الشرق على الله آباد وكلكتا والى الجنوب الشرقي على مدارس
وكاليكوت ومن اشهرها ايضاً السكك الحديدية التي تبدأ من كالكتا وتمر
على باننا والله آباد واجر ودلهي ولاهور .

وفي الهندستان كثير من الخطوط التلغرافية . يصلها بانكلترا خيطان
احدها يمتد تحت مياه البحر من بومباي الى السويس ثم بوغاز جبل طارق
ثم فالوس (مدينة بانكلترا) والآخر يمر على البصرة ثم القسطنطينية ومنها
الى انكلترا وجميع المدن الاوروبية .

واما تجارة الهند مع الخارج فتبلغ الاربع مليارات من الفرنكات
فهي تجلب من بلاد الانكليز كثيراً من الاقشعة القطنية والصوفية ومن
فرنسا كثيراً من الانسجة الحريرية ومنهما مقداراً كبيراً من المعادن النفيسة
سيما الذهب والفضة ويدخل لها منهما ومن كافة الاقطار مقادير عظيمة من
من الالات الحديدية وغيرها .

ومعاملاتها التجارية متصلة بأوروبا اربعة اخماسها مع انكلترا والباقي مع
اوستراليا والصين واميركا وهي تصدر كثيراً من الافيون والقطن والصوف
والنيلة والارز وملح البارود .

ومن السفن التي ترد اليها للتجارة معها تسعة اعشارها رافعة اللواء
البريطاني واخصها بالذكر السفن التابعة لبحيرة المستعمرات الهندية الانكليزية
التي يبلغ وزن محمولها مليون طولوناته . وكل من تعري كلكتوتا وبومباي
يتجروحدة سنوياً بما ينوف عن مليار فرنك وتضاهي بومباي البلاد الاوروبية
العظيمة حركة وتجارة

والهند مملكة عظيمة قوية تضاهي بقوتها اعظم الدول الاوروبية يحكمها
بالنيابة عن جلالة الامبراطورة حاكم عام مع نخبة من رجال الانكليز واعيان
الهنود ويسكن الهند مائة الف انكليزي ربعهم من عمال الحكومة وبلغ عدد
الجنود العاملين في الهند (٢٢٦٠٠٠) منهم ٧٤ الف انكليزي والآخر من
الهنود وعددهم ١٥٢ الفاً أي ان كل جندي انكليزي يقابله ثلاثة من الهنود
وكذلك الضباط الذين يتولون قيادة الجيش فان كل ضابط انكليزي يقابله
اثنان من الهنود . وثق الانكليز بامانة وشجاعة الجنود الهندية وقد قال
المورد ولسلي في هذا الصدد « إن نفراً واحداً هندياً يدافع عن تاج انكلترا
اكثر من عشرة انكليز »

وايراد الهند السنوي يعادل ايراد انكلترا وتبلغ ادارة نفقاتها ٢٤ مليوناً من
الجنهيات وانكلترا لا تأخذ منها شيئاً ولكنها تدفع رواتب موظفيها وتقوم
بسائر نفقات حكومتها مما يجمع منها وفائدة الانكليز من هذه البلاد لتجارهم

لا لحكومتهم فان الهند اكبر مستعمرات انكلترا بل هي بلاد فسيحة الارحاء فيها الاسواق الواسعة تصرف فيها البضاعة الوفرة التي يشتغل فيها الملايين من ابناء التاميز . وقد قال بعضهم : لولا الاسواق الهندية لوقفت حركة المعامل الانكليزية فيحقق للهند ان تتباهى على انكلترا وتقول لها : اني احفظ ابناءك من الموت واقبهم شر المصائب والبلايا . فهذا ما يدعو انكلترا الى القلق المستمر والتيقظ التام لحفظ كيان هذه المستعمرة العظيمة ويوجد التنافس بينها وبين روسيا على حدودها وفي الافغان الواقعة بين املاك الدولتين والموجودة تحت حماية انكلترا » وان تكن مستقلة تمام الاستقلال في شؤونها الداخلية «

ومن توابع الهندستان الانكليزية جزائر لا كديف وجزائر ملديف في المحيط الهندي وكلها خاضعة لسلطة والى الهند

« جزيرة سيلان Cylon »

وسمى ايضا جزيرة سرنديب واقعة في الجنوب الشرقي من بحيش جزيرة الهند ويوصاها بونغاز بلخ ويقطنها زهاء الثلاثة ملايين من النفوس وعاصمتها كولومبو وكان العرب في القرون الغابرة يعرجون عليها بسفرهم الى ملقا وجزائر الملوك ليتزودوا منها الماء لسفنهم ويحملون منها القرف والعطريات وخشب الصندل واللؤلؤ الى عدن والى جزيرة هرمس في الخليج الفارسي . وقد استولى عليها البورتغاليون سنة ١٥٠٦ واسسوا قلعة كولومبو التي هي الآن عاصمة لهذه الجزيرة . ويستخرج منها الاحجار الكريمة كالزمررد وهي كثيرة النباتات وشهيرة بتجارة الشاي .

وجزيرة سيلان هي التي نفي اليها عرابي باشا المشهور الذي كان قائد
الجيش المصرية في حادثة سنة ٨٢٠ هـ فانه بعد ان هزم في وقعة التل الكبير
وأُسِرَ حكم عليه المجلس العالي بالاعدام فسألت الحكومة الانكليزية الجناب
الخدوي المرحوم توفيق باشا باستبدال هذه العقوبة بالنفي المؤبد وكانت هذه
الجزيرة محل نفيه مع حليفه الشاعر محمود باشا سامي الشهير بالبارودي.

« بلاد الهند الصينية الانكليزية »

« British Indo-Chine »

ويقطعها زهاء اربعة ملايين من النفوس وتنقسم ادارياً الى قسمين قسم
برمانيا ويشمل مانيبور واراخان وتاسريم وعاصمته رنجون وهي اعظم مدن
العالم في تصدير الارز ويكثر فيها حجر اليشب ومناجم الفحم الحجري والغاز.
ومن مدنه الشهيرة مندلای واڤا. وبلاد برمانيا كثيرة الغابات
والصحاري ومن محصولاتها الارز وقصب السكر والنيلة والتبغ والقطن
ومن حيواناتها الفيل والفر

وقسم مستعمرات البوغاز وهي تشمل جزائر اندمان ونيكوبار وجزيرة
پولو پينيخ وسواحل ولستون وتولو سجار وملقا وجزيرة سنجاپور. وعاصمة
هذا القسم مدينة سنجاپور وهي مركز عظيم للتجارة لانها على طريق الهند
والصين واستراليا وينوف عدد سكانها على المائة الف نفس وهم من امم
متفرقة ذات اخلاق ومذاهب شتى فيوجد فيها انكايز وهولنديون وعرب
وهنود وصينيون وبنغاليون وغيرهم. وارضها جديبة قحلة يكاد لا ينبت فيها
شيء إلا ان العلم الانكليزي الذي يحقق فوقها قد جذب اليها محصولات

البلاد المجارة لها فاصبحت معمورة آهلة كثيرة الحركة والتجارة بعد ان كانت خالية خاوية . وقد اشتراها الانكليز في سنة ١٨١٨ بمائة وستين الف فرنك من سلطان جاهور ورثوا له فضلاً عن ذلك مرتباً يقبضه ما دام حياً وقد بلغ ايراد الحكومة من مرور السفن من بوغازها ٥٠ مليون فرنك سنة ١٨٥٠ وفي سنة ١٨٧٥ وصل الى ٦٠٠ مليون اي ٢٤ مليون جنيه .

ملقا Malaka

اما قسم ملقا فانه تحت حماية الحكومة الانكليزية وسكانه نصف مليون نفس ويحكمه اصراء من العرب والماليزيين ويوجد فيه معدن القصدير بكثرة

عدن Aden

مدينة من بلاد اليمن واقعة في الجهة الجنوبية منها في شبه جزيرة جرداء خالية من النبات والماء على مسافة مائة ميل شرقاً من بوغاز باب المندب وهي حصينة للغاية لكونها محاطة بسور طبيعي من تلال صخرية صلبة وقد بذل الانكليز الجهد في اصلاحها وتحسينها وتشيد القلاع والاستحكامات العظيمة في كل نقطة مهمة فيها بيد ان مناخها ردي وحرها شديد فلا يقدر الاجني ان يعيش فيها ولذلك كانت الحكومة الانكليزية لا تسمع لجنودها بان تلبث فيها كثيراً بل تبدلهم كل سنة تقريباً وقاية لصحتهم

على أن فيها البنايات الجميلة ومحلات تجارية عديدة للاوربيين والهنود والفرس ويحكمها وال انكليزي تابع لولاية بومباي في الهند . ويقطنها نحو ٤٠ الف نفس وهي مدينة تجارية مشهورة ومحطة مهمة لكل البواخر

الآتية من أوروبا والراجعة من الهند والصين واليابان وأستراليا وشرقي
أفريقيا ولكونها متوسطة بين أوروبا والاماكين المذكورة قد جعلت ميناها
مستودعاً للفحم الحجري الذي تأخذ البواخر منه مؤونتها ذهاباً وإياباً فهو
موكوم هناك شبه التلال العظيمة أما تجارتها فذات أهمية عظمى واخصها في البن
اليمني والحشبي والصمغ العربي وحب الهال والبهارات والعاج والذهب وريش
النعام والجلود وغير ذلك .

« Berim »

جزيرة بريم

في وسط بوغاز باب المندب الذي يفصل أفريقيا من آسيا وقدامتلكها
الانكليز لكونها مفتاح البحر الأحمر وعلى طريق الهند .
(هونغ كونغ) Hong Kong وتسمى أيضاً بجزيرة الماء العذب ويقطنها نحو
٢٢٥ ألف نفس وهي واقعة بقرب كانتون إحدى مدن البلاد الصينية وقد
امتلكها الانكليز في سنة ١٨٤٢ ثم بعد ذلك بثماني عشرة سنة اشتروا قطعة
الأرض التي حولها وبسوا فيها عاصمة سموها باسم فيكتوريا وهي من المراكز المهمة
التجارية البحرية وقد اشتهرت بتجارة الأفيون والشاي والكافور رغم أن كون
القوانين الصينية لا تبيح استعمال الأفيون لما ينجم عنه من الضرر الجسيم إلا
أن انكليترا أكرهت إمبراطور الصين على أن يرخص لتجارهم الاتجار به
وتستهلك الأمة الصينية منه سنوياً قدراً عظيماً ينفق ثمنه على ٣٠٠ مليون
من الفرنكات

هذه الجزيرة موضوعة بالقرب من خليج اسكندرونه في جنوب شبه جزيرة الاناضول ومخترة بمجال شاذة اشهرها سلسلي سرينة ورووس او اوليه ويتخللها كثير من النهرات التي تنحدر من اعالي الجبال وارضها خصبة تكثر بها الفواكه والقطن والدخان والزيت الجيد والعسل وكان بها في سالف الازمان معدن الذهب الذي استخرجه القدماء ويوجد بها الآن معدن النحاس فقط وقد كانت ولم تزل مشهورة باثمارها المستطابة وبنيتها وبالاذن وكثرة خيراتها كانت سبباً في انتشاب الحروب بين ملوك مصر والشام عليها حتى استولت عليها العرب في خلافة عثمان بن عفان ثم تداولها الافرنج مدة الحروب الصليبية حتى استولت عليها الدولة العثمانية في عهد الغازي السلطان سليم خان الثاني سنة ١٥٧٠ ميلادية وقد احتلها الانكليز منذ عهد غير بعيد محافظة على حمايتها للدولة العلية ثم امتلكوها اخيراً امتلاكاً تاماً وهي مع ذلك تدفع خراجاً سنوياً للدولة وعاصمة هذه الجزيرة مدينة لوقوزيا وهي كائنة على الشاطئ الايمن لنهر بدياس الذي هو اكبر انهر الجزيرة ومن مدنها الشهيرة ميناء فاجوست وهي ميناء حصينه كائنة في شرق الجزيرة ثم مدينة كبلاد في الجنوب الغربي شهيرة بتربية نحل العسل ويقطن الجزيرة ٢٥٠ الف نفس اكثرهم يونان .

مستعمرات انكلترا باميركا

« British Colonies in America »

Canada بلاد الكنادا

قد امتلكت الامة الانكليزية جميع الاقطار الواقعة في شمال الولايات المتحدة ومن ضمن تلك الاقطار بلاد واسعة خصبة تسمى بلاد الكنادا وقبل الخوض في الكلام عليها نذكر طرفاً عن كيفية استكشاف اميريكالان له مساساً بموضوعنا هذا :

منذ اربع قرون خلون من أيامنا هذه استكشف احد اهالي جينوا المدعو كريستوف كولوب قارة امريكا او العالم الجديد وقد فتحها باسم ملك اسبانيا لانه هو الذي امدّه بسفنه لاستكشافها ولذا كتب له حين رآها ما يأتي « قد رنّ اسمك بعون الله على هذه الارض الفيحاء فمئمت مفتاح باب الاوقيانوس الذي كان الى الآن موصوداً بمتين الاغلال ولما طاف كريستوف المذكور حوالى الجزائر القريبة من قارة اميركا (وهي جزائر الانتيل) وجاب ارضها وسير اخلاق اهليها الفاهم ذوي بشاشة يميلون الى الاجتماع ليس لهم نفور ممن يقرب منهم وقد ذكر ذلك في كتابه الذي ارسله الى ملكه وملك اسبانيا حيث قال « اني اؤكد لجلالتكما انه لا يوجد في العالم باسره قوم الين جانباً من اهل هاته الجزيرة ولا اكثر بشاشة ولا اهدأ طبعاً ولا اجمل اخلاقاً يلهجون بصوت رخيم يأتد منه السامع وينبسمون دائماً اذا فاهوا . وقد أيدّ قوله جميع السّياس الذين جاءوا تلك البلاد وجاسوا خلالها واوغلوا

في انحلأها فارشدوا اوطانهم الى طرق الاستيلاء والاتجار معها ومن ذلك الحين جاء الاوريون اليها افواجا وزمرأا فخلوا بها وعمروها ومدنوها وادخلوا بها العلوم والمعارف والصنائع والفنون وصاروا يشقون عقول اهلها فاستنارت بشمس الحضارة الحالية وقتئذ واستفاقت من خمولها ونومها . ولما ابتدأت تلك البلاد في الظهور في عالم المدينة تقاطر اليها الاوريون من الانكاز والفرنسيس والالمان والهولاندين والاسبانيين حتى الهنديين والصينيين واليابانيين جاءوا اليها من الاقطار السحيقة ابتغاء نيل ثروة منها فمنهم من استوطن بها ومنهم من بارحها وقد دلت الاحصاءات انه يفد اليها كل عام آلاف مؤلفة من اوروبا واقصى البلاد للاستيطان بها

وبين السائحين الذين اتوا سنة ١٥٣٤ الى امريكا الشمالية سائح فرنساوي يقال له جاك كارتيه ارسله فرنسوا الاول ملك فرنسا للاستيلاء على بلاد الكنادا باسمه فدخلتها اذ ذاك الامة الفرنسية وهرع كثير منها اليها وبشوا في اهلها روح الحضارة وعمرها منها ما كان خربا ولقنوا سكانها بعضا من علومهم وعلومهم اللغة الفرنسية وهي الآن اكثر اللغات انتشارا بها وقد حفظ السكان الى وقتنا هذا عوائد الامة الفرنسية واخلاقتها وكان اهم معمر لهذه الديار الفرنسي المعروف باسم شامبلين فهو الذي عمر بنيانها واقام اودها ونظم احوالها وروج تجارتها وساعد المبموئين الروحانيين على نشر الدين المسيحي بها وكأنت التجارة الى ذلك العهد منحصرة في بيع الجلود وما ابتدا الاهتمام بالفلاحة بها الا في سنة ١٦٣٨ ميلادية

وقد كانت الامة الانكليزية في ذلك الوقت مالكة كافة الاقاليم الواقعة

في جنوب الاملاك الفرنسية ولا يخفى ان الانجليز ينجحون دائماً الى الافراد بالسلطة فوقعت بينهم وبين الفرنسيين مناوشات طفيفة اولاً ثم اخذت تلك المناوشات تزداد يوماً فيوماً حتى شبت لظى الحرب بين الامتين في اواخر القرن الثامن عشر. فارسلت الحكومة الفرنسية على الفور ١٨ بارجة حربية على الاملاك الفرنسية باصريكا فلما وصل قائدوها الى « يادوساك » بعث خطاباً ينذر به الحاكم الفرنسي بتسليم البلد والخضوع له وهدده بتشديد الحصار عليه حتى يضطره نفاذ المؤونة الى الاستسلام ولما وصل الفرنسيين هذا الخطاب رموه ارضاً ولم يكثرثوا به فشدد الانكليز الحصار واستمر المحاصرون يكابدون الم الحصار مدة مديدة كلما ياتيهم مدد من الخارج وقع في قبضة المحاصرين وقد اضطروا ان يقتاتوا من جذور النبات الا انهم آثروا المعيشة في الذل والفاقة على تسليم المدينة الى اعدائهم ولما تيقن المحاصرون ان مؤونة المحاصرين وذخائرهم قد نفذت صالوا عليهم كالاسود الضواري واخضعوهم ودخلوا مدينة يادوساك

ولم تكن هذه المدينة واحدة من الاملاك الفرنسية التي وقعت في ملك الانكليز وما كانت بغيتهم الا الاستيلاء على الاملاك الفرنسية الاميريكية كلها ولما جاء الوقت المضروب لذلك حشد اللورد شتام جيشاً جراراً مؤلفاً من ٦٠ الف مقاتل لمحاربة النزل الفرنسية والاستيلاء عليها وكذا صوب نحوها البوارج الانكليزية لحصارها بحراً اما فرنسا فلم تستطع ان تمد نزلها ببلاد الكنادا بعسكر ولا بمؤونة لان الاضطرابات الداخلية كانت تشغلها كثيراً وكان قواد القوة الحربية للنزل الفرنسي اذ ذاك دوقودريل ودي

مونتكم فحشدا جيشاً مؤلفاً من ستة آلاف مقاتل من العساكر النظامية وستة عشر ألفاً من همج الوطنيين الأمريكانين وكانت الفرقة الثانية مؤلفة من أناس مختلفي الاجناس يجمعها ست وثلاثين قبيلة غير متجانسة صعب قيادتهم لا يخضعون ولا يمتثلون الى الاوامر العسكرية لانهم لم يكونوا مدربين على المحاربة طبق نظاماتها وقد حصلت جملة مناوشات حربية كان النصر فيها في البداية للنزل الفرنسية .

وفي سنة ١٧٥٨ حاصرت القوة الانكليزية مدينة كيبيك فصارت تطلق عليها قنابلها وتقذف اليها نيرانها حتى اشتعلت دورها وخرّبت ما كان منها عامراً ثم تحولت الى جهة اخرى وشرعت تسحق في عسكر النزل الفرنسي حتى ابادتهم وكان من اشهر الرجال الذين قضى عليهم في تلك الواقعة الشهير مونتكم وبموته خضعت مدينة كيبيك للدولة الانكليزية .

ولتأييد ذلك النصر ارسلت الدولة الانكليزية ثلاث كتائب نحو مدينة مونتريال للاستيلاء عليها وبالنسبة لاضمحلال القوة الفرنسية بها لم تستطع تلك المدينة ان تقاوم طريداً فاستسلمت بعد قليل من الزمن وعقد اذ ذاك الانكليز والفرنسيين عهدة بينهما مؤلفة من ٣٥ مادة اليك اشهرها

« يتعهد الفرنسيون بنزع السلاح وكف الحرب وتؤدي لهم عند اوتيتهم الى مدينة كيبيك المراسم الحربية ويبقى المركز دوڤودريل بداره حتى يؤب الى سفينة لاثمه بمقامه »

« ويحافظ الكاثوليك على مذهبهم »
« ولا تمس حقوق الكهنة والمبعوثين الفرنسيين بأذى ويحفظون

« الامتيازات التي كانت منحولة لهم من قبل وكذا يحفظون املاكهم وحقوقهم المنقولة والثابتة »

وقد حافظت الدولة الانكليزية على هذه المعاهدة الى يومنا هذا ثم سعت في انماء ثروة تلك البلاد وتحسين احوالها وتنظيم ادارتها فاصبحت تجارتها اكثر رواجاً منه في ايام الفرنسيين وقد ادخلت بها ايضاً كثيراً من الاصلاحات التي عادت بالنفع العظيم على السكان فهذا ملخص تاريخ استيلاء الامة الانكليزية على تلك البلاد واليك الآن بعض كلمات عنها من وجه آخر

تبلغ مساحتها (٤٥٠٠٠٠٠ كم . م) ويبلغ عدد سكانها خمسة ملايين نفس تقريباً ومع ان المواليد كثيرة جداً هنالك فان عدد السكان لا يزداد الا قليلاً كل سنة وسبب ذلك مهاجرتهم منها للاستيطان بالاقاليم الغربية للولايات المتحدة لانها في هواء معتدل مقبول .

اقسامها السياسية — تقسم بلاد الكنادا الى ثمانية اقسام سياسية ويوجد قسم تاسع في ادارة خاصة ويشمل جزيرة الارض الجديدة ومجمع جزائر برموده اولا كولومبيه البريطانية وهي كأنة على شاطئ المحيط الهندي ويتبعها فانكوفير ومجمع جزائر الملكة شارلوت وقاعدتها فكتوريا وهي من اعظم مدن اميركا على شاطئ المحيط الهادي وهي مبنية في جنوب جزيرة فانكوفير واغلب اراضي هذا القسم جبلية تشتد فيها البرودة عدا الشواطئ فان الطقس بها معتدل قليلاً وكان بها معادن الذهب بكثرة عند استيلاء الامة الفرنسية عليها اما الآن فكادت ان تتلاشى بالنسبة لكثرة ما استخراج منها

ويوجد بهذا القسم ايضا غابات عظيمة مأهولة بأنواع الحيوانات ذات الفرو
التيمة ويوجد فيها ايضا شجر الشوح وصراعي جميلة لتربية المواشي وسهول
ووديان واسعة قد جمعت بين حسن المنظر وعظيم النفع ويوجد الفحم الحجري
بكثرة في جزيرة فانكوفير وارخيل الملكة شارلوت ثم ان هذه الاراضي وان
تكن ملكا للدولة البريطانية الا ان الانجليز لا يقطنون الا السواحل والجزر
واما داخل البلاد فمكون بالهنود الذين لم يشرق عليهم نور المدنية للآن

ثانيا اراضي الشمال الغربي وتمتد بين خليج هودسون والمحيط المتجمد
الشمال ويتخلل هذا القسم كثير من الانهار والنهيرات والبحيرات اشهرها نهر
ماكنزي الذي ينبع من بحيرة اتاباسكا وبحيرة العميد والدب الاكبر ثم يصب
في المحيط المتجمد ونهر ساسكاتشوانه الذي يروي سهول ووديان مانيتوبا ونهر
نلسون وسقرن وهذه الانهر الثلاثة تنبع من بحيرة ونيج وتروي سهولا
من اخصب بلاد العالم ويتبعها شبه جزيرة لابرادور وهذا القسم اعظم
الاقسام مساحة وقلها سكانا نظرا لاشتداد البرودة وعدم خصوبة ارضها
لانها كثيرة المستنقعات ومع ذلك فقد يفد اليها الصيادون ويكثر سكانها
يوما فيوما واما الجهات الباردة فسكونة بامة الاسكيموس الذين يقتاتون
بالاسماك ويلبسون جلود الحيوانات وهم على الحالة الهمجية

ثالثا جزيرة البرنس ادوار مساحتها ٥٥٠٠ كيلو متر وهي حسنة الموقع
كائنة في شمال ايقوسيا الجديدة وعدد سكانها ١٢٠ الف نسمة وقاعدتها
شارل تاون

وتتبعها جزيرة راس برتون التي قاعدتها سدن

رابعا شبه جزيرة ايقوسيا الجديدة وكانت تسمى قديما اكاديه تبعت
لفرنسا واستولت عليها الامة الانجليزية سنة ١٣١٣ وقاعدتها هاليفاكس وهي
مينا حربية صناعيه معتبرة كتر سخانه للمستعمرات الامريكية واليه يصل الخط
الحديدي من مونتريال وتبلغ مساحتها ٤٥ الف كيلو وسكانها ٤٠٠ الف نفس
خامسا برنسويج الجديدة وقاعدتها فريديك تاون ومن مدنها الشهيرة
سان جوهن على خليج فوندي وهي مينا حربية حصينة تطرقها السفن من
الولايات المتحدة

سادسا كندا السفلى تروى بنهر سان لوران وهي اعظم الاقسام سكانا
وينفصل هذا القسم عن الولايات المتحدة بالبحيرات الكبيرة التي يخترقها نهر
سان لوران ويكون بين اثنين منها شلال نياجارا الشهير وقد بنى الانجليز على
هذا الشلال جسر من اعظم جسور العالم وقاعدتها كيبك واشهر مدنها
مونتريال

سابعا كندا العليا او اونتاريو وهي كائنة بين نهر سان لوران وبحيرات
ايريا واونتاريا وهوردن والبحيرة العليا وهذا القسم خصب الاراضي كثير
الغابات والمراعي والسهول والوديان ويوجد به معدن الحديد والنحاس وينابيع
البترول اي الغاز الذي له الدرجة الاولى في تجارة هذه البلاد الشاسعة ومن
مدنها الشهيرة كنجستون على نهر سان لوران ويتبع هذا القسم قسم تورنتو
وقاعدة الحكومة في هذا القسم مدينة اوتاوا على النهر المسمى باسمها من
مصببات نهر سان لوران وعدد سكانها (٤٠ الف نفس)

ثامنا اقليم مانيتوبا يشمل اراضي اخصب بلاد امريكا عموما يكثر فيها

زراعة القمح ومن مدنها الشهيرة ونييج وهي في ملتقى النهر الاحمر بنهر
اسينبوان

القسم التاسع المنفصل على حدته قسم جزيرة الارض الجديدة وهي في
مدخل خليج سان لوران قحلة لا ينبت بها شيء يصلح للقوت الا ان انكباب
الامم على السفر اليها في اوقات محددة من السنة ليس إلا لصيد الحوت
والذي يكثر منه على الرمال التي تحيط بهذه الجزيرة عند نزول التيار الآتي من
القطب الشمالي وقاعدتها سان جان او القديس حنا وقد يتبع حكومة كندا
مجمع جزائر برموده وقاعدتها هاملتون

الزراعة — يكثر في بعض الاقاليم التي ذكرناها القمح والجوادر ويرسل
منها مقداراً عظيماً للندرة وكذا يزرع بها البطاطس وحشيشة الدنيار وهي
تبت على ضفاف سان لوران وكذا القنب والكتان والتيل
ويكثر بها ايضاً حب الصنوبر والهور والسنديان والشوح والبلوط
ويوجد بها مراعي يسرح فيها الملايين من المواشي التي هي ينبوع ثروة
هذه البلاد

اما المعادن فقد يكثر منها الفحم الحجري في برنسويج الجديدة وايقوسيا
الجديدة وجزيرة راس بريتون وجزيرة فانكوفير يوجد فيها مناجم تفوق
عما سواها في الكثرة وجودة المعدن وكذا الحديد والنحاس في ايقوسيا الجديدة
وقسم البحيرات والذهب ببولومبيا وزيت البترول في كندا الغربية
محصولاتها — وبلاد الكنادا اعظم الولايات الامريكية حركة وتجارة
بعد الولايات المتحدة واكثر محصولها الزراعي القمح والجوادر ويرسل منهما

مقداراً عظيماً لاوندرا وتزرع بها البطاطس وحشيشة الدينار وهي تثبت على ضفاف سان لوران وكذا القنب والكتان والتيل وفيها صراع كثيرة تسرح فيها المواشي التي يعتني الاهلون بتربيتها لانها ينبوع ثروة البلاد . ويصطاد كثيراً من الأسماك من خليج سان لوران ويصدر منها مقداراً عظيماً للبلاد الأوروبية . وفيها غابات واسعة تؤخذ منها الأخشاب لصناعة السفن والبناء ويستخرج منها الجازبوفرة . وفي قسم كولومبيا توجد معادن ذهبية كثيرة وفي كندا الغربية زيت البترول . وفي ايقوسيا الجديدة وقسم البحيرات الحديد والنحاس . وفي برونسوينج الجديدة وايقوسيا الجديدة وجزيرة رأس بریتون وجزيرة فانكوثير مناجم تفوق غيرها في وفرة المعادن وجودتها .

وقد اكتشف في المدة الأخيرة على بعد مائة ميل من الاسكا (وهي شبه جزيرة بحر بارنغ) اشترتها انكارتا من روسيا سنة ١٨٧٦ وتعرف بـ (كلونديك) بقعة فيها معادن ذهبية تبلغ ٢٥٠ ألف ميل مربع . وقد جذب غنى هذه البقعة كثيرين من طلاب الذهب ولكن دون السفر اليها قطع جبال واجتياز بحار ومشاق كثيرة

صناعتها — واما الصناعة فقد تقدمت بكندا تقدماً عظيماً وقد استعمل الانكليز تيارات المياه التي تنحدر من اعالي الشلالات لادارة فابريقات ومعامل لسبك المعادن ثم انه يوجد معامل كثيرة لعمل الآلات الميكانيكية في مدن جوهن وهاليفكس وفي تورنتو معامل للآلات الزراعية وفي كيبك معمل عظيم للعربات على اختلاف انواعها وفي مدن سان موريس وكنجستون واوتوا معامل لصب الحديد والصلب وفي منتريال معامل كثيرة لدبغ الجلود

تجارتها . إن اعظم طرق المواصلات التجارية بها نهر سان لوران والبحيرات العظيمة الا ان نهر سان لوران يجمد مأؤه ويصير جليداً مدة خمسة اشهر في السنه وبها كثير من السكك الحديدية التي تربط اشهر مدنها وخطوط تلغرافيه عدة توصل مدنها بمدن اوروبا وكافة الاقطار

وتجارتها مع الخارج منحصرة في جلب المنسوجات القطنية والصوفية والشاي والسكر والنبيد من فرنسا وبعض اشياء اخرى لازينه وفي تصدير الاخشاب والحبوب والدقيق والاسماك والجلود والزيت . ولتجار الانكليز الحظ الاوفر من تجارة هذه البلاد

بعض معتقدات اهلها — يعتقد الاهلون بها ان كل ما يراه الانسان في منامه لا بُدَّ من وقوعه وقد اشبهوا بذلك الكثير من عوام مصر الذين يعتقدون هذا الاعتقاد ايضاً . فقد روي احد اصراء هذه البلاد الاصيلين اذ زار ذات يوم ظابطاً انكليزياً لعقد معاهدة معه . وفي اثناء المحاضرة قال له : اني رأيت في منامي هذه الليلة انك خلعت عليّ الثوب الاحمر الذي تكتسى به في ايام المواسم والاعياد . فتحير اذ ذاك الضابط الانكليزي الا انه ما رضى ان يرفض طاب الامير نخلع عليه في الحال الثوب الذي تمناه . وبعد تلك الحادثة بايام قلائل تقابل الضابط الانكليزي مع الامير نفسه وقال له . « اني رأيت في منامي انك وهبتي هذه الارض » وأشار بيده الى ارض هنالك خصبة التربة حسنة الموقع فلم يستطع الامير وقئذ الا ان يليي طلبه فاجابه « هي لك بشرط ان لا تطلعني من الآن فصاعداً على رؤياك ولا اطلعك على رؤياي . . . »

ويعتقدون ايضاً ان الانسان له روحان روح لا تفارقه البتة حتى الوفاة

وروح تفارقه وقت منامه وهي التي تصدر عنها جميع الحركات والافعال التي رآها الانسان في منامه . اما الروح الثانية فقالوا لا ريب في وجودها وأيدوا ذلك بقولهم : ان جسم الانسان يبقى ساكناً وقت النوم لا حراك به الا انه لا بد ان يكون ذا روح لانها ان غادرته هلك . .

واما الصناعة فقد تقدمت في تلك الاصقاع البعيدة تقدماً عظيماً وقد استعمل الانكاز تيارات المياه التي تصدر من اعالي الشلالات لادارة فابريقات ومعامل لسبك المعادن فيوجد معامل وترسختات لعمل الآلات الميكانيكية في مدن سان جوهن وهاليفاكس وفي تورنتو معامل صناعية لعمل الآلات الزراعية وفي كيبك معامل عظيم لصناعة العربات على اختلاف انواعها ويوجد معامل لصب الحديد والصلب بمدينة سان موريس وكنجستون واتاوا ومعامل لدبغ الجلود بـنـتـريـال

املاك الانكاز الاخرى

تلك ارخبيل الانثيل ست دول اسبانيا وانكلترا وفرنسا . وهولاندا . والدنرك . وفنزويلا . اما املاك انكلترا منها فهي :

جامايك استوات انكلترا على هذه الجزيرة في اواسط القرن السابع عشر وسكانها ٦٠ الف نفس ربهم من النوع الابيض واشهر محصولها الزنجبيل والكاكاو والسكر والدخان واشهر مدنها كنجستون (مدينة الملك) واقعة في جنوب الجزيرة ولها ميناء جميل .

ويليها جزائر الرياح ويقطنها ٥٣ الف نفس

ثم جزيرة « انتياجو » « وجزائر دومينيك » « وبارباد » « وغرناطة »

« وتاباجو » ثم جزيرة « ترينته » (اي التثليث) وهذه الجزيرة اكبر الجزائر
المنقدمة ومركزها سبانشتون (اي مدينة الاسبانيين) ثم جزائر « باهاما »
وهي جزائر عدة متقاربة من بعضها واشهر محصولاتها الفواكه والانااس ومنها
جزيرة « سانت سلوادور اي جزيرة النجاء » وهي اول الجزائر التي نزل بها
كريستوف كولومب مكتشف امريكا

وتبلغ تجارة جزائر الاندلس الانكليزية مع الخارج اكثر من ٣٠٠ مليون
فرنك اما تجارتها العمومية فتبلغ مليارين من الفرنكات منها مليار لجزيرة كوبا
وحدها التابعة لاسبانيا و ١٢٠ مليون لجزائر فرنسا :

جيوانة الانكليزية - تنقسم بلاد الجويانه الى قسمين كبيرين قسم
مستقل واخر تابع لدول اوروبية ثلاث انكلترا وفرنسا وهولانده فالجويانه
الانكليزية اكثرها سكانا واحسنها موقعا واخصبها تربة وعاصمتها مدينة جورج
تاون وهي مدينة تجارية تصدر كثيرا من السكر والاششاب النفيسة

وتبلغ تجارة الجويانه الاوروبية ١٦٠ مليوناً من الفرنكات منها ١٢٥
مليوناً للجويانه الانكليزية وحدها

ولانكلترا جزائر اخرى منها كثير الاهمية ومنها ما هو قليلها اشهرها
« مونيرات » « وسان كريستوف » « والانجيل » « وسان لوسى » « وتورتولا »
« وجزائر بورمون » « وهوندراس » « وجزائر كاللان » « وجزائر الترك »
« ولايك »

مستعمرات انكلترا في الاوقيانوسية

British Colonies in Ocean

« أستراليا »

Australia

ان أستراليا اكبر جزائر الاوقيانوسية بل هي اكبر جزائر العالم واوسعها واعظمها واشهرها ومساحتها تعادل ٤ ملايين و ٨٢٧ الف كيلومتراً مربعاً وعدد سكانها مليونان ونصف مليون وفي القرن السابع عشر عليها الهولنديون وقد سموها ببلاد هولاندا الجديدة ثم وفدها الاسبانيان الشهيران بدروفرنانديس ولوى دي تورس بعد ذلك بسنة اي سنة ١٦٠٧ وقد عبر الاخير منهما البوغاز الذي سمي باسمه ووصل الى راس يورك وفي سنة ١٦٢٨ عشر الهولنديون بطريق الصدفة عند ذهابهم من اوروبا الى باناغا (جزيرة جاوا) على ارض وتس وخليج كارنتباري وفي سنة ١٦٤٢ استكشف تازمان الشهير ارض فان و يامان اما كوك الشهير فقد استكشف في رحلاته الثلاث سواحل أستراليا الشرقية ومن بعده تواتر السباح والملاح اغلبهم من الامة الانكليزية مثل باس وجرانت على هذه الاراضي وشرعوا يوالون البحث والاستكشاف فرفهوا الفطاء على كثير من المعينات والمجهولات وقد حاول اكثرهم التوغل والتجوال في داخلها للدراسة وصف ارضها وما فيها فلم يتوصل احد منهم الى اختراقها من الشمال الى الجنوب حتى اقدم على هذا العمل البطل المقدم بورك وكشف النقاب عن مخباتها

وكانت انكلترا في سنة ١٧٨٨ ترسل مجرميها وجناتها الى هذه الجزيرة
فكثر الاشرار فيها وشرعوا يعيشون فساداً حتى اهلكوا وابدوا سكانها
الاصليين .

وفي سنة ١٨٥١ اُستكشف بهذه الديار معادن ذهبية عظيمة فما كاد يطير
هذا الخبر الى اوروبا حتى اقبل اليها الصناع والتجار وغيرهم زمراً زمراً ونزلوا
بها وصاروا يستغلون هذه المعادن ويتجرون بمحصولها حتى جمعوا امولاً طائلة
منها فمكفؤوا من بعد ذلك على تربية المواشي لوفرتها بتلك الديار وهكذا فانهم
استاثروا بثروة هائلة المراتب والبلدان

ويقطن استراليا هذه كثير من الانكليز والاييرلنديين وبلغ عددهم
(المليونين تقريباً) والالمانين والصينيين والاورستاليين الاصليين والفرنساويين
والايطاليين وعدد عظيم من قبائل الماوريس وفيوجي
والديانة المنتشرة بها هي البروتستانتية وتليها الكاثوليكية ثم الاسرائيلية
واقسام هذه البلاد السياسية سبعة كل قسم منها مستقل بادارة شؤونه ومهامه
الداخلية استقلالاً يقرب من التمام .

اولها قسم او مستعمرة فيكتوريا سكانها مليون نفس تقريباً وقاعدتها ملبورن
فرضة تجارية شهيرة تأسست سنة ١٨٣٥ وهي الآن اعظم مدن
الاقيانوسية واغنى فرضة بها فتصدر كثيرا من الذهب والصوف وتجلب
كثيرا من الملابس والاقمشة والمشروبات الكحولية

ثانيها قسم الغالة الجديدة الجنوبي وسكانه ٨٠٠ الف وعاصمته سيدناي وهي
المركز السياسي لحاكم الاقيانوسيه المندوب من طرف الحكومة

الانكازية المراقبة على الاعمال السياسية والمالية الداخلية والخارجية .
 وصادراتها الصوف والجلود والفحم الحجري والجوخ والذهب
 ثالثها كوينزلند اي ارض الملكة وسكانها ٣٠٠ الف نفس ومركزها بريزبان
 وتصدر القصدير والنحاس والصوف
 رابعها اوستراليا الجنوبية وسكانها ٢٨٠ ألفاً وكرسياها السياسي ادلايد
 وصادراتها الدقيق والصوف والنحاس
 خامسها اوستراليا الغربية وقاعدتها برث
 سادسها ارض تزمانيا
 سابعها زيلانده الجديدة وعدد سكانها ينيف عن نصف مليون وعاصمتها
 ولتون .

ولانكلترا مستعمرات اخرى ايضاً بالاوقيانوسيه مثل جزائر فيدجي
 ضمتها الى املاكها سنة ١٨٧٤ ويبلغ عدد هذه الجزر نحو ٣٠٠ اغلبها مشحون
 بالبراكين والجبال ولها جزء من غينا الجديدة ومن جزيرة بورنو
 ونظراً لخصوبة ارض اوستراليا وكثرة المزارع والنباتات واتساع المعادن
 الذهبية والنحاسية والقصديرية وغيرها قد بلغت تجارتها مبلغاً عظيماً حتى انها
 عدت من أشهر متاجر العالم ويدل ذلك على ذلك كمية الذهب المستخرجة من
 سنة ١٨٥١ الى سنة ١٨٧٧ واليك بيان اثمانها

من زيلانده الجديدة بلغ ثمن الذهب المبيع منها ٧٦٠ مليوناً من الفرنكات
 كوينزلند « « « ٢٦٥ « « «
 من بلاد الغاليه الجنوبيه « « « ٨٠٠ « « «

ومن فكتوريا خمسة ملايين من الفرنكات
فيكون ثمن مجموع ما بيع من الذهب المستخرج منها يعادل ٧ مليارات
من الفرنكات تقريباً أي نحو ٢٨٠ مليوناً من الجنيهات فتأمل في هذا العدد
الفاضح تعرف قدر تجارة هذه البلاد من صنف الذهب وحده
وتجارة المستعمرات الانكليزية الموجودة بالاقيانوسية مع الخارج يبلغ
مليارين من الفرنكات في السنة الواحدة منها ٣٠٠ مليون لتجارة الذهب الغير
المضروب و ١٥٠ مليوناً للصوف والباقي للجلود والمواشي واللحوم والقمح وباقي
الفلال واربعة اخماس تجارتها مع انكلترا ومستعمراتها
ويقال ان في سنة ١٧٩٧ لم يكن بها الا ثلاث خرفان وثمانية نعاج اتي
بها من مستعمرة الكاب من افريقيا والآن بلغ عدد خرفانها ونعاجها اكثر
من المهاجرين من كافة البلدان الاوروبية والاسيوية والامريكية ووصل
عدد سكانها الآن الى قدر عظيم وقد شوهد انه ينمو نمواً عجيباً حتى اثبت
احد العلماء من الابحاث التي عملها هنالك بعد دراسة احوالها دراسة
جيدة ان عدد سكانها سيصل قبل انتهاء القرن العشرين الى ١٩٠ مليوناً ودرجة
حضارة اوستراليا وصلت الى الغاية القصوى حتى انها اصبحت تضاهي الممالك
الاوروبية العظيمة تمدناً وتقدماً وقد قال في هذا الصدد احد علماء الفرنسيين
ان « اوستراليا احدي غرائب مصنوعات الامة الانكليزية » لانهم هم الذين
عمروها ومدنوها وفلحوها ونشروا بها العلوم والمعارف واوجدوا بها المصانع
والمعامل وانشأوا بها المدارس والمتاجر والمصارف والمستشفيات ومحلات
التجارة وغيرها واوجدوها الى عالم الظهور بعد الخفاء .

« المستعمرات الانكليزية بافريقيا »

British Colonies in Africa

افريقيا ذات الاطراف الشاسعة والصحاري الواسعة التي كان جها مجهولا منذ اربعين سنة برزت في هذه الايام من عالم الغيب الى عالم الظهور واصبحت مسرحا لتلاعب فيه مطامع الدول الاوروبية على الاراضي الخالية منها فانتشرت الحروب وانتشبت من جرى هذا النزاع في كل جهاتها من اقصاها الى ادناها فثارت في الشمال الشرقي بين ايطاليا والحبشة وشمالاً بين الجنود المصرية والانكليزية والمهدي ودراويشه وفي الوسط سار الفرنسي في الصحراء وبلاد سنغال والكونغو . على ان النزاع اشتد في القسم الجنوبي من هذه القارة وقامت الحروب على قدم وساق في الترنسفال وفي بلاد الماتيل وعلى ضفاف نهر اورنجه والكونغو وزمبيزه في جزيرة مداغسقر . وبالجملة فقد تشعبت المسائل الاستعمارية في افريقيا تشعباً لا مثيل لها حتى اصبحت من اهم المشكلات السياسية فصار امر المحافظة على استعمارها من اهم المسائل الشاغلة لدول العالم اجمع وصارت ارضها الغنية بمناجم الفحم والمعادن جذابة للمستكشفين من الاوربيين الذين لا يكادون يحتلون ارضاً حتى يحدونها لممالكهم ويمرونها ويقسمونها ومع ذلك فان خارطة افريقيا لا تشمل كافة التفاصيل والتقسيمات السياسية كما يجب ولا تكترا بافريقيا اعظم الاراضي واغناها واحسنها للسكن والتجارة

وهي مع ذلك تجتهد في ضم هذه الاراضي الواسعة الى بعضها وقد سهلت الطرق لاستخراج كنوزها واستدراار خيراتها وتحسين ادارتها ومن هذه الاملاك ما هو كائن ببلاد سنغال ومنها ما هو على سواحل غينا الشمالية ونهر النيجر ومنها السودان المصري الانكازي ومنها القسم الاعظم والاهم الكائن في جنوب افريقيا وهي حكومة الراس او الكاب وجزء عظيم من بلاد زنجبار والاراضي الحصبه الكائنه بين بحيرات فكتوريا والبرت نيازنا والبرت ادوار وهي التي تسمى ببلاد اوغندا

وهاك الآن نلج على الجزء الكائن ببلاد سنغيبيا . هذه المستعمرة الصغيرة كائنه بين الاملاك الفرنساويه والبرتغاليه وتسمى ببلاد غمبيا مساحتها ١٢ الف ك وعدد سكانها (١٤) الف نفس وهي ذات اراضي خصبة جيدة الهواء وقاعدتها مدينة باتورست وحاصلات هذه البلاد هي الاخشاب العطريه وريش النعام وزيت النخيل

بلاد سيراليونا

كائنه في شمال بلاد ليبيريا الحرة مساحتها ٧٥ الف كم وعدد سكانها ٨٠ الف نفس وقاعدتها مدينة فريتون او المدينة الحرة وهذه البلاد وان كان هوائها لا يوافق الاوروبيين الا ان حسن موقعها في الشمال الغربي من افريقيا كان سبباً في استيلاء انكائرا على ما فيها من السواحل لمد سفنها بما يلزم لها من الذخائر والمؤنة عند الحاجة

واما بلاد ساحل الذهب وما جاورها فيبلغ عدد سكانها المليون نفس

ومن ثغورها الشهيرة كاب كوست كاستل (راس شاطئ السراي) وهذه البلاد تصدر بكثرة الزيت ومعدن الذهب الى بلاد الانكليز ويتبعها بلاد اشاتي وقاعدتها قوماسيا واما مركز هذه المستعمرة السياسي فخرستيانبور

(ثم بلاد لاغوس .) وشركة النيجر السفلى وبلاد بنين (وكليبار الجديد) ومملكة يوريبا ومن مدن هذه المملكة الاخيرة ايقونا وسكانها يتجاوز ٢٠٠ ألف نسمة ثم مدينة ايبادان الجامعة ١٠٠ ألف نفس وقد كانت تحت الحماية الانكليزية ولكن الآن رفضت حمايتها ولم تزل المنازعات قائمة بهذا الصدد وهذه المستعمرة ذات اراضي شاسعة قد اخذت الامة الانكليزية في نظامها على النسق الجديد وبث روح الزراعة والتجارة بين سكانها حتى تجني ثمرة اثمارها باستدراار طيبات الارض الواقعة على ضفاف نهر النيجر العظيم وبالجملة فان لهذه المستعمرات مستقبل سعيد

جزيرة سانت هيلانه

او القديسة هيلانه وهي التي نقي اليها نابليون الاول امبراطور فرنسا سنة ١٨١٥ ومات بها سنة ١٨٢١ ثم نقلت جثته بعد حين من الزمن الى فرنسا وجزيرة الاسنسيون او الصعود وهاتان الجزيرتان في المحيط الاطلانطي كحاط للسفن التي تجتاز هذا الاقيانوس وارضيهما صخرية ليست لهما اهمية سوى موقعهما وقد نظم الآن سير البريد اليهما كباقي الجزائر الشهيرة

حكومة الكاب

Cape Colony

وهي اهم المستعمرات الانجليزية بقارة افريقيا واول من اسسها هم الهولنديون سنة ١٦٥٠ ثم استولت عليها انجلترا فيما بعد بين سنتي ١٧٩٥ وسنة ١٨٠٦ وقد رحل الهولنديون عند احتلال الانجليز لها فاستوطنوا بلاد ناتال وفي سنة ١٨٣٧ زحف عليهم الانكليز وسطوا على ما عمروه من البلدان فاضطروا ايضا ان يفادروا هذه المواطن وتوغلوا الى الداخل حيث نزلوا ارضا كثيرة المزارع والنباتات فعمروها حتى صارت بمرور الزمن بلادا عامرة واطلقوا عليها اسم جمهورية اورنجه على اسم النهر الذي يفصل بلادهم عن حكومة الكاب وقد تركوا وطنهم وخيراتها للمحتلين ولم يأخذوا سوى المواشي التي هي سبب قوام الحياة عندهم على زعمهم ثم ان فريقا آخر منهم استوطن البلاد الكائنة في جنوب نهر لمپوپو وسموها بجمهورية الترنسوال اي ما وراء وال وهو نهر صغير يصب في نهر اورنجه واخذوا من ذلك الوقت ينافسون الانجليز في تربية المواشي وحرث ارض وزرعها وطاب لهم هواء تلك الاصقاع ثم تولد من لغاتهم ولغات القبائل المجاورة لهم لغة هولندية خاصة بهم وصاروا يعرفون بالبورس وفي سنة ١٨٧٧ ثارت قبائل الكفرة على البورس فطلبوا من انكلترا المساعدة فتدخلت في شؤونهم حرصا على البلاد التي عمروها من هجمات القبائل المتوحشة وبذلك نالت انكلترا الغاية التي كانت تسعى لها وهي وضع الترنسوال تحت حكمها ثم تدخل الانكليز في شؤونهم فقاومهم البورس

بكل جهدهم وصمموا على عدم استعمال لغتهم مطلقاً وتفاقت البغضاء بينهم ونقموا على الانكليز حتى ابادوا معسكرهم ونبذوا احكامهم وسنوا لانفسهم احكاماً وقوانين جديدة فصبرت انكلترا على عملهم لانها لم تر فائدة في ردعهم ولان اغلب سكان رأس الرجا منهم ثم عقدت معهم في سنة ١٨٨٤ معاهدة قاضية بادارة مهام امورهم الخارجيه

ولم يمض قليل من الزمن على تداخل الانكليز في تلك البلاد حتى اكتشفوا الماس كبرلي وذهب وستوار سند واطلعوا البورس على كنوز اراضيهم الخصبه وما في باطنها من المعادن وفي سنة ١٨٦٧ طار خبر اكتشاف المعادن الثمينه على سواحل نهر اورانجه وفي سنة ١٨٨٢ تأسست شركة انجليزية لاستكشاف المعادن واستخراجها تحت رياسة سسل رودس ورأس مالها مائة مليون فرنك فابتاعت بمبلغ مائة وتسعين مليوناً فرنك اراض مشحونه بالماس وقد دل احصاء ٣٠ يونيو سنة ٨٩٢ انها استخرجت في خمسة عشر شهراً اكثر من ثلاثة آلاف قيراط قيمتها نحو مائة مليون فرنك .

ولما شاع في انحاء العالم خبر اكتشاف تلك المعادن الثمينه اصبحت الترانسوال كعبة القصاد وكثر الوافدون عليها من كافة الاقطار من ذوي العلوم والمعارف ممن ضاق بهم الرزق في بلادهم فقاموا فيها باعمال جليله يخاف الاهلون من كثرة الوفود وضيقوا عليهم الوسائل فاستنجد هؤلاء المهاجرون برئيس الشركة الانجليزية في جنوب افريقيا ببلاد بتشوانه غرب الترانسوال فهجم برجاله على الترانسوال لمساعدة الوافدين بدون مشاورة حكومته (على ما يقال) وهنالك تظاهرت المانيا بمداوة انكلترا وانجذبت

البويرس على الانكليز بما ارسلته لها من المهمات الحربية والجنود التي انزلتها سرا من خليج دلاجوا التابع للبرتغال واستعدت انكاثرا للقتال الشديد لحرصها على ابقاء سيطرتها على تلك البلاد وعدم التفريط لما سواها من الدول وذلك بالنسبة لثروتها التي يبلغ دخلها نحو الثمانية ملايين من الجنيهات وكثرة مناجها وجودة تربتها وهوائها . وقد انتشرت فيها اللغة الانكليزية كذلك قد نشرت انكاثرا حمايتها عليها الا انها لم تعد راضية ببسط الحماية فقط فهي تضمير الاستيلاء عليها آجلاً او عاجلاً . (وكانت تتأهب لمحاربتها حين طبع هذه الاسطر)

فهذا ملخص ما حصل في الترنسفال اخيراً . ثم لنترجع الى وصف حكومة الراس فنقول انها كائنة في جنوب افريقيا وتحد شمالا ببلاد الهوتنتوت وجمهورية اورانجيه وجنوباً وغرباً بالمحيط الاطلانطيقي وشرقاً بالمحيط الهندي ويبلغ عدد سكانها ٢ مليون وخمس ومساحتها ٨٢٠ الف كيلو ثلث سكانها من البيض والثلثان الآخران من النسل الاسود اي من الكفرة والهوتنتوت وقاعدة المستعمرات الانكليزية بهذه البلاد مدينة الراس او كاب تاون ويبلغ عدد سكان هذه المدينة نحو ٥٠ الف نسمة كائنة على جون صغير وهي مدينة ذات تجارة عظيمة كانت تطرقها السفن عند ذهابها الى الهند قبل فتح قنال السويس الذي اهبط شهرتها ولكن الانكليز شرعوا في اصلاحها لاعادة رونقها الذي تقلص ظله عنها حتى صارت تضاهي اعظم المدن الاوروبية ولا ريب ان طريق حكومة الكاب هو الموصل الحقيقي لبلاد الهند اذا انتشبت الحرب بين الانكليز وغيرهم ممن يمكنهم طروق قنال السويس

وقدر ان منع الانكليز عن العبور منه فهي اذن الملقأ الوحيد وقت الحاجة
فلذا تراهم يحافظون عليها محافظتهم على جزائرهم ومن الثغور الشهيرة مينا
اليصابات وهي مينا تجارية شهيرة ببيع الصوف والاغنام

ويوجد في بلاد الكاب معادن الفحم الحجري والذهب والماس وریش
النعام والاغنام والطيور والكرم وقصب السكر وهي تصدر اغلب هذه
لمحصولات الى انكلترا وجزيرة موريس وبلاد الهند وتجب من الخارج
كثيراً من الانسجة والاسلحة

وقد ضمت انكلترا الى هذه البلاد بلاد الكفرة وميناها است لندن
وامل هذه البلاد قوم رحل دأبهم الصيد والقنص ومشهورون بالجرأة
وشدة البأس

ناتال Natal

واما جمهورية ناتال التي هجرها البورس للانكليز فصارت ايضاً من
املاك انكلترا تحد شرقاً بالمحيط الهندي وشمالاً بالكفرة الحرة وغرباً بالترنسوال
وجمهورية اورانجه وجنوباً بالكفرة الانكليزية ويبلغ مساحتها ٥ مليون هكتو
متر مربع وعدد سكانها ١٥٠ ألف نفس من الجنس الابيض و ٣٠٠ ألف من
الاسود وقاعدتها يتير مارتسبورج ولها ثغر ناتال اودربان وسميت ببلاد
ناتال لاكتشافها في يوم عيد الميلاد سنة ١٤٧٨

وقد اخذ الانجليز في تحسين حال هذه البلاد وادارة شؤونها وترقية
الحضارة فيها حتى صارت على نسق البلاد الاوروبية فمدت فيها السكك
الحديدية واقامت بها المدارس العالية لتثقيف عقول سكانها ويبلغ دخل هذه

البلاد سنويا خمسة مليون جنيه وقمة الوارد اليها ٩٥ مليوناً والصادر منها ١٢ مليوناً من الجنيهات

وقد وضعت انكترا في هذه السنين الاخيرة حمايتها على البلاد الكائنة على ضفاف نهر زمبزة وعلى قبائل البتشوانه وسميت هذه البلاد بالبتشوانه الانجائيزيه

ولها في المحيط الهندي عدة جزائر جيدة التربة تنتج محصولات عظيمة كقصب السكر وغيره ولها تجارة مستمرة مع السفن التجارية التي تطرق جميع ثغور العالم

وهذه الجزائر هي مجمع جزائر مسقرينيا اشهرها جزيرة موديس وجزيرة رودريغه وجزائر اميرانت وجزائر سيشل وجزيرة زنجبار وجزيرة الدبرا وجزيرة سقطرا وجزيرة پريم في مدخل بوغاز باب المندب افريقيا الشرقية الانكائيزيه - هذه المستعمرة تشمل جزءاً من بلاد زنجبار واوغندا والسودان الشرقي وجزء من بلاد السومال والاراضي الكائنة على شواطئ بحيرتي البرت نيازا والبرت ادوار ومن مدنها الشهيرة ممبازه وميلانده وهما في زنجبار

Uganda الاوغندا

واما بلاد الاوغندا الكائنة بين بحيرة فيكتوريا والبرت نيازا والبرت ادوار فهي من اعظم بلاد افريقيا خصوبة كثيرة الغابات والاجمات معمرة بالحيوانات على اختلاف انواعها سيما الفيلة وتنتج اراضيها محصولات وافرة منها الدخن والذرة والارز والحنطة والبطاطا والمانيجه والموز وهذان الصنفان كثيران

فيها كثرة تفوق حد الوصف والمعيشة فيها سهلة جدا ومتوفرة والجنود
المسكرة بها ستة الف من الجنود السودانية وهم بقايا القوات العسكرية التي
كانت تحت تصرف امين باشا حاكم خط الاستواء وقد دخلوا في خدمة البلاد
بتصديق الحكومة الانكليزية وقد وفد الاوغندا الرحالة الشهير ستانلي ووصف
اهلها وهم على الحالة الممجية بوصف غريب واخذ يعلمهم على الحضارة واسباب
المعاشرة وفوائدها ولما طرقها الانكليز شرعوا بترقيتها وتدير شؤونها ومد
الخطوط الحديدية في انحاءها فلم يمض عليها خمس سنوات حتى ظهرت فيها آثار
التقدم والارتقاء بما لم يخطر على بال احد من قبل ويعد الآن اهلها في مقدمة
الامم المتقدمة بافريقيا بعد الديار المصرية .

وتبلغ مساحة الاوغندا ٩٠ الف ميل مربع وعدد سكانها نحو مليون
من النفوس وعاصمتها (مانجو) وهي المركز العام للبعثات البرتغالية
ومن املاك انكلترا بتلك الجهة (وادلاي) وهي عبارة عن مديرية
خط الاستواء واول السودان المصري من جهة اوغندا . والانكليز شارعون
في تحصينها وتشيد القلاع بها وقد قررت انكلترا (في اثناء وضع هذا
الكتاب) مد الطريق الحديدية من الاوغندا الى البحر لايصالها بسكة حديد
الخرطوم عند اتمامها فيمكن بهذه الوسطة السفر من سواحل افريقيا الشرقية
الى مصر والعكس بالعكس

ثم ان احسن بقعة بين املاك انكلترا في شرقي افريقيا تصلح لاقامة
الاوروبيين هي بلا شك الاراضي الممتدة بين كيكيو وبين ممباسيا وناندي
على مسافة ٦٥٠ ميلاً من البحر وذلك لكونها هضبات عالية مرتفعة كثيراً

عن سطح البحر ومع ذلك فإن حركة العمل كانت (حين وضع الكتاب) قليلة جداً وانكثرتا سرعت لان تنشئ فيها شركات زراعية مع توفير وسائل المواصلات والنقل في انحاءها ومتى تم ذلك وجدت تلك البلاد مستقبلاً سعيداً

ولانكثرتا ايضاً بافريقيا على ساحل خليج عدن (بربره) و (زيلع) وهي مواني حربية كائنة على هذا الخليج في مدخل البحر الاحمر ولها ايضاً عدا عن ذلك البلاد الكائنة على شواطئ بحيرتي تنجانيكا ونياسا وقد اخذت في التقدم غرباً وجنوباً وفي كل جهة تجاور املاكها لاكتشاف اراضٍ مجهولة ووضع اليد على كل بقعة متروكة في قارة افريقيا المظيمة

السودان بلاد بعيدة المدى واسعة الأرجاء تقرب من ثلث مساحة أوروبا واقعة بين وادي حلفا شمالاً واوغندا جنوباً وصحراء ليبيا ووداي والكونغو غرباً والحبشة والصحراء الكاثية على ساحل البحر الاحمر شرقاً .
 وارض السودان صحار محرقة وسهول متسعة كثيرة الغابات قليلة النبات لا يكاد مزروعها (لحين وضع الكتاب) يفي بحاجة اهليها . ألا ان فيها ملايين من الافدنة على ضفاف النيل الذي يمر بها يمكن استثمار حاصلاتها كذلك فيها اراض كثيرة لم تستخرج الآن كنوزها ومعادنها وبها النيل الازرق الذي شبهه بعض الخبيرين باحسن انهار أوروبا لأن شواطئه جيدة التربة وغاباته اخصب الغابات .

ثم ان الجهة الشرقية من السودان ارض قابلة للزراعة تشمل المواني العظيمة التي اشهرها الآزسواكن ومصوع والعتيق وكلها مشهورة بما يرد اليها من داخل السودان من المحصولات

سكان السودان - ويبلغ عدد سكان المصري الانكايزي ١٥ مليوناً من النفوس اكثرهم الزنوج ويليههم الدراويش فالعرب فالبرابرة وهم مختلفو الالوان بين سود وصفر وحمر وخضر كسكان اميركا . ويقدر السكان من فشوده الى الاوغندا باثني عشر مليوناً بعضهم مسلمون وبعضهم وثنيون . اما السكان ما بين فشوده وحلفا فكلهم مسلمون لانهم من قبائل العرب التي استوطنت هذه الجهات من قديم الزمان ومن جملة هؤلاء سكان اهالي كردوفان ودارفور ويقدر عددهم بنحو ثلاثة ملايين نفس . هذا وإن لغات

السودانيين تختلف باختلاف البقاع الا ان اللغة العربية أكثر اللغات شيوعاً
يتكلم بها الذين يقطنون بالقرب من ساحل البحر الاحمر والمدن العظيمة .
السودان قديماً . وقد تبعت السودان في سالف الازمان فراغنة مصر
والاثيوبيين (سكان الحبشة) ودخلتها النصرانية ما بين القرن الرابع والخامس بعد
الميلاد ثم تلتها الديانة الاسلامية بدخول العرب اليها في القرن الثامن واستيلائهم
على حوض النيل . ثم عادت تتبع الحبشة تارة والحكومة المصرية أخرى الى
أن شغلت الحروب الداخلية كلا من هاتين المملكتين فاستقلت وانقسمت الى
قبائل وشعوب تحكمها مشايخ يختارون باجماع الآراء ولكن البغضاء وقعت
بينهم بتوالي الايام وعاد حكام مصر يشنون عليها الغارة من وقت لآخر حتى
استولى عليها المغفور له محمد علي باشا كبير العائلة الخديوية فنظم احوالها
وانشأ بها المصالح والنقط العسكرية واستخرج من جبالها بعض المعادن سيما
من دارفور وسنار ثم قسمها الى حكمداريات ومديريات وارسل اليها
الجنود المنظمة .

وكانت اهم هذه المديريات الخرطوم وسنار ودارفور وكردوفان وفيزغلي
وبربر ودنقله ثم حكمدارية شرق السودان وكانت تشتمل على مديريات التاكة
وسواكن ومصوع

وكانت مدينة الخرطوم عاصمة لهذه الممتلكات العظيمة
وما زالت السودان تابعة الحكومة المصرية حتى ظهرت فيها الثورة
المشهورة واشتعل ناراها بمدينة الخرطوم حتى طار شرارها شرقاً الى سواحل
البحر الاحمر وحدود الحبشة وغرباً الى كردوفان ودارفور وجنوباً الى فشوده

وما جاورها

وكان اهم اسبابها منع النخاسة والاتجار بالرقيق الذي كان عليه مدار كسب أكثر كبراء البلاد ثم اعتلال النظام بتثقيل الاهلين الضرائب الفادحة وجور الحكام واستبدادهم الى غير ذلك من الاسباب الداعية لرفع نير الحكومة الظالمة عن الرعية المظلومة فتمرّد السودانيون وقتلوا وصاروا يشنون الغارة على القبائل المجاورة لهم وخرج أكثر القبائل الموالية للحكومة عن طاعتها فرأت ان توجه لتلك الاقطار شهيد الخراطوم الجنرال تشارلس غوردون وكان هذا بطلاً مغواراً ومن اعظم الرجال عزمًا واقتداراً . تعين حكمداراً عاماً للسودان في سنة ١٨٧٩ بعد ان تولى حكمدارية خط الاستواء فالتى البلاد في هذه المرة الاخيرة مختلة معتلة خالية من المساكر اللازمة لانها ارسلت مدداً لمساعدة الدولة العلية في حربها الاخير مع الروس .

فأخذ غوردون يسعى جهده لاطفاء لهب الثورة الذي اشتعل بدارفور حتى طار الى الخراطوم وكان الموقد لها يد الزير فانه كان يرسل ابنه ورؤساء القبائل سراً ويحضهم على شق عصا الطاعة على الحكومة المصرية إلا ان غوردون تدارك ذلك في بدء الامر بحكمة وبدون سفك نقطة دم لكنه اضطر فيما بعد لارسال قوة لقتل ابن الزير وحكم على والده بالاعدام الا ان الحكومة عفت عنه ثم استأنف غوردون جميع همته الى منع تجارة الرقيق بشدة وقسوة واستمر على ذلك الى ان آلت الخديويه المصريه الى المغفور له محمد توفيق باشا فارسلت الحكومة من قبلها غوردون الى الحبشة في مهمة وعاد بعد قضائها الى انكلترا ثم سار منها الى الهند فرأس الرجاء الصالح في بلاد سوريه

وعين بعده حكمداراً عاماً على السودان محمد رؤف باشا إلا أنه لم يوفق على السير في طريق الأحكام الواجب اتباعها في مثل تلك الظروف وفي مدته ثارت الثورة الكبرى في السودان بثورة عرابي مصر وتمرد النحاسون فلم توفق وقتئذ الحكومة الى تدارك احد الشرين لما كانت عليه من الفوضى المشهورة في داخلتها

واستمر الحال على ذلك الاضطراب حتى استفحل امره بظهور المتهدي محمد احمد وعلان دعوته وبث رسله في سنة ١٨٨١ يندرون بأنه أرسل من قبل المولى ليحكم بالعدل والانصاف ويقيم شعائر الدين فشايعه من شايح وساعده الاقدار واجتمع حوله الجم الغفير ممن ارادوا خلع نير الحكومة حتى تكون عنده جيش عرمرم وقد اعتبرت تلك السنة بدء الثورة السودانية

ولما بلغ ذلك رؤف باشا لم يكثر به بل ارسل اليه شرذمة من الفرسان ليحضروه بين يديه فقتلهم المهدي ولم يرجع منهم مخبر . فصار بعد ذلك يرسل السريه وراء الاخرى والجيش بعد الآخر الى ان استفحل امره بجزيرة ابا على جنوب الخرطوم وهي منبع الثورة وازدادت اشياعه وطار صيته فالتجأ بعد هذه المناوشات لجبل الغدير بشمال فشوده من جهة الغرب . ثم عمت الثورة جميع انحاء السودان وصدرت الاوامر الى رؤف باشا بالرجوع الى مصر وعين مكانه عبد القادر باشا حلي فنظم الجيوش ورتبها ترتيباً حسناً وارسلها لقمع الثوار ولكن العرب عاثوا فساداً في الارض وقطعوا الاسلاك البرقية ورفضوا نير الحكومة عن عاتقهم فكسر عبد القادر باشا شوكة العصاة على ضواقي النيل الازرق وشتت شملهم وفرق جمعهم الا انه بلغه وقتئذ

خبر الثورة العرابية وتفرق الكلمة المصرية فزحف المهدي يريد الخرطوم
 كانه سمع بانشغال الحكمدار بمصائب وطنه وكان جيشه يتجاوز الستين الف
 فارس وراجل فخصن عبد القادر باشا الخرطوم حتى صارت امنع من عقاب
 الجو وحفر حولها خندقاً أجري فيه الماء حتى صار كترعة موصلة النيل الازرق
 بالابيض وفي اواخر ابريل سنة ٨٢ سار القائمقام ستورت الى الخرطوم ليرفع
 للحكومة تقريراً عن حالة السودان بالدقه وكان المهدي قد امتلك في ذلك الوقت
 كردوفان وبينما كان عبد القادر باشا يتأهب لمحاربته واخضاعه اذ جاءه الامر
 بالرجوع الى مصر وتعيين علاء الدين باشا مكانه ثم جاء هكس باشا واستلم
 قيادة الجيوش في سنة ٨٣ وكان معه اكثر ضباط الثورة العرابية وعسكرها
 فسار بهم الى الدوير وعرج منها الى شركة التي يقيم بها الآن التعايشي ولم
 يترك في الجهات التي كان يمر بها من يرجع بخبره نخانه الدليل حتى اوقعه في
 وسط عسكر العدو في تلك البوادي فقتل ومن معه ولم ينبج منهم احد وقد
 اختلفت الرواة في تفصيل هذه الحادثة المفجعة وطار في اقاصي السودان خبر
 هذا النصر فخرج السودانيون جميعاً عن طاعة الحكومة وقتلوا حاميات كسلا
 وسنار وبربر وابو حمد ودنقلا وعمت الثورة جميع السودان وقتك العرب
 بموظفي الحكومة حتى زادت النيران تأججاً فارسلت الحكومة الانكليزية
 غوردون باشا الى الخرطوم ثانياً وأمرته بابداء رأيه بالوسائل اللازمة لتدارك
 الامر والتي هي احسن ولكن ذلك لم يجد نفعاً لان الثورة كانت قد انتشرت
 سريعاً وعمت فأمر غوردون بسحب الجيوش المصرية إلا ان الاعداء احاطت
 به من جميع الجهات وحاصروه في الخرطوم بعد ان استولوا على جميع الطرق

والمنافذ فارسل الرسل الى انكثرا ومصر الواحد وراء الآخر وصار يرسل المهدي ويمده بالعفو عنه وتقليده مهام الاحكام في دارفور وكردوفان ونجيه ومنحه امتيازات كثيرة ولكن لم تأت هذه الوعود بفائدة لان المهدي اعد جيشاً جراراً حاصر به الخرطوم فزادت البلوى واستغاث غوردون فلم يُنْث فتهدد الحكومة الانكليزية صراراً حتى اصرت اللورد ولسلي ان يذهب لخلاصه وخلّص من معه فصار ولسلي بحمته المشهورة ولكن كان الاصر قد قضى تماماً فاستولى المهدي على الخرطوم وما جاورها وصدرت حينئذ الاوامر لولسلي بالرجوع وسقطت الخرطوم قبل وصوله بيومين فاصبح السودان كله في قبضة المهدي وجمعت حلفاء آخر الحدود المصرية وبينما كان يعد جيشاً للاغارة على مصر أُصيب بالتيفوس وتوفي ودفن بام درمان وخافه عبدالله التعايشي زعيم الثورة الآن وكان مشيره الاول بل المحرك له الى ادعاء المهدوية ومناوأة الحكومة المصرية والتظاهر بمظاهر الملك والسود فانسوى تحت لوائه سكان السودان عموماً مبعوثين على ذلك بالحمس الديني فارهب البلاد بسطوته واستبدت في احكامه وظلم الالهين ما استطاع واجرى من القضايع ما يعجز القلم عن وصفه واستمر على طغيانه حتى عم الاضطراب كافة الانحاء وفقدت البلاد سكانها بتوالي الحروب واستمرار القتال فأوى اليها الوحوش الضواري واصبح نصيب الاراضي الحصبة الواقعة على ضفاف النيل اليانعة الزاهرة بالمرزوعات المختلفة والبساتين النضرة البوار والاقفار وقد سارت الحكومة على سياسة الخزم والتدبير مدة ١٤ عاماً كانت تستبضع فيها اخبار الدراويش وتسعى بالنصر عليها باقل ما يمكن من اراقة

الدماء وكان قلم مخابرات نظارة الحربية المصرية يتخذ بهمة مديره « ونجت باشا » ووكيله « ملحم بك شكور » كل الوسائط لما فيه الوقوف على مراكز العدو وقوته وحركاته وقد جاء أيضاً خلاص سلاتين باشا مساعداً كبيراً لاطلاع الحكومة على ما يعلمه عن المهدي ودراويشه (وقد وصف هذا السودان عن الزمن الذي قضاه اسيراً عند المهدي في كتاب سماه « النار والسيف في السودان »

وفي سنة ١٨٩٦ اقرت الحكومة على فتح السودان كله وتخليصه من نير الظلم والتوحش واشتركت في المحاربة الجنود المصرية والانكليزية وتتابعت الحملات على السودان في النيل وفي البر وجرت مواقع عدة كان النصر فيها حليف الجنود المصريين والانكليزيه ومن هذه المواقع معركة فركة وسواردة في ٧ يونيو سنة ١٨٩٦ قائدها الجنرال كتشنر باشا وعدد جنوده ٦٠٨٠ والدراويش ٣٥٠٠ ثم معركة دنقلة في ٣٣ سبتمبر سنة ١٨٩٦ قائدها الجنرال كتشنر باشا وعدد جنوده ٦٠٠٠ والدراويش ٣٠٠ ثم معركة ابي حمد في ٧ اوجسطس سنة ١٨٩٧ وكان قائدها هنتر باشا وعدد جنوده ٣٥٠٠ والدراويش ٧٠٠٠ ثم معركة الاتبره في ٨ ابريل سنة ١٨٩٨ قائدها كتشنر باشا وعدد جنوده ١٣٠٠ والدراويش ١٩٠٠ واخيراً معركة ام درمان في ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ قائدها كتشنر باشا وعدد جنوده ٢٢٠٠٠ والدراويش ٤٠٠٠

وتعد هذه الواقعة الاخيرة في مصاف الوقائع التاريخية الكبرى واليك ملخص وصفها عن « المقتطف الاغر »

بعد ان تغلبت الجنود المصرية والانكليزية على جنود الدراويش في عكاشة وفركه وسواردة ومدت سكة الحديد حتى بلغت مدينة بربر ففتحتها ثم نازلت الدراويش على الاتربة وانتصرت عليهم وأسرت اميرهم . عاودت الزحف على ام درمان في صيف ١٨٩٨ حيث سهل سير السفن الحربية فيه وعبورها من شبلوكة وكانت الرايات الانكليزية تخفق بجانب الرايات المصرية والاساطيل النيلية تسابق الجنود البرية الى ان انصرم شهر اغسطس وحينئذ وصلت الاساطيل الى جزيرة توتي وهي بين الخرطوم وام درمان واطلقت عليها القنابل في غرة سبتمبر وخربت حصونها وحصون ام درمان وهدمت قبة ضريح المهدي ولكنها لم تضعف عزائم اتباعه

وصباح يوم الجمعة وهو الثاني من سبتمبر تقدمت الجنود المصرية والانكليزية الى ام درمان فوجدت جيوش التعايشي مصطفين يتقدمون الى القتال وطول مقدمتهم اكثر من ثلاثة اميال ويزيد عددهم على خمسة وثلاثين الفا من الابطال بين فرسان ومشاة فحملوا على الجنود المصرية والانكليزية حملات صادقات ورصاص البنادق يحصدهم حصدا وهم لا يلوون اعنة خيلهم ولا يحسبون للوثة حساباً الى ان فني نحو عشرة آلاف مقاتل منهم وامتلات الارض بقتلاهم وتقدم السردار قاصدا ام درمان لكي يمنعهم من الرجوع اليها والامتناع بها وحاول التعايشي حينئذ ان يخترق الجناح الايمن فقبول من جنوده بعزم شديد وجاش رابط واطبقت الجنود المصرية والانكليزية عليه فزقت شمل اتباعه فولوا مدبرين لا يلوون على احد ونجا هو بنفر قليل من اتباعه بعد ان قتل اكثر رجاله وانصاره

اما السردار فاحتسل ام درمان عصارى ذلك اليوم بعد ان قاومه من فيها من جنود التعايشي مقاومة قليلة . واخلى سبيل من فيها من الاسرى وهم من امم مختلفة بين مصريين واوربيين وسوريين واجباش . وقد قدرت خسارة الدراويش بعشرة آلاف وثمانمئة قتيل عدا المئات الكثيرة من الذين قتلوا في ام درمان وعدد جرحاهم نحو ستة عشر الفا والباقون اخذوا اسرى

وقتل من الجيش الانكليزي ضابطان و ٢٧ عسكرياً وجرح ٧ ضباط و ١٠٣ من العساكر . ولم يقتل احد من ضباط الجيش المصري ولكن جرح ستة من ضباطه الانكليز و ١١ من ضباطه الوطنيين توفي واحد منهم بعد ذلك . وقتل ٣٥

من صف الضباط والعساكر وجرح ٢٧٩ ٠ وقتل مكاتب من مكاتب جريدة التمس
وجرح الآخر

ويوم الاحد في الرابع من الشهر دخل السردار الخرطوم واحتفل احتفالاً بهيجاً
باسترجاعها وبذكر غوردون باشا الذي قتل فيها ورفع عليها الراية الانكليزية بجانب
الراية المصرية

وسار بعد ذلك باورطة من الجنود المصرية ونحو مئة من الجنود الانكليزية الى
مدينة فشودة على النيل الابيض جنوباً ثم عاد منها في الثالث والعشرين من سبتمبر
وكتب يقول انه رفع عليها الراية المصرية وابقى فيها حامية من جنوده ٠ ثم سار في
البحر الابيض جنوباً حتى وصل الى سوبات على ٢١ ميلاً من فشودة فقام فيها حامية
اخرى ورفع الراية المصرية عليها ولقى في فشودة ضابطاً فرنسياً اسمه مرشان
وطالب اليه ان يأتي معه الى الخرطوم فابي ما لم ترسل اليه دولته تأمره بذلك فتركه فيها
وكاد يقع الحرب بين انكلترا وفرنسا على احتلال فشوده حتى انجبت
حملة القائد مرشان عنها وانحسم الخلاف بينهما بنوال الثانية منفذاً على النيل
مؤرض عليها خسارة البلاد التي احتلها مرشان بعد رحلة ثلاثة اعوام كلف فيها
انواع الصعوبات .

وقد اكبر الانكيز واقعة ام درمان ورفعوا شأنها وكافأوا السردار كتشنر
باشا ومن شاركه في هذا الفوز من الضباط الانكيز مكافأة عظيمة جلبت لهم
الفخر والثروة .

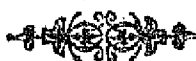
وبفتح ام درمان تقوضت اركان المهدوية وبسطت انكلترا سلطانها على
السودان الشرقي . بحق الفتح لا شترالك جنودها مع الجنود المصرية وبحق ان
هذه البلاد من املاك الحكومة المصرية الوصية هي عليها
السودان حديثاً وقد وضع السودان من يوم افتتاحه تحت الاحكام العرفية

وعين له السردار كتشنر باشا حاكماً عاماً وخولت له الحرية المطلقة في تصرفاته واحكامه فلا تتدخل حكومة انكلترا او الحكومة المصرية الا في ظروف طارئة وقد شرع هذا الحاكم في تقسيمه الى ست مديريات وهي دنقله وبربر والخرطوم وفشوده وسنار وكسلا ونقسمت هذه المديريات جميعها الى واحد واربعين مركزاً وتخصص لكل مديرية منها محافظ او مدير انكليزي برتبة قائمقام او اميرالاي من الجيش المصري ويتعين لكل مركز مأمور مصري ومعه چاويش انكليزي وهكذا أصبحت حكومة السودان الجديدة انكليزية مصرية

وقد نوت انكلترا الخير العظيم لهذه الاصقاع المحرقة لما كان لها فيها من الآمال العظيمة وسعت لان تمد الحضارة في تلك الصحاري الشاسعة التي كان يشغلها المتوحشون والهمج وقد بدأ الحاكم العام في مشروعه هذا العظيم بأن اتى بالمهندسين من الانكليز لتخطيط مدينة الخرطوم نخططوا شوارعها وميادينها وجعلوا عرض الشارع فيها لا ينقص عن ٥٠ متراً

ثم وزعت الاراضي على شركات انكليزية لتبنيها ويظن انه لا يمضي حين من الزمن إلا وعاصمة السودان الجديدة اعظم سوق في افريقيا تساق اليها اصناف التجارة وانواع المحصولات من كافة الانحاء وقد تقرر ان يشيد بها دار علوم كبرى لتعليم ابناء السودانيين سميت بكلية غوردون وضع حجر الزاوية فيها اللورد كرومر معتمد انكلترا السياسي في مصر وفد جمعت لها الاموال من اكتاب افتتحه اللورد كتشنر اثناء وجوده في لوندرا فلباه وقتئذ الانكليز على اختلاف طبقاتهم واطهروا الاهتمام بهذا المشروع العظيم وجادوا

بسخاء وكرم حتى جمع لها في مسافة قليلة نحو المائة ألف جنيه
وقد نقرر ايضاً ان يكون في الخرطوم مركز الحكومة السودانية
ودار حكمدار السودان وسائر مصالح الحكومة والادارة وتكون ام درمان
مدينة الجيش فتقيم العساكر المصرية والسودانية والانكليزية فيها ثم تنشأ مع
مرور الايام مدينة ثالثة خير الخرطوم وام درمان يسكنها الاهالي والتجار
واصحاب الاشغال ويكون موضعها على الضفة الشرقية من النيل
وقد فرّ الخليفة بعد فتح ام درمان بمن بقي من رجاله وعددهم لا يزيد
عن السبعة آلاف مقاتل في بوادي السودان قلق البال وفي اشد اضطراب
يجمع اليه ما استطاع من العربان الضارين بعد شركيله .
وقد ظن البعض بان لا قائمة تقوم له بعد ذلك الانكسار وأنّ اتباعه
لا بد وان يتركوه سميّاً وراء الرزق . بيد ان الحكومة كانت ترى بعض
الخطر في تركه وشأنه في السودان مطلق السراح وحجر عثرة في سبيل كل
مشروع تظن وراءه الخير لتلك الاصقاع ولذلك كان السردار ساعياً (لحين
طبع هذه الاسطر) لتجديد الحملة عليه واقتفاء أثره . ومتى تمّ ذلك مهدّ
السودان بأكمله وفاز كل ذي امنية بأمنيته ، (والله اعلم)



احتلال الديار المصرية

British occupation in Egypt.

مصر ليست من المستعمرات الانكليزية وانما هي بلاد احتلها الانكليز مضطرين وهم على زعمهم لا يقيمون بها الا الزمن الذي يلزم وكما يلزم ولكنهم لم يجدوا جلاء جنودهم عنها في أجل مسمى

وانما استطردت الى ذكرها نظراً لما هو قائم لهم عليها من السيطرة العظيمة ولكون مصلحتهم فيها اعظم من مصالح دول اوربا ولكون هذه البلاد بمرکز جغرافي جعلها جديرة باحراز خيرات التجارة العميمة حتى صارت مجازاً لاوروبا ومستودع صناعاتها وتجاريتها وماليتها ومفتاح البلاد الافريقية العظيمة

فاذا ضربت بطرفك ايها القارئ على خارطة افريقيا وصوبته نحو الشمال الشرقي منها ترى دياراً تروق الناظر بخضرة اراضيها وتسر الخاطر بنضرة مراعيها حلو ماؤها لطيف هواؤها مشهورة باعتدال اقليمها واعتلال نسيها وخصوبة تربتها فهذه هي مصر التي كانت في سالف العصر من اعظم دول الارض تقدماً وحضارة واقواها شوكة واغزرها ثروة حتى كانت منبع العلوم والمعارف والصنائع والطرائف فيها التالد منها والطارف يخرقها نهر النيل السعيد وهو ينبوع ثروتها لان الطمي الذي يرسب من مياهه فوق التربة الاصلية يصيرها ذات خصوبة عجبية فقد دل الاحصاء ان مساحة الاراضي الزراعية فيها ينيف عن خمسة ملايين من الافدنة وذلك لانتظام الري في انحاءها بعد سنة ٨٣ وسيره على منهج النجاح والنقدم

ويحد هذه الديار شمالاً البحر الأبيض المتوسط وشرقاً البحر الأحمر وقنال السويس وجنوباً السودان وغرباً صحراء ليبيا و برقه .

و يبلغ عدد سكانها نحو العشرة ملايين نفس وعاصمتها مدينة القاهرة يقطنها ما ينوف عن النصف مليون نفس وهي على الضفة الشرقية للنيل واعظم مدن القارة الافريقية مدينة وحاصرة تشمل من الابنية الفاخرة والاماكن الشاهقة واللوكاندات العظيمة والمنتديات العمومية ما جعلها تضارع المدن الاوروبية الكبيرة ويتقاطر اليها الاغنياء والسياح في فصل الشتاء زمراً وافواجاً ومن كافة الاقطار

وتليها مدينة الاسكندرية وهي مصيف الخديوي وميناء عظيمة من اقدم مواني العالم واشهر من ان تذكر . ثم نغرا رشيد ودمياط على البحر الأبيض المتوسط والسويس على بحر القلزم شهيرة من قديم الزمان لوقوعها بين قارتي اسيا وافريقيا .

ومن مدن الوجه البحري الشهيرة طنطا ويقام بها اسواق عظيمة في اوقات معلومة كل سنة ثم مدينة الزقازيق والمحلة الكبرى وكفر الزيات ودمهور والمنصورة وبها معامل عظيمة لخارج القطن

واما مدن الوجه القبلي فاشهرها اسيوط ويصنع بها العاج وسن الفيل وكانت لها تجارة عظيمة مع السودان قبل الثورة المشهورة ثم المنيا و بني سويف والفيوم وقنا واسنا

ولقنال السويس اهمية عظيمة عند دول الارض لانه كائن بين ثلاث قارات وواقع على طريق الهند فمنه تسير جميع السفن الحاملة لمخضولات البلاد

الاسيوية الصحيحة القاصدة البلاد الاوربية وكذا تعبر منه السفن الآتية من البلاد الاوروباوية مشحونة بمصنوعاتها ومحصولاتها لتذهب الى المستعمرات الكثيرة . بآسيا والافريقانوسية ومرور هذه السفن من هذا القنال انما يقرب الطريق الاصلي بمسافة ٣٠٠ فرسخ لان السفن بعد ان كانت تطوف حوالي غربي افريقيا فرأس الرجاء الصالح ثم تقطع المحيط الهندي لتصل الى بلاد الهند صارت تقطع هذه المسافة فقط بمرورها من جبل طارق وترعة السويس فباب المندب حتى تصل الى الهند وغيرها من المستعمرات . وقد قال احد السياسيين عن هذه الترة ان حفرها عاد على فرنسا اعظم شرف وعلى مصر اثقل النفقات وعلى بريطانيا اكبر فائدة .

وفي الواقع فان اكثر من ثلاثة ارباع السفن الحربية والتجارية التي تعبر من هذا القنال رافع اللواء الانكليزي واغلبها يقصد المستعمرات الانكليزية ببلاد الهندستان و يقدر ان انكثرا اكتسبت من ايراده الى الآن نحو ٢٥ مليوناً من الجنيهات ثم ان تجارة مصر مع انكثرا اوسع من تجارتها مع غيرها من الدول وليس ذلك منذ احتلالها مصر بل كان ايضاً سابق احتلالها فان لها اكثر من ثلاثة اخماس تجارة البلاد كلها .

فمصر والحالة هذه جديرة باحراز خيرات التجارة العميمة وهذا ما اوجب طموح الانظار اليها واقبال الاجانب عليها من كل جانب طلباً للتجارة والمكسب فخالطوا اهلها لاستعدادهم طبعاً لحسن المخالطة والمعاشرة مع سائر الاجناس ففتحت الترع على ايديهم ومدت السكك الحديدية باحوالهم فصار لهم على المصريين حقوق لا تنقضي الا بانقضاء الدين الوافر الذي حصلت بسببه المشاكل

في آخر حكم المرحوم اسماعيل باشا (ابن ابراهيم باشا وحفيد محمد علي باشا الكبير رأس العائلة الخديوية) ذلك ان الدين كان في اول حكمه لما استولى على الاربيكة الخديوية ثلاثة ملايين جنيه فزاد الى مائة وعشرة مليون جنيه في ختام ١٨٧٨ وكان هذا سبباً للخلاف بينه وبين دولتي انكلترا وفرنسا وقد انقسم هذا الخلاف بتوجه الخديوية الجليلة الى نحو المغفور له الخديوي محمد توفيق باشا ولي عهده فشككت لجنة التصفية وسويت الادارة الماليه واحدثت المراقبة الثنائية فاستقرت الاحوال وانتقت البلاد من العسر الذي لم بها غير انه لم يترتب على المراقبة الثنائية سياسياً ما يترتب عليهما من الاثر الطيب مالياً فان الاضطرابات الداخلية كانت تزداد يوماً عن يوم حتى استطار شرارها في شهر فبراير سنة ٨١ وسبب ذلك ان الضباط المصريين كانوا رفعوا عريضة الى الحكومة يشكون بها من السير المتبع وقتئذ في تقديم وترقي الضباط لان الرؤساء كان اكثرهم من الجراكسة والأتراك وكانوا يمنحون بالطبع الى رفع بني جلدتهم لحفظ سلطتهم وخفض المصريين كيلاً ينافسهم فلم تجب النظارة على هذه العريضة فكتبوا عريضة ثانية وكلف كل من الاميرالاي احمد عرابي وعلي فهمي وعبد العال برفعها الى رياض باشا فأمر هذا بالقبض عليهم وسجنهم ولما بلغ ذلك الى الحزب المصري اتحدوا على أنه ان لم يرجع اليهم الثلاثة اميراليات قبل ظهر اليوم المحدد لرفع العريضة يهجم مائتان من الجند على السراي ويستخلصونهم ولما جاء الوقت المضروب لذلك ولم يحضر الثلاثة المذكورون دخل العسكر السراي وخلصوا احمداً وعرابي وعلي فهمي وعبد العال من الاسر ولما لم يستطع المغفور له الخديوي توفيق باشا مقاومة الجند عزل ناظر

الحرية عثمان باشا رفقي وهو احد الجراكسة الذين احتكروا وظائف الجهادية العالية وعين بدلاً عنه محمود باشا سامي البارودي ومنح احمد عرابي رتبة باشا فذاعت سمعته من ذلك الحين وكثر صحبه وحزبه وامتدت سطوته ونفوذه في البلاد

وفي ٥ سبتمبر سنة ٨١ حاصر احمد عرابي سراي عابدين باربعة آلاف جندي وطلب من الحديوي سقوط الوزارة وتشكيل مجلس الاعيان وسن قانون نظامي وزيادة عدد الجيش فاستغاء مرضاتهم انتدب شريف باشا لرئاسة مجلس النظار ووعد طباط الجيش بمنحهم كثيراً من الامتيازات وكان ذلك بناء على مشورة قنصل انكلترا ومندوب فرنسا

وبعد قليل من الزمن طلب مجلس النواب ان يكون له حق النظر والمداولة في ميزانية الحكومة وكان ذلك بايعاز احمد عرابي وفي هذه الاثناء استعفى شريف باشا فقبل منه استعفائه وتعين محمود سامي بدله وترقى احمد عرابي فصار ناظر الجهادية وبعد ذلك بمدة وجيزة وقع الشقاق بينه وبين الحديوي وعظم هذا الشقاق حتى طلب اعرابي من مجلس النواب خلع المغفور له توفيق باشا وتولية حليم باشا بدله

ولما رأت الحكومة الانكليزية والفرنساوية اعتداء اعرابي على حقوق الحديوية المصرية طلبتا طرده واخراجه من الديار المصرية فأبى اعرابي ان يكون اخراجه بطريق السياسة والاكرام ولذا ارسل عريضة يطلب بها استغفائه لانه عدت داخل انكلترا وفرنسا تطفلاً منهما واعتداء على حقوق الدولة العلية وقد لبث الاضطراب الداخلي مدة مديدة حتى ان اكابر

المصريين ووجوههم من ملكيين وجهاديين اعلنوا للمنفور له توفيق باشا انهم لا يعترفون الا لسلطة الباب العالي وحده دون اية دولة اخرى وقد كتب بهذا الخصوص احمد اعرابي رسالة للمستر غلادستون صرح فيها ان اول قبلة تخرج من البوارج الانكليزية على مصر تكون موجبة لفسخ جميع المعاهدات والاتفاقات الدولية ومما ذكر في هذه الرسالة قوله : « » ولتحقق انكائرا باننا عازمون على المحاربة حتى نموت شهداء بلادنا كما امرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم « او نظفر على اعدائنا ونعيش ممتعين بالاستقلال والسعادة وفي كلتا الحالتين فان السعادة موعودة لنا واسى شعب كان ذلك اعتقاده وتلك وجهته فان الله يعطيه البسالة والاقدام »

وقد ارسل ايضا في ذلك الحين احمد اعرابي الى كافة المديرين اوامر مشددة يحرضهم فيها على المقاومة والقتال حتى الموت اذا شبت الحروب بين المصريين والانكليز وان من يخالف ذلك يكون جزاؤه الاعدام وفي هذه الاثناء اتحدت الدولتان الفرنسية والانكليزية على ارسال بوارجهما الحربية الى ثغر الاسكندرية لابداء « ظاهرة حربية تلقى الرعب في قلوب الاهلين الا ان تركيا عارضت في ذلك وقالت ان هذا العمل سيجف بمقوقها وفي الحال ارسلت الى مصر مندوبا من طرفها يدعى درويش باشا لينظر في حالة القطار ويرفع تقريراً عنها .

وفي ١١ يونيو سنة ٨٢ حصلت مشاجرة بين الماطيين والمصريين فذبح بعضهم البعض ودار الضرب والطعن والقتل والسلب والنهب وهاج الناس وعظم الاضطراب حتى ذبح كثير من الاوروبيين والاهلين وجرح فريق

كبير من الطرفين

هذه هي الحادثة الفظيعة والمذبحة الشنيعة التي ما كاد ان يطير خبرها الى اوروبا حتى افعمت البوارج الثغور والمواني من الاسكندرية وبورسعيد . وفي شهر يولييه سنة ٨٢ لاحظ سيمور اميرال البوارج الانكليزية الراسية بفر الاسكندرية تأهب الاهلين وتسليحهم وتحصين القلاع والحصون فارسل حالا الى طلبه باشا محافظ الثغر وقتئذ انذاراً يعلن به اولاً . بايقاف ذلك التأهب والاستعداد

وثانياً . بتسليم القلاع كي يجرد هامن مدافعها واسلحتها وآلاتها الحربية وقال انه ان لم يجب طلبه يأمر باطلاق المقذوفات على ثغر الاسكندرية ولما لم يجب طلبه محافظ الثغر حاصر الاميرال المذكور ثغر الاسكندرية حصاراً حربياً وجرد فرقة من العساكر امرها بالاستيلاء على كافة المواقع الحربية ثم صوب مدافعه على الثغر وشرع يطلق المقذوفات النارية على الاسكندرية حتى اشتعلت دورها واحترقت معاهدها ودمرت تدميراً وكانت اول طلقة خرجت من البوارج الانكليزية في يوم ١١ يوليوس سنة ٨٢ وبعد هذه الحادثة المشؤومة انجاز احمد اعرابي الى ناحية كفر الدوار ليدافع عن مصر ويتأهب للقتال .

اما الانكليز فقسموا قواهم العسكرية الى فئتين احدهما تحت قيادة القائد ولسلي (الآن اللورد ولسلي القائد العام للجيش الانكليزية) ومؤلفة من ٧ آلاف مقاتل والاخرى من ٩٠٠٠ تحت قيادة الجنرال هملي ثم هنزت انكترهايتين الفرقتين بفرق اخرى بعضها من الهند وعدد مقاتليها ١٠ الاف كانت تحت قيادة ما كفرس والبعض الآخر من انكترها حتى بلغ جيش

الانكليز عدداً عديداً وكان يرأس جميع تلك القوى الجنرال ولسلي اما احمد اعرابي فكان قد حشد جيشاً مؤلفاً من ٨٠ الف مقاتل وزحف بهم على القوة الانكليزية وحصلت بين الفريقين عدة مناوشات طفيفة كانت نتيجةها رجوع القوة المصرية الى القهقري

وفي اثر هذه المناوشات ارسل الجنرال ولسلي جل قواه الى ناحية قتال السويس واختاره مركز الاعمال الحربية وابقى بشعر الاسكندرية الفرق التي كان قائدها هملى ووجه احمد اعرابي فئة كبيرة من جيشه الى التل الكبير يبلغ عددها ٢٥ الف مقاتل وابقى بكفر الدوار ١٢ الفاً واحتل مدينة الصالحية وجعل بها حامية عددها ٦ الاف جندي

وفي شهر اغسطس من السنة المذكورة حصلت مناوشات طفيفة في شالوف ونفيس وفي اواخره تقدم ١٢ الف مقاتل مصري الى قرية القصاصين لمفاجئة القوة الانكليزية فجمع الجنرال ولسلي على الفور كل قواه وتقدم لملاقاة المصريين فالتقا الجيشان هنالك في ١٢ سبتمبر سنة ٨٢ وتكافح الحصان وثقاتلا حتى دارت الدائرة فيها على المصريين فولوا الادبار وفر بعضهم الى الزقازيق وهرول آخرون الى القاهرة فاسرع الجنرال ولسلي باحتلال هذه المدينة الاخيرة وكان دخول الانكليز عاصمة البلاد في ١٥ سبتمبر وبدخلهم أخضع أحمد اعرابي ورؤساء الحزب المصري وسلموا انفسهم الى الجنرال ولسلي فاخذهم أسرى وبعد ذلك حكم المجلس العسكري على بعضهم بالاعدام وكان منهم احمد اعرابي ومحمود سامى وعبد العال والروبي وغيرهم فتوسطت انكلترا وطلبت من الحكومة الحديوية استبدال عقوبة

الاعدام بالنفي المؤبد فلبت طلبها ونفي احمد اعرابي ومحمود سامي وبعض العصاة الى جزيرة سرنديب او سيلان ورتب لاعرابي جنياً يومياً وهكذا أصبحت مصر في قبضة انكترا فتمهّدت بتأييد المقام الخديوي واستئصال شافة الاشقياء والمصاة واجراء كل اصلاح واتمام كل نظام فقبلت منها دول اوروبا هذه التمهّدت ورضيت ان تكون هي النائبة عنها في مصر ضناً منها ان تعبت يد الضياع بحقوقها فاحتلت البلاد وكفتها غائلة الطغيان والفساد وانتظمت الجندية فاخلصت لسمو خديويها واطمّنت القلوب وسكنت الروعات ولم يعد الى الفتنة والمشاغب من سيل

ولانكترا من جنودها المحتلة الديار المصرية (عند وضع هذا الكتاب) نحو اربعة آلاف جندي يقيم البعض منهم في الاسكندرية والبعض الآخر وهم الاوفر عدداً في مصر في بناء جسم على شاطئ النيل وفي ثكنات القلعة التي تشرف على المدينة وفي ثكنات العباسية

هذا وقد طال أجل احتلال انكترا الديار المصرية حتى مله بعض المصريين كما استحسنه البعض الآخر « ولكل من الفريقين شواهد يؤيد بها مبدأه » إلا ان الكثيرين كانوا يظنون ويؤمنون ان الدول الاوروبية تتحد عليها يوماً ما وتلزمها على الخروج بالقوة والقسر وقد سمعت فرنسا آخر سمعها لناواتها باحتلال فشوده والنيل الاعلى سنة ٩٩ الا انها اخفقت في سمعها ولم تشد دولة من الدول أزرها ثم عقدت مع انكترا معاهدة اخيرة على تحديد املاك كل منهما في القارة الافريقية وبمقتضى هذه المعاهدة أيدت انكترا حقوقها ونفوذها على وادي النيل كله من منبعه حتى مصبه

ولم يتناول الوفاق اصراً من امور مصر
وقد شرع الانكليز منذ احتلالهم الديار المصرية في اصلاحها وتقويم
اعوجاج ادارتها حتى اتوا مدة ١٧ سنة وهي (مدة الاحتلال الى الآن)
باصلاحات كثيرة عادة على البلاد بالفضل العظيم والخير العميم
اهمها : ابطال السخرة من كافة الاعمال ومحو أثر الكرباج الذي كان
شائعاً في عقوبات الحكومة لان فلاح مصر كان يعاقب بالجلد إما لتأدية
الاموال الاميرية وإما للقيام باعمال السخرة او بواها فرفعوا ظلامته وكفوا
ايدي المعتدين عنه ولم يعد من سبيل الى ما كان عليه فاصبح بصيراً بما كان
له بعد ان كان مستعبداً لا يعرف كيف ينتفع بزراعته الذي يزرعه بيديه .
ومن اعمالهم الحسنة تسوية المراقيل المالية التي انهكت مصر وسيرها
الآن على مبادئ تيسر لها النهوض من العسر الذي كانت سقطت فيه من
اول امرها .

ومن الاصلاح العظيم الذي ادخلوه على نظارة الداخلية بث الامن
والطمأنينة في انحاء البلاد وقطع دابر اللصوص . ثم تنظيم المحاكم على وجه
قويم ونهج مستقيم حتى اصبحت تضارع المحاكم الاوروبية باستقلال القضاة
وسداد الاحكام والعمل بنصوص القوانين التي تحوّر وتعبدل تبعاً للحاجة
واكبالاً للنقص

ومن اهم شي الاصلاح الذي ادخل على نظارة الاشغال العمومية ومصلحة
الري التي عليها قوام حياة مصر ففسدت فحرت الترع والجداول في كافة الانحاء
ووزعت المياه على الاهلين بالسوية حتى اصبح المزارعون راضين وشاكرين

من حالة الري بما وجدوه من المياه الراوية ظناً اراضيهم مما لم يعمدوا لذلك
مثيلاً من قبل .

ومن الاعمال العظيمة اصلاح السجون حتى كادت تحاكي سجون اوربا
وتنظيم حال الكمارك وايصال البلدان والمدن الشاسمة بالخطوط الحديدية حتى
امتدت من ادنى نقطة في القطر الى اقصاها . ثم اصلاح حال البوستة حتى
صارت تضاهي اعظم البوستات الاوروبية اتقاناً .

وقد اطلقوا الحرية التامة للطبوعات والجرائد وشيدوا المساواة بين الغني
والفقير واصطحووا وبدلوا وغيروا أموراً كثيرة وبثوا المراقبة من كبار رجالهم
ومن الرجال الوطنيين الامناء الاكفاء في كافة مصالح الحكومة

وكان من كبار رجالهم الذين يعزى اليهم فضل اصلاح القطر المصري
نخامة اللورد كرومر زعيمهم الاكبر ومعتمد انكثرا السياسي ثم السير الوين
بالر والمستر غورست ومايز وكيتشنر وسكوت ومكاريث ومونكريف
وجارستن وويلكوكس وجونسون وكروكشك ودنلوب وكولس وكليار
وشارترس .

ومما هو جدير بالذكر ان اللغة الفرنسية كانت من قبل الاحتلال
اهم اللغات الاوروبية التي تعلم بالمدارس ولغة الحكومة الرسمية بعد العربية
واما في هذه السنين الاخيرة فقد تغلبت الانكليزية على ما سواها من
اللغات في مدارس الحكومة ورأى الناس ان تعلمها ضروري لكل من رام
ان يأتي في مصر عملاً او ينال منصباً .

وامم ما تم لمصر على ايدي الانكليز في السنتين الاخيرتين فتح ام درمان

واسترجاع السودان ثم انشأ الحزان الذي اجمع العالم على تقعه للبلاد وانشاء
المصارف في جميع انحاء القطر وتخفيف الضرائب ٢١٦ الف ج ٠ م ٠ في السنة
وغير ذلك اصلاحات كثيرة بين ادارية وقضائية ومالية

ومن اعظم الامور التي تمت في البلاد بعد امتلاك السودان وانجلاء
مرشان بمحمله عن فشوده تحول ميل التجار واصحاب الاموال من الانكيز
لتمير اموالهم في البلاد فانه لم يكن بها منهم لهذا العهد قدر ما كان من
الاجانب المختلفي الاجناس فانتبهوا الى مناظرتهم بشدة وشرعوا في تأليف
الشركات العديدة بالاموال الكثيرة واخذوا يتعاونون من الحكومة مصالحها
شيئاً فشيئاً وكان الحكومة تقصد بذلك ان لا يمر عليها حين من الزمن
الا وهي على نسق الحكومة الانكليزية اكثر اعمالها فيها بيد الشركات

وجملة القول ان الاموال واكثرها انكليزية انتهالت على البلاد المصرية
كالسيل الوابل وكانت حركة الاعمال حين وضع هذا الكتاب مدهشة غريبة
ماراتها مصر فيما مضى

وكان اصحاب الاموال من المصريين قلما يثرون اموالهم بغير الاطيان
فتغير هذا الميل ايضاً واخرج معظمهم الاموال للمساهمة في الاعمال العظيمة
بعد ان كانوا يحتشدونها في اعماق الصناديق حذراً عليها من ان تعبت بها
ايدي الظلم والاستبداد

وكان في مصر حب الاستخدام بمصلحة اميرية يأخذ بلب كل شاب اتم
دروسه وفتح عينيه في الدنيا ولكن اكثرهم انتبهوا للاعمال الخصوصية وصاروا
يسمعون وراء الرزق بغير الاستخدام سعي الانكليز بينهم في استيراد الخيرات

والخلاصة ان روحاً جديدة نشأت في البلاد فأبان انجبه القادم اليها
يرى الامن وقد استتب في ربوعها والحضارة وقد عمت انحاءها والحرية
وقد صار يتمتع بها في حياته وشؤوننه وآرائه كل مصري وساكن مصر .
ويرى بلاداً فاقت بما هي عليه من رفعة الشأن والتقدم والعمران سائر
الاقطار الشرقية حتى ليصح ان يقال عنها « مصر عروس الشرق »



عمل انكلترا في افريقيا

جعلت هذه الدولة نصب عينها منذ زمن بعيد « القارة الافريقية » ، غرضاً ينيلها اذ انالته مغماً عظيماً وملكاً ضخماً فلم تلبث أن حتمت امانيتها فمدت سلطانها ونفوذها في هذه القارة العظيمة من شمالها الى جنوبها وتوصلت بعد اعمال السياسة بصبر وثبات ان احتلت مصر فجعل هذا الاحتلال البحر الابيض المتوسط في قبضتها واصبح بما فيه بحيرة انكليزية يحدها جبل طارق شرقاً وقنال السويس غرباً ويتخللها جزائر مالطه وقبرص وبعض الجزر الصغيرة التي اصبحت محشداً لجيوشها البرية وملاذاً لسفنها البحرية .

وقد آمنت ايضاً باحتلالها مصر على هندها اذ صار قنال السويس وهو طريق آسيا ومفتاحها تحت سلطانها تحافظ عليه اشد المحافظة اذا تخرج الامر ودعت الحاجة .

ثم وطدت نفوذها بافتتاحها السودان المصري على النيل كله من منشأه في اوغندا جنوباً الى مصبه في البحر الابيض المتوسط شمالاً وصارت كلمتها عليه الكلمة العليا وترى ان يجتمع لها فيه الامران : السياسي بامتلاكه افريقيا من المحيط الهندي دون فاصل والتجاري ان تجعله مصدراً ومورداً تجتمع كل خيرات افريقيا لتتقلها الى اوروبا .

وكان لديها (عند وضع هذا الكتاب) مشروع انشاء خط حديدي من قنا الى خليج بنارس الكائن في الجنوب الشرقي منها على ضواحل البحر الاحمر

وهذا الخليج من احسن المواقع التي يحسن انشاء ميناء فيها . فاذا تمّ هذا الخط اصبح ثغر الاسكندرية متصلاً مباشرة مع البحر الاحمر في خليج بناريس الذي تفد اليه السفن من الهند وجميع ارجاء الشرق الاقصى وهو يقوم مقام قتال السويس في جميع مزايده لا سيما اذا قضت بعض الحوادث بتعطيل السير في القنال .

ولما كان لها حكومة الكاب في جنوب افريقيا وكان لها في تقيض موقعها الديار المصرية التي تحتلها وكانت املاكها ومستعمراتها متعاقبة بينهما فهي تسعى جهدها لتضمها كلها الى بعضها وتكوّن منها المستعمرة العظيمة الآخذة من الشمال الى الجنوب او المملكة الافريقية العظيمة المحصورة بين البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي . وهي ساعية في مشروع انشاء الطريق من الاسكندرية فدنقله فالخرطوم فقكتويا نيازا فالكاب هذه اعظم امانيتها تروم تحميتهما لانه لا يحول دونها حائل كما انه لا يشغلها عن رغائبها في داخليتها شاغل .

« والله الامر من قبل ومن بعد »

﴿ تم الجزء الاول ﴾

کتاب

العالم في كل شيء

تأليف

بشیر احمد

الجزء الثاني

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع على نفقة أمين هندية

مطبعة هندية بشارع المهدي بالانديا

تاريخ

جلالة الملكة فيكتوريا

The Queen, her life and reign

« ولادتها وتربيتها »

هي ملكة الانكليز وسلطانة الهند والحاكمة على خمس الكرة الارضية وعلى ربع سكانها . وهي الابنة الوحيدة للدوك اوف كنت (وهو الامير ادوارد اوغست) رابع اولاد الملك جورج الثالث اخي الملكين جورج الرابع ووليم الرابع .

ولدتها امها فيكتوريا « شقيقة ليوبولد ملك بلجيكيا » في كنسنتون بمدينة لوندرا فجر الاثنين ٢٤ مايو سنة ١٨١٩ الساعة ٤ والدقيقة ١٥ فسرّ بها والدها سروراً لا مزيد عليه حيث قرأ في وجهها آيات السعادة وبشعائر اليمين وقرّر لها اذا عاشت مستقبلاً عظيماً ومركزاً خطيراً ولقد اخذها لال سعودها ينمو معها من المهد ذلك ان مات عمها الاكبر ولي العهد بدون خلف واكتهل الاثنان الباقيان قبل ان يتزوجا فازداد ولع والدها بها حتى لو امكنه ان يودعها طي فؤاده لفعل وما كان يزوره احد من اصدقائه الا ويقول له فرحاً مسروراً: اني واثق بالله انه اذا عاشت هذه الطفلة تصير ملكة الانكليز . ولقد احتفل بمادها بعد شهر من تاريخ ولادتها احتفالاً شاقاً جداً ودعيت الكسندرينا فيكتوريا باسم القيصر واسم امها وقد غلب على هذه التسمية اسم فيكتوريا وحده

اما محبة والدتها لما فملا لا يستطيع ولا بالوهم ادراكه فانها كانت تسبق
ظلمها في ملازمتها ولا تقوى على مفارقتها لحظة وما كانت ترضعها الا من
ثديها وتأبى ان يخدمها غيرها

وقبل ان تتم الشهر السابع من عمرها عاد ابوها يوماً من الصيد مبلل
التياب منهوك القوى وتوجه تواءاً الى مقصورتها ليلاعبها كعادته قبل ان يغير
ثيابه فاصابته من جراء ذلك نزلة شديدة قضت عليه في سنة ١٨٢٠ فانقضَّ
هذا المصاب على والدتها انقضاؤ الصاعقة فملاً الحزن قلبها وقرَّح كبدها
حتى كاد يقضى عليها أسى وقد كتبت تبث شجنها لصديقة لها بما معناه :

« لم يمل الدهر ابنتي لبلوغ الشهر الثامن من عهد حياتها حتى جرَّ علينا
« ذيل مصائبه واصلانا بنار نوائبه فتيتم ابنتي من ايها وترملت انا بفقد زوجي
« في موطنٍ لم أَلَف فيه من يدري بلغتي فيعزيني على مصابي او يوأسيني في
« احزاني حتى كاد يذهب النعم فيه بذخيرة صبري لو لم يلهمني الله الثبات في
« مقارعة الخطب وقد ابتعدت عن القصر الملوكي لما فيه من المفاسد واقت
« هنا في كنسنتون حيث كرست حياتي واوقفت نفسي على قضاء واجب
« عظيم عليه مستقبل ايامي الواجب الذي صار ديني وشغلي الا وهو تربية ابنتي
وقد عاشت الدوقة مع ابنتها تيودورا (من زوج غير الدوق كنت)
وفيكثوريا معيشة غاية في البساطة في قصر كنسنتون فكانت تصرف جانباً
كبيراً من النهار في تعليمها واجدة في ذلك اعظم سلوى وتعزية على مصابها
وتصرف القسم الآخر حيناً بالتزهد اما في عربة او على ظهور الجياد وحيناً
بالجلوس في فصلي الصيف والربيع على بساط الارض السندسي في روضة

قصرها تحت ظلال الاشجار وكان لفيكتوريا في تلك الحلوة حمار صغير قد شغلت بركوبه كثيراً .

وقد رآها ذات يوم احد كتبة الجرائد وهي سائرة بين امها واختها في حديقة القصر تحيط بهن بعض السيدات تتبعهن خادمتان تجر احدهما ذاك الحمار الصغير فاقترب منهن بكل احترام وبادرهن بالتحية فردت عليه الاميرة الصغيرة بلطف جملة يقول في وصفها انها كما قد اُفرغت في قالب الحسن والجمال قد اُلبست في صغرها حلة الأدب والكمال فهي مثال المجد ومكارم الاخلاق وما اشبهها بالمرحوم والدها الدوق كنوت

وقد عكفت والدتها مع مربيتها على تربيته كل سني ترميها الطويل .
ولما بلغت الخامسة من عمرها عين لها البرلمان ستة آلاف جنيه سنوياً لتنفق على تعليمها وتهذيبها فتعلمت من اللغات الانكليزية والفرنساوية والالمانية والاطالية واللاتينية ومن العلوم والفنون الرياضة والموسيقى والرسم وفطمت من الصغر على الثبات في كل الاعمال والاقتصاد في جميع كافة النفقات وحب الاحسان والميل الى مساعدة الفقراء وقد حفظت الولاء لمربيتها فجازتها فيما بعد خير جزاء .

ومما قاله عنها هذه المربية انها لم تكن تسلم لكل ما يقال لها بل كانت تجادل وتناقش وتبحث عن وجوب نفع كل امر ووجوب ضرره ولا تأخذ به الا وهي على بينة منه

ولما تبوأ عمها وليم الرابع اريكة الملك ولم يكن يرزق ببنتين اصبحت اقرب العائلة الى الملك فعينت ولي عهده قبل ان تبلغ اشدها وزادها البرلمان

رأتها السنوي الى ستة عشر الف جنيه فارتأت وقتئذ والدتها ومربيها ان
تطلعها على ما يتيها لها من سمو المقام وخطارة المركز فوضعت لها المربية
في كتاب التاريخ الذي ألفت مطالعته جدولاً مبيناً فيه سلسلة نسبها

فلما فتحت الكتاب ووقع نظرها عليه اندهشت واعادت تلاوته اولاً
وثانياً ثم قالت للمربية احقاً ما أرى فاجابتها ان ما تريه هو عين الحق قالت
فيكتوريا اذاً لماذا لم اره قبلاً فاجبت لان ذلك لم يكن ضرورياً من قبل كما
هو الآن فانت ايتها الاميرة اقرب العائلة الى الملك .

فصمت برهة ثم استأنفت الكلام قائلة ان المركز خطير جليل يكاد يفوق
حد الامل وكثيرون يتمنونه ويتهاقون عليه حباً بالمجد ورفعة الشأن ولكنه
محفوف باعظم المخاطر واشد الاهوال ثم فركت جبينها بيناها وأشارت الى
المربية باليسرى وقالت ولكنني سانهج نهجاً حسناً وقد ادركت الآن سبب
اجتهادك بنوع خصوصي في تعليمي اللغة اللاتينية التي هي اساس اللغة
الانكليزية ثم اشارت بيدها ثانية وكررت قولها الاول سأسير السير الحسن
قالت لها المربية حيثئذ . ان امرأة عمك لم تزل في ريعان شبانها وربما
وضعت اولاداً فيكونون احق منك بالملك . فاجابت الاميرة على الفور انني
لا استاء من هذا الامر وجبذا لو تم وانا اعلم بما هي عليه امرأة عمي من النعم
المنفرطة لعدم وجود نسل لها واعرف شدة محبتها للاولاد من محبتها لي وعطفها
علي فبهتت المربية عند سماعها هذا الجواب وزادها حيرة ما رآته من عدم
الاكتراث بالملك وبقيت كذلك لا مطمع لها غير اتباع النهج القويم حتى
استوت على عرش المملكة الانكليزية فاستمالت قلوب رعاياها واحببتهم حباً

شديداً فاعتبروها اعتباراً واعظموها اعظاماً يفوق حد الوصف كما مسترى .
« توليتها وصاها »

ما تنفس صباح العشرين من شهر يونيه سنة ١٨٣٧ حتى توفي ولیم الرابع ملك انكلترا بلا خلف واشرفت شمس الاميرة فيكتوريا في سماء العظمة والمجد اذ خفَّ الى فصرها حال وفاة عمها رئيس اساقفة كنتبري مع بعض عطاء المملكة ليخبروها بما اتاها الله من الملك العظيم . وكانت لاتزال نائمة في مقصورتها فاقظوها وبادرها بالخبر عند مقابلتها رئيس الاساقفة فاغرورقت عينها بالدموع حزناً وشفقة وقالت له ارجوك يا ابتي ان تصلي لاجلي وجثت هي على ركبتيها فحناء رئيس الاساقفة والحضور من حولها وتضرعوا جميعاً لله من اجلها .

واول شيء خطر بخاطرها وجوب الاسراع بتعزية زوجة عمها المتوفي ادلايده فكتبت لها كتاباً تمزيها فيه جميل العزاء على مصاها وتشاركها في احزانها وعنوت ظرف الكتاب هكذا . . الى جلالة الملكة . . كما اعتادت ان تغنون رسائلها اليها فنبهوها بلطف ان العنوان يكون . الى جلالة الملكة الارملة فاجابت اني اعرف ما تنبهوني اليه ولكني لاحب ان اكون اول من يخبرها بتغيير امر كرها ثم اسرعت الى مقصورة والدتها والقت بنفسها بين ذراعيها وقالت اراني يا اماء ملكة انكلترا ولا اكاد اصدق ما اري لان بين حالي بالامس ومركزي اليوم بوناً عظيماً وانما ساعته بوقت قريب . وبعد برهة محادثة طلبت الخلوة بنفسها فسكرت نحو الساعتين استجمعت فيهما كل قواها ثم دخلت قاعة البرلمان المؤلف من اعظم رجال المملكة فقوبلت بمراسم



المملكة الفتاة

الاحتفاء ومظاهرها الابهة ونودي بها « ملكة انكترا » في ثاني يوم من كوة بيعة سان جيمس حيث حضر اكابر المملكة وعظماءها واقسموا لها يمين الطاعة ثم اقيم الاحتفال بتتويجها واقبل الانكايز لحضور ذلك الاحتفال من كل قطر وناد فضاقت بهم المدينة على اتساعها وبلغ ثمن تذكرة الحضور خمسون جنيهاً وبلغت نفقات التتويج ٦٩٤٢١ جنيه . وكان ثمن التاج الذي توجت به في ما حوى ترصيعه بالحجارة الكريمة ١١٢٧٦٠ جنيه .

ولما طيف بها ذلك اليوم في شوارع لوندرا العاصرة ارتفعت اصوات الأمة بالابتهال هاتفة « اللهم بارك مليكتنا الفتاة »

وقد دهش الناس من حسن تصرفها بما بدا منها عند تتويجها ذلك انه لما تقدم كبير اللوردات ويده التاج ليتوجها به وكان كهلا في الخامسة والثمانين من العمر ثقل الحركة عثرت رجله في احدى درجات العرش الذي كان يصعده وضعف عن النهوض فتحركت عواطفها عليه شفقة ونزلت فلاقته على الدرج وخففت عنه مشقة الصعود فوقع ذلك من النفوس احسن موقع واستدل الشعب جلياً على ماحوت من رقة القلب والدعة والوقار مع ماهي عليه من عزة الملك والعظمة

ولما تمت حفلة التتويج تقدم عظماء المملكة لمبايعتها واقسموا يمين الطاعة وكان بينهم الدوك ولنتون الشهير وغيره كثير من كبار رجال السياسة . وكانت حمرة الخجل تملو وجنتيها اذ ترى الشيوخ يركعون امامها لتقيل يدها . وما صدقت ان انفردت بنفسها بعد ذلك حتى قصدت تواجها والدتها والقت نفسها بين يديها والدموع تتلأأ في عينيها من شدة التأثر .

وكانت وقتئذٍ وزارة الاحرار قابضةً على زمام الاحكام وكان رئيسها اللورد ملبرن وهو شيخ واسع الاختبار خبر ضروب السياسة وعرك الايام فاعتبرته الملكة بمنزلة الوالد الرؤف وصار موضع ثقته ومعتمد سياستها نخدمها اجل خدمة باطلاعها على كل دقائق السياسة وكان يقضي اكثر اوقاته معها لتدريبها على الحكومة الدستورية حتى توفق لذلك كل الموافقة .

فشرعت من ذلك العهد تشارك وزراءها في سياسة بلادها وتنظر في كل المسائل بغاية الحكمة والتروي فما كان يُقدَّم لها ورقة لتمضيها الا وتفحصها بامعان زائد او تحفظها معها اذا لم يكن في الوقت فسحة لتلاوتها بالتدقيق ولما رأى منها ذلك اللورد ملبرن قال انها كانت اصعب عليه من عشرة ملوك وقد تعمّدت المساواة بين رعاياها في سائر الاحوال فلم تمل لحزب من الاحزاب بنوع خاص مهما بذل جهده في استمالتها اليه بل ترفعت عن الحزبين وراعت مصلحة الاثنين

ومما يروي أنه لما عرض عليها غلادستون ان ترفع الى درجة اللوردة عدداً عديداً من رجاله واتباعه — وكان قصده في ذلك ان يتوصل بواسطتهم الى إلغاء مجلس اللوردة رفضت اجابة طلبه وقالت له اني لست رئيسة لحزب الاحرار او لحزب المحافظين إنما انا رئيسة المملكة الانكليزية فلا يحسن بي ان انصر حزباً على آخر .

وكانت شديدة التمسك بعري الدين يقال انه سألها احد سفراء ملوك افريقيا بأمر مولاه عن سبب تقدم مملكتها ف اشارت الى الكتاب المقدس واجابته : قل لمولائك ان هذا الكتاب هو سبب ارتقاء بلادي فليعمل

بمقتضاه اذا شاء وكانت ترى ان طاعة الاله الحق وحفظ وصاياه من اول الواجبات فلم تخرج عن ذلك ابداً وقد اتفق ان احد وزرائها وصل الى ويندزور في الليل متأخراً ومعه اوراق عظيمة الالهية تستدعي فحسباً مدققاً وطلب منه تأجيل الاطلاع عليها لصباح الغد فقالت كيف في صباح غد وهو الاحد ايها اللورد فقال نعم ولكن الاوراق شديدة الالهية لا تحمل التأخير ثم استأذن وانصرف وفي صباح الغد توجه للبيعة لحضور القداس فاستولاه الاندهاش اذ سمع الكاهن يعظ الناس ويحضهم على الراحة من الاعمال ايام الآحاد فلما امثال امام الملكة بعد انقضاء الصلاة ابتدرته بالسؤال قائلة هل استحسنت موضوع الوعظ اليوم اجاب قد استحسنته كثيراً لمطابقته لمقتضى الحال والحق هو ما ارتأته مولاتي الملكة فابتسمت وقالت لست اخفي عنك الآن ان الكاهن جعل موضوعه في الوعظ يوم الاحد بايعاز مني اليه واطن ان كثيرين يرتدعون به فان واجبات الدين هي اقدس الاشياء وعلى ذلك انقضى الاحد بدون عمل حتى المساء فقالت له غداً صباحاً الساعة ٧ الساعة ايها اللورد تفحص الاوراق اذا شئت فاجاب اذا شاءت مولاتي كان ذلك في الساعة التاسعة لكي لا نبكر جداً في القيام قالت بل يلزم فحسبها باسرع ما يمكن لكي لا يتوقف سير الاعمال

وقد طفقت ترتاد السلام والطمأنينة لرعاياها من اول يوم تبوأته فيه اريكة الملك وكما قد قرر لها البرلمان من ذلك اليوم ٣٨٥ الف جنيه راتباً سنوياً كذلك قررت هي في نفسها لشبهها فوق ذلك كثيراً من نوايا الخير والسعادة والشفقة والحنان ولما كانت من القواعد المقررة ان توقع بخط يدها على

احكام الاعدام كان قلبها الشفوق عرضة للتأثر العظيم فكانت تبذل ما في
وسمها لتخفيف كل حكم صارم يقدم لها وقد حدثت عنها آنسه انجليزيه كانت
في خدمتها ان الدوك ولنتون قدم لها ذات يوم حكماً قاضياً بالاعدام على جندي
وطلب التوقيع عليه فلما وقع نظرها عليه اضطربت كل جوارحها وقالت
للدوك والاشفاق يرطب عينيها بدموع الحزن اما لديك ما تستشفع به لهذا
الرجل اجاب الدوك لاشي لانه هرب ثلاث مرات من الجيش وارتكب
ذنوباً كثيرة قالت افنكر برهة عساك تجد بعض الخویر فاطرق الدوك براسه
الى الارض هنيهة ثم قال لعله ينفع للمنفى فيكون رفيقاً اميناً اذا لم يكن جندياً
مخلصاً فابرت اسرة الملكة وقتئذ وقالت أشكرك على هذا الطلب وخطت
بامضائها العفو عن المجرم .

« زواجها وترملها »

ملكة في زهرة الحياة قبضت بيدها زمام مملكة هي اقوى واعظم
ممالك الارض وهى على ما علمت من جمال الخلق وكمال الخلق توفرت لديها
بذلك اسباب الرغد ووسائل الهناء والمجد الى اعظم درجة يمكن الوصول
اليها ففي اي شيء من مكملاتها يتحدث الشعب ياترى افي غير ذلك الرجل
المختار من العالم الذي سيسعده السعد وتؤهله الكرامة والمجد فترمقه بعين
الاعتبار ويكون اهلان لان يصير لها بعل

فهذا كان يتسأل لشعب الانجليزي عن بكرة ابيه فاكثر النخمين
وتداولت الاقاويل في من يكون وكانت الارحجية واقعة على احد امراء
عائلة اورليان الشهيرة وعلى ابن خالها الامير البرت ابن ملك البلييك وكان

هذا جميل الطلعة فائقاً في الكمال والملاحة زارها وهي في السابعة عشرة من عمرها فاحبها واحبته حتى لم تستطع كتمان حبه فصرحت بذلك لخالها حيث كتبت اليه تطلب منه الاعتناء الخاص به لانه اصبح اعز الناس لديها فادرك خالها المراد وأرى لزوم تغيير دروسه بدروس تناسب مستقبل حياته ففعل ولما كان جوال السياسة لا يخلو من الاكدار حصل وقتئذ ان وزارة الاحرار فقدت ثقة الاهالي فيها فخلفتها وزارة المحافظين وكان زعيمها السر روبرت بيل واول شيء طلبته هذه الوزارة من الملكة فصل بعض النساء اللواتي كن في خدمتها نظرا لانحيازهن لحزب الاحرار فعارضت في ذلك حتى كاد يفضي الامر الى عواقب وخيمة وطار الخبر الى خالها فاسرع وارسل اليها بالامير البرت واخيه ليدفعها بتحريك عواطف الحب فيها الى التسليم لارادة شعبها

وكانت لم تقر لذلك العهد على الزواج على انها لما رأت البرت وقد بدى لها بمنظر يختاب القلب ويسلب الاب حدى بها حادي التذكار للرجوع بمطايا افكارها الى معاهد ذاك الحب الذي سكن في قواها منذ عام زارها فابقت به لديها ضيفا كريما وبعد شهر قدمت له زهرة كانت بيدها فاقبلها مسرورا شاكراً فطلبت منه تعليقها في صدره ولما لم يكن في سترته عروة زائدة اخرج من جيبه مطوة وفتح في السترة فتحة اذاء قلبه وضع فيها الزهرة فسحرت بشدة بداهته وغريب لطفه ولم يطل الزمن حتى كاشفته بحبيبتها وطلبت منه الاقتران بخافه ان لا تترك عواطفه في المحبة لدي علمه بانحطاط منزلته امام عظمة مقامها فسحر البرت بما رأى في كلامها من دلائل الحب الصادق وكتب الى جدته

يعلمها بما ناله من السعادة وكتبت هي الى مشير خالها تعلنه برغبتها في الاقتران وكان عليها ايضا اعلان هذه الرغبة الى اعضاء البرلمان ولهم الحق ان في هذا الاعلان كان قضاء واجب ما على صعوبته من مزيد على فتاة في مقتبل العمر وقد ذكرت ذلك هي بقولها : دخلت قاعة البرلمان وقد كادت تضيق بجمهور الاعضاء فلم اميز احدا من الحاضرين كأن غشاوة انسدت على بصرى وما بدأت اصرح بطلي بكلمات وجيزة حتى شعرت بالاضطراب في كل جسمي فنهض للحال اللورد لانسدون وسأل باسم صالح المملكة المصادقة على هذا الاقتران السعيد فكان ومن ثم ابتدأوا بتهنئتي من الدوق اف كامبردج فنازلا وقد سر اعضاء البرلمان كثيرا من هذا التصريح لان ولاية العهد كانت اهم شيء واحتفل في العاشر من شهر فبراير سنة ١٨٤٠ بزفافها واطهر الانجليز دلائل السرور ومظاهر الابهة والمجد وقاموا بزيينات عمومية باهرة يعجز القلم عن وصفها .

وقد كان هذا الاقتران مصدر سعادة الزوجين لانهما كانا مؤلفين في الآذواق والاخلاق . وبذل البرنس امام زوجته كل ما يمكنه من المحبة والاخلاص فشاركته في امرها على اهم ما تحت سلطاتها وفي ادارة الاحكام وكل ما يؤول لمجد المملكة وتجنس بالجنسية الانجليزية بموجب قرار صدر من المجلس العالي وعين له مرتب سنوي قدره ثلاثون الف جنيه انجليزي وما هضى عليه ذلك العام حتى صار وطنيا عاملا في المملكة فقام لأول مرة خطيبا باللغة الانجليزية في جمعية تحرير الرقيق ثم اعطى لقب فلد مرشال ووجهت اليه رتبة رباط الساق ورئاسة شرف كلية كمبريدج وكان كلنا بالآداب فجعل

لكثير من الجمعيات

وقد اشتهرت سنة ١٨٤٠ المذكورة بتخفيض رسم الجوابات في بلاد
الانجليز الى ١٠ سنتيم

اما ما ابداه البرنس نحو زوجته الملكة من الغيرة على صواحلها وصوالح
المملكة ومن الوفاء الخالص في محبتها ورعاية شعبها فما يخلد له جميل الذكر
في التاريخ الانجليزي وكانا في المعيشة العائلية على غاية من البساطة والتقوى
والهناء والرغد

ورزقت الملكة في اواخر عام الاقتران بالامبراطورة فكتوريا ارملة
امبراطور المانيا السابق ثم بالبرنس ادوار ولى العهد الذي نالت بمولده الامة
البريطانية منها من حيث الحصول على ارتياح الفكر بخلف الملك سعيد وقد
قدرت نفقات الاحتفال بعماده فكانت مائتي الف جنيه وهاك جدولاً مبيناً
فيه اسماء من رزقت من البنين وتاريخ ميلادهم

(١) البرنسس فكتوريا ولدت في ٢١ نوفمبر سنة ١٨٤٠ وتزوجت ربلوبده
في ٢٥ يناير سنة ٥٨ بالامبراطور فريدريك وايم وتزلت في ١٥ يونيو
سنة ٨٨

(٢) البرنس البرت ادوار ولد في ٩ نوفمبر سنة ١٨٤١ وتزوج في وندسور
في ١٠ مارس سنة ٩٣ بالكسندره اميرة الدنمرك

(٣) البرنسس اليس ولدت في نوفمبر سنة ١٨٤٣ وتوفيت سنة ١٨٧٨

(٤) البرنس الفرد دوق سكس كوبورغ وغوثا ولد في وندسور في ٦
اوغسطس سنة ١٨٤٤ وتزوج في سان بطرس برج في ٢٣ يناير سنة

١٨٧٤ بدوقة روسية تدعى ماريا

(٥) البرنس هيلانه ولدت في ٥ مايو سنة ١٨٤٦ وتزوجت في وندسور في ٥ يونيو سنة ١٨٦٦ بالامير كريستيان صاحب شلوج هولشتين من اعمال المانيا

(٦) البرنس لويزا كارولينا ولدت في ١٨ مارث سنة ١٨٤٨ وتزوجت في وندسور في ٢١ مارس سنة ١٨٧١ بالمرکز لورن اكبر انجال الديوك اف ارجيل الاسكتلندي

(٧) البرنس ارتور اف كونوت ولد في اول مايو سنة ١٨٥٠ وتزوج في وندسور في ١٣ مارس سنة ١٨٧٩ بلويزا عرغريت اميره بروسيايه
(٨) البرنس ليوبولد دوق البني ولد في ٧ افريل سنة ١٨٥٣ وتزوج في وندسور في ٢٨ افريل سنة ١٨٨٢ بهيلانه اميرة وليك وتوفي في ٢٨ مارس سنة ١٨٨٤

(٩) البرنس بيترس ماري فيكتوريا ولدت في ١٤ افريل سنة ١٨٥٧ وتزوجت في وندسور في ١٣ يوليو سنة ١٨٨٥ بهنري تاسمبرج ولم يكن زواج الملكة وما يتبعه من الشواغل ليشغلها عن واجباتها نحو الملكة بل استمرت على فحص كل المسائل التي كانت تعرض عليها وكانت تتجاذب دائماً مع وزرائها اطراف المداولة في كل الامور على جرى عاداتها وفي سنة ١٨٤٢ زارت مع زوجها اسكتلاندا فاحتفل باستقبالها الشعب الاسكتلندي احتفالاً عظيماً وفي شهر سبتمبر سنة ١٨٤٣ زارت لويس قليب ملك فرنسا فقابلها الرئيسيس بناية التجلة والتعظيم وحضر الملك قليب بنفسه الى

شربورج واستقبلها وهي نازلة من يختها ثم زارت ايضاً مع زوجها بلجيكا
ثم اعادت الزيارة لاسكتلاندا سنة ١٨٤٤ واشترت فيها بقعة من
الارض ذات موقع نضر جيد تعرف بالهيلاندزاي الاراضي العاليه وبنت
فيها قصراً كانت تقضي فيه مع عائلتها بعض الايام حينما تسمح لها الفرص
باراحة نفسها من عبء الاعمال فتعطي ميلها حقاً بتناسي عظمة الاحتفالات
ورسمي المقابلات وكثيراً ما كانت تخرج وحدها تزور سكان القرى ولقد
ضلت عن الطريق ذات يوم بينما كانت تسير في عرض الحقول فهداها اليه
مزارع في ذاك المكان وحملها ذلك على ان سعت هي وزوجها يكما يعود
بالراحة والسعادة على سكان تلك الاصقاع فاسست مدرسة لتربية اولادهم
واقام البرنس مزرعة اتخذت مثالا للقوم واقيم على نسقها فيما بعد مزارع
كثيرة في كل انكلترا

وفي سنة ١٨٤٥ زار الزوجان المانيا

وفي سنة ١٨٥١ زارا ليفريول ومانشستر وقد ادهش الملكة في هذه
البلدة الاخيرة هيئة الاحتفاء التي الفها الشعب فقد لبس احسن ما عنده
واصطف على طول الطريق التي صرت فيها كالجند المنظم اما حفلة الترحيب
العمومية فقد اقيمت في بقعة متسعة اجتمع فيها نيف ومليون نفس عدا منهم
عدد تلامذة المدارس وخدمهم نحو ٨٢ الف تلميذ وبعد تلاوة خطاب شائق
رفع هذا الجمع صوته عن بكرة ابيه يرتل النشيد الوطني الشهير

« اللهم احفظ الملكة »

وبالجملة فان هذه الملكة المحبوبة كانت اينما حلت وكيفما سارت تلاقي من

شعبها من الاعظام والاعتبار ما لم تسمع به اذن او تره عين او يخطر على قلب ملك

وكانت هي وزوجها بغاية التواضع ولين الجانب واللفظ مع الجميع وبغاية البساطة وعدم التكليف في معاشرتهما حتى ما كانا يانقان المحادثة مع حشمهما بل يتركانهم يخوضون في الحديث كأنهم جميعهم اعضاء عائلة واحدة وقد اختارا لتربية اولادهما قصرآفي جزيرة وايت مبنياً في بقعة جيدة التربة حسنة المناخ خيم فيها الهدو بدل غوغاء المظاهرات وناب فيها الهواء النقي بدل دخان المعامل والى جانبه منزل آخر ترتبت فيه قاعات كثيرة خصص بعضها للطبخ والبعض لعمل الجبن والزبدة وغيرها عرضت فيها معدات التاريخ الطبيعي وخلافها للتصوير والموسيقى والدرس وغير ذلك وكان لكل حديقة خاصه تشغل فيها تحت ادارة البستاني اما الاميرات بناتها فكن يطبخن ويستخرجن الزبدة والجبن ويهبن نتيجة اعمالهن الى بيوت الفقراء التي فرضن على انفسهن مساعدتها وامدادها حتى سعدت اهالي تلك الجهة من عطايا الملكة وهبات بناتها

وقد روى عنها احد الكهنة في تلك الجزيرة قال دعيت ذات يوم الى مريض كان في حالة النزع فلما دخلت عليه وجدت الى جانبه سيدة نطفع على وجهها المهابة والجلال ويلوح عليها سيماء الحزن وهي تقرأ له في التوراة فلما هممت بالخروج استوقفتني السيدة وقالت ارجوك ايها الاب الصالح ان تبقى هنا وتداوم القراءة في الكتاب المقدس لهذا المريض ففي ذلك اعظم تمزية له وقدمت لي الكتاب مفتوحاً في موضوع يناسب حالة المريض

وخرجت ولم يمر على ذلك يومان حتى علمت ان تلك السيدة التي رايتها هي نفس الملكة فيكتوريا . فيالها من ام حنونه وملكة كريمة كانت تحبو بالمطاء وتمد بالدواء وتشارك في المصائب كأنَّ العناية ارسلتها لسعادة شعبها

وقد قام ايضاً البرنس البرت باعمال كثيرة دلت على رغبته في خير البلاد ونجاحها فساعد بحذقه ونشاطه على اقامة معرض في مدينة لوندرا سنة ١٨٥١ فتم وتقاطر اليه الصناع من كل صوب ليعرضوا فيه مصنوعاتهم وبرزوا بنات افكارهم فقال هذا المعرض نجاحاً عظيماً وتبعه معارض اخرى كثيرة للصناعة والفنون وكان ناصحاً ومرشداً في كل الاعمال لزوجته الملكة التي اطلعت على كل افكارها فشاركها فيها ناهجاً سبيل الحكمه فلم يتدخل في الامور مداخله تؤذن بالمعارضة لئلا يتهم بالميل للمصالح الاجنبية لكونه غريباً عن الانكيز ومع ذلك فلم يسلم من التهمة فاضطر مجلس الامه بالتصريح والايضاح لدفع تلك الاوهام عن الافكار .

وزار البلاط الانجليزي سنة ١٨٥٥ نابوليون الثالث وزوجته فقابلته الملكة وزوجها بمراسم الاعزاز والاكرام وردا لهما الزياره في باريس في ١٨ اوغسطس من تلك السنه وزارت الملكة قبر نابوليون الاول فتذكرت ما كان بينه وبين قومها من العداوة الشديدة وادركت مالوقوفها على قبره من التأثير فقالت « ليس على المواطف اشد من معرفة مقدار البغضاء التي كانت تملأ قلوب الشعبين العظيمين وها انا بما ابدى من الاكرام والاعتبار امام ضريح هذا الخالد الاثر لرفاته البالية ابدد شمل ما تقدم من العداوة واجمع شوارد الاتحاد الذي تم بين الامتين »

وصحبها في هذه الزيارة ولي عهدها واخرى من بناتها وكانت وقتئذ ايام
المرض فاقاموا في باريس ثمانية ايام وسروا بمشاهدتها كثيرا
ومنحت لزوجها في سنة ١٨٥٧ لقباً عزيزانه صاحب السمو المملوكي البرنس
الزوج حتى يكون له حق الوكالة على ولي العهد القاصر فيما اذا دأمتها الوفاة
قبل رشاده

وفي سنة ١٨٦١ توفيت ام الملكة ولها من العمر ٧٥ سنة فآثر هذا المصائب
فيها تأثيراً عظيماً ولكن كان لها في زوجها اعظم تعزية وسلاوى الا ان القدر
جاءها على عجل فاصابها فيه بنحط اجل واعظم . ذلك انه اصيب بحمى
خفيفة اضطرته الى ملازمة الفراش فكانت تخدمه بنفسها اثناء مرضه وتمضى
اكثر اوقاتها الى جانب سريريه حتى اذا زادت عليه وطأة الحمى وعلم بدنو
الاجل قبلها وقبل اولاده وودعهم الوداع الاخير فقالت له ان للطبيب امل
عظيم بشفائك فاجاب وصوته يهدج في لهاته اني متأكد من فراق لا يعقبه
تلاق الا في دار ابدية القرار ثم عاد فاثمها ثانية وقال بالالمسانية الوداع ايها
الزوجة الصالحة . قال هذا واغمض جفنيه بعد ظهر الرابع عشر من ديسمبر
سنة ١٨٦١ وله من العمر ٤٢ سنة .

وكاد هذا المصائب يقضي على الملكة أسمى فانقطعت عن أشغال المملكة
انقطاعاً تاماً وجنحت الى الاختلاء بنفسها حتى كاد يلجئ الامر الى ان يعين
قائم مقام ملكة لانجاز الاعمال . وكان ايضاً لوقع هذا الخطب رنة في قلوب
جميع الانكليز فشاطروها الاحزان وبكوا معها فقيد البر والاحسان ولا يزال
تذكره مرافقاً لها اينما حلت حتى الآن . . .

وبعد حزن طويل فوضت امرها الى القهار العظيم وقالت في هذا
المعنى .

« إن مصابي وان يكن فادحاً بفقدني اعز انسان اخترته من هذا »
« الوجود ليكون رفيق حياتي الا ان ذلك لا يؤخرني عن القيام بما علي من »
« الواجبات لشعبي ولا يصدني عن التسليم لارادة الله ما دمت اعلم ان مقامي »
« لا يصونني من رزايا الدهر فاني وقل الصعاليك سواء امام محكمة القضاء »
« واول مرة ظهرت فيها رسمياً بعد موته كانت لكشف الغطاء عن تماثيل
اقيم له في ابر دين واقامت له غيره في هيلاندز ونقشت عليه : تذكارات المحبة
للبرنس البرت الصالح من ارملة الكسيرة القلب فيكتوريا : واقامت له تماثيل
اخرى كثيرة في انحاء مختلفة من المملكة واصرت بترجمة حياته وطبعها
واهتمت كثيراً بنشر فضائله وتخليد ذكره في الخافقين .

ولا يسع هنا المقام لبيان ما اتته الملكة بعد فقد زوجها فانها كانت تفتح
بنفسها ملاجئ الارامل والايام والمنقطعين وتشيد البيوت العجيبة للفقراء
على اختلاف طبقاتهم وتزور المستشفيات وتتفقد من فيها من المرضى وتحثهم
على الصبر والتسليم للعزة الالهية وتستنهض هم الحسين وتطف على
البائسين والمحزونين . ومن الغريب انها مع ما كانت عليه من الحنان والشفقة
ومع حب الشعب لها جداً يقرب من العبادة فان جوجياتها لم يخل من تكدير
الائمة المعتدين الذين كانوا يحاولون من وقت لآخر ان يرموها بشرير يدانه
لم يلحقها ضرر من مكائدهم كان العناية ترعاها اين حلت . فمن ذلك ان احدهم
اطلق عليها رصاصة في شهر ابريل من سنة ١٨٨٣ فلم يصيبها والقي القبض عليه

وحكم عليه بالسجن لمدة غير محدودة وقد اظهرت في كل هذه الحوادث من الشهامة والجلد مالا يستطيعه اعظم الرجال وقد زارها في سنة ١٨٧٦ السلطان عبد العزيز خان وامبراطورة بروسيا وملكة فرنسا .

وفي اوائل سنة ١٨٧٧ وهي السنة الاربعون من سني ملكها لقبت بامبراطورة الهند بناءً على اشارة ديزرائيلي السياسي الشهير . واصدرت بذلك قراراً في قصر ويندزور هالك ملخصه : ان الشركة التي كان اصر حكومة الهند الشرقية مفوضاً اليها تحكم الهند من تاريخ صدور هذا القرار بنا وباسمنا ولذلك يضاف على القابنا لقب امبراطورة الهند ويبقى حتى اعلان امر جديد .

ومما اشتهرت به الملكة ميلها الى الشعر والتصوير وفي قصورها صور كثيرة من صنع يدها وهي تستخدم المصورين الالمانيين والاطالين وتفضلهم على النابغين من رعاياها . وهي شديدة المحافظة على التقاليد والعادات القديمة ففي بلاطها نحو الف عامل ينفق عليهم نحو ٥٠٠ الف جنيه سنوياً

وهي شديدة الاعتناء بصحتها لا سيما بعد تناوب الآلام العصبية لها التي جعلتها تقضي اكثر ايامها في قصر ويندزور فلا تقيم في لندن اكثر من ستة او سبعة ايام في السنة

وقد كتبت الملكة تاريخ حياتها بيدها كجدول يومي مدون فيه كل قول وعمل وفكر . فمن ذلك ان نابوليون الثالث امبراطور فرنسا زارها فتخاصرا في ليلة أنس فكتبت عن تلك المحاصرة « من اعرب ما جرى ان اكون حفيدة جورج الثالث ملك الانكايذ وأُخاصر رجلاً هو حفيد ذلك الجبار (اعني نابوليون الاول) ألد اعداء جدي ولكنني أرى بنابوليون

الثالث قوة تقربني منه وتحملني على ان اقول له ما أروم كتبانه الخ»
 ويبلغ مجموع ما تنفقه انكثارا رواتب لها ولافراد عائلتها واهل بلاطها
 وبطانتها وحاشيتها ٨٠٠ الف جنيه في السنة وهو مبلغ باهظ ولكن ليس
 بالنسبة الى مملكة هي ايسر الممالك حالا بل هو قليل في جانب ما نالته البلاد
 في عهدهما من الفتح والنصروفي جانب شرفها الاثيل ومجدها الباذخ . ولها
 فوق راتبها نحو ٤٠ الف جنيه ايراد ولاية لانكستر ولولي العهد ايضا ٦٠ الف
 جنيه ايراد ولاية كورنول واكثر اعضاء بقية العائلة لا مال لهم ولا عقار
 ولا دخل سوى ما يقبضونه من الحكومة

ولها عائله لا يقل عدد افرادها عن ٨٠ نفسا ما بين اولادها واولاد
 اولادها منهم اربعة حاكمون هم : امبراطور المانيا حفيدها الاول وبكر
 اكبر بناتها وامبراطورة روسيا وامير هس دار مستات وهم اولاد بناتها
 الاولى والثانيه وامير كوبورغ وغوثا وهو ابنها الثاني ومنهم ١٢ يرثون الملك
 بعد حين والباقيون اصراء واولاد ملوك .

فالملكة فيكتوريا ابنة الملوك وحماة الملوك ونسبية الملوك واحتاط الملك

بيتها من كل جانب

« حياة الملكة السياسية »

واحد وستون سنة صرت أنت في خلالها الملكة من حسن السياسة في الادارة
 وملافاة الامور الخطيرة ما دل على ذكائها وسمو مداركها فلم تتعرض لأذى
 احد من رعيته بل كانت تجري على ارادة وزرائها بما فيه خير المملكة وتشاركهم
 في دقائق السياسة . وكان على رئاسة وزارة الاحرار حين تولت زمام الملك

اللورد ملبرن ثم تلاه اللورد بيل على حزب المحافظين وتلا بيل اللورد جون رسل فاللورد دربي فاللورد ابردين فاللورد بامرستون فاللورد بيكونسفيلد فغلاستون فاللورد روزبري ثم اللورد سلسبري الذي لا يزال رئيساً للوزارة الى الآن . وكلهم نوابغ من افاضل السياسيين (وقد ذكرت سيرتهم في باب الرجال العظام) واليك الآن بيان اهم الحوادث التي وقعت في ايامهم

في مدة وزارة اللورد ملبرن ثار محمد علي باشا على الدولة العلية وارسل ابنه ابراهيم باشا الى سورية فافتتحها . فالتحمت انكلترا والنمسا على اخراجه منها وكانت فرنسا تعضد محمد علي باشا آمله ان تجدد بالعمارة المصرية مساعداً لعمارتها على العمارة الانكليزية ولكن انكلترا سعت فوضعت القطر المصري تحت حماية الدول الاوروبية وبذلك احبطت كل مساعي فرنسا وكادت تكون الحرب ادنى من قاب قوسين بين الدولتين

وفي عهد وزارة ملبرن تفاقم ايضاً النزاع الذي كان بين انكلترا والصين على تجارة الافيون وقد انتهى بحرب عقبها صلح وتعهدت بموجبه الصين بدفع غرامة ٢١ مليون ريال وتنازلات لانكلترا عن هونغ كونغ ثم فتحت ابوابها لقبول التجارة الانكليزية

وفي سنة ١٨٤١ أسندت الوزارة الى حزب المحافظين وكان زعيمها السير روبرت بيل فاضطربت في عهده الحرب في افغان وكانت هذه البلاد هدفاً لمطامع الانكليز الذين اوجسوا من تقدم الروس في اواسط اسيا فسمعوا جهدهم لان يجعلوا الافغانستان حداً فاصلاً بينهم وبين الهند وقد استولوا عليها بعد وقائع هائلة ثم اضطروا الى الجلاء عنها بعد ان وضعوها تحت حمايتهم وتركوا

لها حق الاستقلال في شؤونها الداخلية .

ولما نشبت حرب القرم بين الترك والروس ارسلت انكلترا وفرنسا عساكرها براً وبحراً للدفع الروس عن تركيا فجرت مواقع كثيرة هائلة بين الفريقين وكان الاورد بالمرستون يذكي نارها حتى أخذت مناسيبول فوصلت الحرب الى غايتها وأبرم الصلح في باريس ووقعت الدول على شروطه .

وفي عهد وزارة بامرستون كانت الجنود الانكليزية تكافح الاهوال في الهند واخيراً تم لها الفوز ووطد الانكليز سيطرتهم في تلك المستعمرة العظيمة حتى انتقلت ادارتها من اختصاص شركة الهند الشرقية الى سلطة الحكومة ونودي بالملكة امبراطورة في سنة ١٨٧٧ .

وفي سنة ١٨٥٦ وقعت الحرب بين انكلترا والعجم وقد نشأت عن الاختلاف الذي وقع بين مستخدمي الحكومة وسفير انكلترا في طهران وقد انتصرت الجنود الانكليزية في مواقع متوالية في جنوبي البلاد ثم عقد الصلح في سنة ١٨٥٧ ووقع على المعاهدة في باريس وحصلت انكلترا على ما كانت تطلبه .

وفي سنة ١٨٦٤ تخلفت انكلترا لليونان عن جزائر ايونيا وفي تلك السنة طالبت بلجيكا بمساعدة انكلترا على بروسيا والنمسا ولكن ذلك لم يعد بطائل . وفي سنة ١٨٦٨ زحفت الجنود الانكليزية من الهند على بلاد الحبشة واقتحتها واخذت رعاياها من الاسر ثم تركتها مضطرة

ولما نشبت الحرب بين فرنسا والمانيا في سنة ١٨٧٠ لزمّت انكلترا الحيادة التامة .

وفي وزارة اللورد بيكونسفيلد ابتاعت انكرا اسهم قنال السويس من
الحدوية المصرية

ولما عادت الحرب بين الروس والعثمانيين حمل هذا الوزير انكرا على
التدخل في تلك الحرب فارسلت اسطولها الى الدردنيل لصد الروس عنه وقد
كابدت الدولة العلية من جراء هذه الحرب خسائر جمّة بين مال ورجال وبلاد
ثم عقدت معها انكرا معاهدة خصوصية ضمت اليها بمقتضاها جزيرة قبرص
وفي عهد وزارة بيكونسفيلد اشتدت المجاعة في الهند وقد ادخل هذا الوزير
انكرا في مسائل كثيرة افضت الى استعفاؤه في آخر حياته فأُسندت الوزارة
من بعده الى المستر غلادستون . تقلب قبل ذلك في الوظائف وعين وزيراً
الى المالية في وزارة بامرستون فنجحت البلاد بادارته المالية نجاحاً غريباً واوفت
نحو ٧٠ مليوناً من الجنيهات في تسع سنوات .

وفي عهد وزارته تقدمت انكرا ورأت نجاحاً عظيماً فوضع قانون التعليم
العمومي فيها واصلح قانون الانتخاب ونظم الجندية . ولما عرض في سنة ١٨٧٣
اصلاح امر التعليم في مدارس ايرلاندا ليرضى بذلك كلاً من البروتستانت
والكاثوليك رفض المجلس طلبه فاستعفى وزملاؤه ثم عاد اليها في سنة ١٨٨٠
وظلّ متربّعاً فيها الى سنة ١٨٨٥

وفي عهد وزارته حصلت الثورة العراقية واحتلّ الانكليز مصر وكان هو اول
منادٍ بوجوب جلاءهم عنها آجلاً او عاجلاً . ولما طلب من البرلمان منع
ايرلاندا الاستقلال الاداري ساء طلبه هذا الاعضاء وانفصل عنه اعوانه
واتفقوا مع المحافظين على اسقاط وزارته فأُسندت الوزارة بعده الى اللورد

روزبري ثم عادت الى سلسبري . وفي عهد وزارته ثار على الانكليز في الهند بعض القبائل من أشهرهم قبائل الافريديين قاوموا الجنود الانكليزية اشد مقاومة حتى عجزوا وانخذلوا تماماً .

واعتصب الميكانيكيون فاهتمت الحكومة باخماد ثورة هذا الاعتصاب كما اهتمت بالجندية وزيادة عددها وقوتها لتقدر على القيام بما تطلبه املاكها الواسعة .

وفي عهده كانت المسألة الكريدية والمراقبة على مالية اليونان رأس المسائل العمومية التي تجاذبها السياسة وتتنازعها عوامل الحل . ثم بدا التسابق بين الدول في الصين كما ظل في افريقيا مدة سنين كل دولة منها كانت تسعى الى جر مغنم واكتساب نفوذ تجاري وتملك موقع حربي . وقد نالت انكلترا بعض الفوز وتحصلت من امتيازات انشاء السكك الحديدية واستخراج المعادن ما لم تحصل عليه دولة اوروية سواها .

وفي عهد وزارته تشعبت المسائل الاستعمارية في افريقيا تشعباً لا مثيل له حتى اصبحت من اهم المشاكل السياسية . وقد اشتد النزاع في القسم الجنوبي من هذه القارة وقامت الحروب على قدم وساق في الترانسفال وفي بلاد التايل وعلى ضفاف نهر اورنجه والكونغو وزمبيزة وفي جزيرة مدغسكر .

وفي ايامه اشتركت الجنود المصرية والجنود الانكليزية في سحق قوة التمايشي وامتلاك الخرطوم وام درمان واخضاع السودان وتدوينه . ووقع الحلاف بين انكلترا والولايات المتحدة على مسألة فنزويلا وكاد

يقع الحرب بينهما لولا ان فصل الخلاف بالتحكيم .
 وكانت مسألة النيجر هي مسألة الخلاف بين فرنسا وانكلترا على البلاد
 الواقعة وراء لاغوص فعمد لحاها مؤتمر وسوى الخلاف ثم جاءت حملة بوشان
 وتلتها حملة مرشان واحتلاله فشوده فعاد الخلاف بين المملكتين ثم عقدتا
 معاهدة اخيرة على تحديد املاك كل منهما في القارة الافريقية وبمقتضى هذه
 المعاهدة ايدت انكلترا حقوقها ونفوذها على وادي النيل كله من منبعه حتى
 مصبه .

وجملة القول ان ملك الانكايز كان في عهد سلسبري على تنور من
 حديد حى تحته الوطيس وتأجج . وبالرغم عن هذا وذلك فان انكلترا توخت
 الانفراد بنفسها بينما كانت اوربا متمالأة بالمتحالفين ومنقسمة بقوتها الى شطرين
 شطر تحالف الروس والفرنساويين . وشرط تحالف الالمان والاطليان
 والنساويين فعدت باعتزالها قوة ثالثة وقضت ثلاثة اعوام وهى في هذا
 الموقف تعزب شديد قوتها وعظيم سطوتها . ولم يكن لها في انفرادها وحياها
 سوى ثلاثة حلفاء امناء لم يخونوها ولم يتخلفوا عنها . وهم الزمن والمال والصبر
 « اليوبيل الالمانى »

والمدة التي ملكتها الملكة هي اطول مدة ذكرت في تاريخ انكلترا وكان
 جدها جورج الثالث قد بلغ اطول مدة ملكها ملك من ملوك الانكايز فانه
 ملك مدة ٥٩ سنة كاملة و٩٨ يوماً ومع ذلك فالعشرة سنين الاخيرة من
 ايامه توكل ابنه عنه فيها نظرا لبله اعتراه وقد ملك هنري الثالث على الانكايز
 ٥٦ سنة وملك ادوار الثالث ٥٠ سنة

وبلغ الامبراطور فرانسو جوزف (عند وضع هذا الكتاب) السنة الخامسة والاربعين للملكة ولكن اطول مدة عرفت عن ملك انما هي المدة التي ملكها لويس الرابع عشر ملك فرنسا من سنة ١٦٤٣ الى سنة ١٧١٥ اي مدة ٧٢ سنة وتوفي وله من العمر ٧٧ سنة مع ان سن الملكة فيكتوريا وصل الآن الى ٨٠ سنة . حياة طيبة كلها رغد ونعيم وسعادة وغبطة لنجاح شعبها وفي سنة ١٨٨٨ احتفل الانكليز وسائر الامم والطوائف المستظلة بحماية الاسد البريطاني بعيد حافل لمرور خمسين عاماً من يوم تبوئها اريكة المملكة الانكليزية فاستقبلوا ذلك اليوم رافعين الرؤوس واعدوا الحفلات الباهرة وضمنوها كل مظاهر العظمة والابهة مما علق في الازهان ولم يبرحها حتى مضت عشر سنوات فاحتفلوا بعيد آخر حافل في ٢١ يونيو سنة ٩٨ وهو اليوبيل الالماسي لمرور ٦٠ عاماً زاهراً باهراً من سني ملكها اعداد ايامه خيرات على الانكليز متتابعة الحلقات متسلسلة البركات مقفياً بامتداد السلطنة وواسع العظمة وقد اشترك في هذا الاحتفال سكان المستعمرات الانكليزية وارسلت دول الارض الى لوندرا الاصراء والوزراء والسفراء لينوبوا عنها في ابداء شعار التهناني والولاء

وقد ابتدأ الاحتفال في التاسع عشر من شهر يونيه وسار الموكب في انحاء العاصمة الانجليزية واقامت صباح الاحد الصلوة في الكنائس والمعابد ورفع الشعب برمته الشكر لله على ما تم له في هذه الستين سنة . وفي مساء الاثنين حضرت الملكة في قصر بكنهام الولىة التي أعدت للامراء والسفراء الذين حضروا من اطراف الارض لمشاركة الامة الانكليزية

بمظاهر هذا الاحتفال .

وما انشق فجر يوم الثلاثاء وهو يوم الاحتفال الرسمي حتى تفرقت رجال الضبط والربط في شوارع المدينة وطرقها وتقاطرت الجماهير المختلفة وازدحمت المناكب بالمناكب . وكان الاحتفال منقسماً الى قسمين موكب المستعمرات وفيه فرسانها ومندوبوها وموكب المملكة وفيه قواد الجيوش ونواب الدول والامراء واعضاء العائلة المالكة ثم مركبة الملكة تجرها ثمانية من الجياد وعن يمينها ولي عهدا ودوك كنوت وعن يسارها دوك كبير يدج وامامها زوجة ولي العهد والبرنسس كرستيان . يتقدم مركبتها اربعون اميراً على صهوات الجياد المطهمة بانقر الحلي والحلل

ولما سار الموكب في الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم المعهود اطلقت المدافع وصدحت الموسيقىات وارتفعت اصوات تلك الخلائق بالدعاء والتهليل حتى وصل ساحة تمبل بار فتقدم محافظ لوندرا ورفع لها التهنئة باسم المدينة ثم امتطى جواده وسار بين يديها وظل الموكب على مسيره والجموع تزدحم في كل المسالك والكوى والشرفات حتى وصل الى كنيسة ماري بولس حيث تقدم لاستقبالها رؤساء الاساقفة وكبار الملكة وربات المجد وعقيلات العلاء واقامت الصلوات وصدحت الموسيقىات وارتفعت اصوات الابتهاال والدعاء حتى وصلت الى عنان السماء .

وفي تلك الليلة زينت المدينة بالانوار المختلفة الالوان واستقبلت الملكة امراء الاساطيل واستعرضت امامها البوارج الحربية فكان منظرها في عرض التاميز مما ياخذ بالبصر وكان استعراضها اعظم ما جرى في هذا

الاحتفال الذي كان مشهوداً مشهوراً ادعت اليه أمم الشرق والغرب وعظماء الارض وكبرائها فقصت بهم ضفاف التاميز كما كانت ضفاف التير تعص قدماً بالنازلين عليها ليشاهدوا مجد رومه وعظمة القياصرة

ولم يكن ابتهاج الانكليز جميعهم بذلك العيد يقتصر على مولاتهم فقط بل كان ذلك راجعاً الى ازدهاء انفسهم وافتخارهم بما نالته دولتهم في هذه الستين سنة من امتداد السطوة والجاه وانما جعلوه باسم الملكة لانها راسهم الاعلى وهم الاعضاء العاملون .

« ارتقاء مملكتها في عهدها »

وقد شهد العالم اجمع انها استخدمت ملكها الطويل العهد لنفع امتها ما استطاعت الى النفع سبيلاً . تولت ملك الانكليز فتاة وهي بين حقوق الزوجية والامومة وعبء الملك والسلطة فلم تهن قرينة ولم تله والدته ولم تذهل ملكة عن مواجب حجة نحو شعبها . نبغ في عهدها افاضل الرجال في كل فن ومطلب فجعلوا الارثقاء سريعاً يشمل كل الاعمال والمعاملات الادبية والمادية .

فقد كان عدد الانكليز في الجزائر البريطانية حين جلست على سرير الملك نحو ٢٦ مليوناً فصار عددهم الآن نحو اربعين مليوناً وزادت مستعمراتهم في آسيا زيادة تقدر بمساحة الجزائر البريطانية نفسها وكذلك زادت في جنوب افريقيا وشرقها وفي انحاء الكرة زيادة عظيمة لا مثيل لها .

وكان دخل الحكومة الانكليزية منذ ستين سنة نحو ٧٥ مليون جنيه منها ٥٠ من بريطانيا و ٢٥ من المستعمرات فبلغ الآن ٢٠٠ مليون جنيه منها

١١٠ ملايين جنيه من بريطانيا والباقي من المستعمرات الكثيرة المنتشرة في العالم .

وكانت ثروة الانكايز تبلغ الالف مليون جنيه فوصلت الآن الى نصف وعشرة الاف مليون .

واتسع نطاق التجارة فزادت قيمة الصادرات والوارد زيادة غريبة فقد كانت في بدء حكمها اقل من ثمانية مليون جنيه فوصلت الآن الى ٨٠٠ مليون .

واتسع نطاق الصناعة فصار المستخرج من الفحم الحجري في السنة يصل ٢٠٠ مليون طن بعد ما كان ٢٠ مليوناً فقط . وصار المستخرج من الحديد يقرب من ١٣ مليون طن بعد ان كان لا يزيد عن مليون ونصف

كذلك اتسع نطاق المعارف وكثرت المدارس واقبل عليها الطلاب فصاروا يقدرون بستة ملايين بعد ما كانوا لا يزيدون عن نصف مليون وصار ما ينفق عليهم يزيد عن عشرة ملايين جنيه بعد ما كان لا يزيد على مليون واحد .

وقد حافظت انكرا على السيادة التي كانت لها على البحار قبل ولا تزال لان عمارتها اقوى العمارات رغماً عن سعي الدول الاوروبية في مناظرتها . فعندها الآن من الاساطيل الحربية العظيمة ما ليس لغيرها من الدول الاوروبية تحمي بها السفن التجارية والمستعمرات الكثيرة البعيدة متى تخرج الامر واقتضت الحاجة

وفي مدتها قام انصار الحق ويسروا على الوضع مجازاة الرفيع وعموما

الحرية والمساواة في كافة الانحاء التي يحقق فيها العلم البريطاني حتى صار
الناس يقصدون المستعمرات الانكليزية من جميع الاقطار للارتزاق او الاتجار
ولقد كان يتباهى الانكليز بعصر الملكة اليصابات واختها ماري اللتين
كانت ايام حكمها زاهية زاهرة . أما الآن وهم اوسع اهم العالم سلطاناً
وانفذهم كلمة واعرضهم جاهاً وامتنهم سياسةً واكثرهم دهاء واقواهم نهضةً في
الفنون والعلوم والصنائع والمعارف والاختراع فانهم يقولون : كم ترك الاول
للاخر . ولا غرو فان عصر الملكة فيكتوريا جامع لكل ما امتازت به
العصور الحالية من المزايا الادبية والمادية .

ساد الاسكندر وعظم القيصر واشهر نابوليون الاول ولكن لم يسد
احد منهم على ربع اهل الارض مثلاً ولا شيد سلطنة ضخمة لا تعرب
الشمس عنها مثل سلطانها « ولله ملك السموات والارض يعطي الملك من يشاء »



الحكومة الانكليزية شوروية دستورية يتولى زمام الاحكام فيها الملك او الملكة واليه مرجع الامر والنهي باشتراك نواب منتخبين من اعيان الامة واشرافها ومن اواسطها وعامتها ينوبون جميعهم عنها فيحكمونها برأيها لا برأيهم فتكون سلطة الجميع مرتبطة ببعضها تتمثل في مجلس البرلمان

اما الملك من حيث علاقته بالملك فان له حقوقاً معلومة من اهمها ان الملك ارثي في ذريته من البكر الى بكره وللانثى حق بتاج الملك ايضاً بشرط ان لا يكون لها اخ ذكر والا فهو احق به وان يكن اصغر منها سناً واذا انقرض من البيت المالك البنون والبنات فيكون الاقرب الى وراثة الملك الاخوة وابنائهم واذا لم يكن لهم ذكور فبناتهم على النمط السالف ذكره فمثلاً جلالة الملكة فيكتوريا تولت اريكة الملك سنة ١٨٣٧ بعد موت عمها وليم الرابع ملك انكلترا ولما لم يترك له خلفاً ولم يكن في العائلة ذكراً كانت هي اقرب الناس الى الملك فتولته وهي الآن (حين وضع هذا الكتاب) ملكة بريطانيا العظمى وامبراطورة الهند

والشعب لا يعتبر حق الارث للملك الهياً بل يعتبره خاضعاً لما يطرأ من ظروف الحوادث واحكام الشرع وهو قادر على خلع وتولية غيره كما كان في سنة ١٦٨٨ حيث التأم اعضاء البرلمان واستدعوا وليم اورانج بعد خلع جيمس الثاني ولقبوه ملكاً عليهم وسنوا له عدة قوانين أيدها واثبتها بصفته الملوكية

ولا يباح بالتاج للملك الا اذا كان بروتستنتي المذهب واقسم عند تتويجه ومبايعته بالملك انه يصون شرائع البلاد ويؤيد حقوق الرعايا كما يقسم احد رعاياه عند توظيفه بمنصب خطير في وظيفة ادارية او قضائية

وللملك امتيازات كثيرة منها ان الاحكام لا تصدر الا باسمه ويقال في طليعة او امره الرسمية فلان بنعمة الله ملك المملكة المتحدة من بريطانيا العظمى وايرلاندا وامبراطور الهند وحامي حمي الدين الخ) وللملك حق الرئاسة على الكنيسة الانكليزية وتوظيف مناصبها كما يوظف المناصب السياسية وهو القائد العام لجيوش بلاده يؤتي الوظائف العسكرية براً وبحراً من يراه اهلاً ويخص بالرتب السنية والالقاب الشريفة من شاء .

وله حق العفو عن ذوي الجنايات بصفته قاضي القضاة وباسمه تقخ الاعمال العظيمة وتجدد الاسواق وتعين الموازين والمكايل وتضرب النقود الذهبية والفضية وهو قادر على فتح الحرب او تقرير الصلح ورفض ما يبرمه البرلمان بما يختص بحقوقه الشخصية وله على البلاد راتب عظيم يليق بمقامه الملوكي وهو اعلى مقاماً من القانون يقال عنه انه لا يخطئ لانه لا يفعل شيئاً بدون مشورة وزرائه فهم المطالبون لدى الامة عما يصدر عنه من الاوامر واذا اتى امراً مخالفاً فانهم يستعفون حالا من مناصبهم فتعظم في مثل هذه الظروف مكانتهم في قلوب الشعب

ولولي العهد حق بايدي من يوم ولادته بامير والس وان يلتب باللقاب اخرى كثيرة (تراها في ترجمة حياة البرنس اوف وياس) وولية العهد اذا تزوجت لا يكون لزوجها حق في الملك كيلا تكون مقيدة باماله

ورغائبه

اما مجلس الاعيان او اللوردة والاشراف ويبلغ عدد اعضاءه نحو ٥٥٠ عضواً فيؤلف من العلماء الروحانيين رؤساء الكنيسة الاسقفية الانكليزية واعضاء العائلة الملكية وسائر لوردات انكلترا من مواليد الشرف الذين يرثونه وراثته او يرتقون له بالاستحقاق بعد الجهد الجميل في خدمة البلاد ومن ١٧ لورداً من اسكوتلاندا ينتخبهم نبلاء الاسكوتلانديون في كل سنة ومن ٣٢ لورداً من ايرلاندا ينتخبهم اشراف الجزيرة للنيابة عنهم في مدى حياتهم .

ومن اهم مبادئ مجلس الاعيان البقاء على النظم الحالية والسير بمقتضاها في داخلية البلاد ومساعدة كل ما يوطد دعائمها في خارجيتها وعدم تغيير شيء مما الا ما تمس اليه الحاجة ولذلك اطلق على اعضاءه اسم حزب المحافظين وينضم اليه من حيث المبادئ والآراء حزب آخر يعني ان تبقى ايرلاندا تابعة للمملكة الانكليزية وان لا تنال شيئاً من انواع الاستقلال ولذلك اطلق عليه وعلى حزب المحافظين لقب حزب الاتحاد

ولهؤلاء المحافظين امتيازات عديدة اهمها ان كل مقاطعة حاكمها من لورداتها وليس للملك حق لان يجردها احداً منهم من الالقاب الشريفة او يعزله من وظيفة العضوية او يسجنه لاية علة كانت ولهم ايضاً حق المراقبة على القوانين واتخاذ ما شاؤوا من الاجراءات القانونية ما عدا تعيين الضرائب وتعديل العوائد متى احتاج الحال الى ذلك . ولا يصدر عن الحكومة امر وينفذ بدون رضاه واقاراره ويحكم في قضايا الاشراف وعلى من يوقفه مجلس العموم وهو يعتبر كمحكمة عليا لجميع محاكم المملكة

اما مجلس العموم او النواب فانه مؤلف من وكلاء الامة ويبلغ عددهم نحو ٦٧٠ عضواً منهم ١٠٦ من ايرلاندا و ٥١ من اسكوتلاندا و ٩ من المدارس العالية وهم ينتخبون من اساتذة الفنون وباقي الاعضاء من انكلترا و شرط المصو ان يكون وحيماً غير محكوم عليه بما يشين العرض ذا دخل من املاك في المملكة يؤخذ عليها رسماً معلوماً او يكون مستأجراً لمنزل يدفع عليه منذ سنة قبل تاريخ الانتخاب مقداراً معلوماً من المال ويجب ايضاً ان يبلغ من العمر قبل انتخابه في احد المجلسين ٢١ سنة وان يحلف يمين الطاعة للملكة والعمل بشريعة بلاده وان يكون انكليزياً

ومن مبادئ نواب الامة او الاحرار تغيير النظمات القديمة تبعاً للاحوال الحاضرة ومنح الاستقلال لاييرلاندا وفصلها عن الحكومة الانكليزية وفصل الكنيسة الاسقفية عنها ايضاً ومحو سلطة الاشراف والغاء مجلسهم او تعديل هيئته ونظامه

وينطوي تحت هذا الحزب فئة ليس لها رئيس وانما لها زعماء مشهورون واكثرهم من الاسكوتلانديين وسكان بلاد الغال وهم شديدو التطرف في بعض مطالبهم تيمم الكون في سبيل الحرية والمساواة ويبغون انالهما لكل دولة او امة خاضعة لسيطرة انكلترا تروم الاستقلال بامورها وشؤونها ولهذا كانت العداوة قائمة في صدورهم ضد اللوردات والاشراف .

ومن حزب الاحرار ايضاً حزب العمال وهم الذين لا ينتصرون لهم الا فيما يوافق اغراضهم ومثلهم حزب الايرلنديين (اي نواب ايرلاندا) الذين يبغون استقلال بلادهم وانفصالهم عن انكلترا فيضادون كل وزارة لا توافقهم

على مطالبهم ويقترون مع الاحرار .

وقد اشتهر من حزب الاحرار ايام وضع هذا الكتاب بعض الاشراف الذين يرون رأيهم فيوافقونهم في مطالبهم وذلك كغلاستون وروزبري والسير ولیم هار كورت وهذا ما اعلى مكاتبتهم في اعين الانكليز ومن حقوق الاحرار وامتيازاتهم تقرير الضرائب للحكومة لان ما يصرف للحكومة هو من مال الامة ومن العدل ان يكون لوكلاءها حق النظر في ذلك قبل غيرهم

ثم ان من الاصول المتبعة بين المجلسين انه اذا بحث احدهما في امر واقتر عليه يرسله الى المجلس الآخر فان غير به شيئاً اعيد الى المجلس الاول للاقرار على هذا التغيير ثم ارسل للملك للتصديق عليه فاذا رفضه عد لاغياً وان لم يتفق المجلسان بطل أيضاً المشروع وادرج في خبر كان

وقد نشأ حزب المحافظين والاحرار في عهد حكم الملك تشارلس الثاني سنة ١٨٨٠ لمقاصد دينية واميال طائفية ثم تحولوا الى مقاصد سياسية واغراض وطنية وكانا يسميان حزب الطوري وحزب الولك واللفظتان وضعتا في الاصل للاهانة والتحقير وقد اتسختا وقام مقامهما الاسمان الشهيران بحزب المحافظين وحزب الاحرار

ولاريب بان مجلس البرلمان الذي يضم هذين الحزبين مظهر تجليات الامة الانكليزية بأسرها بل ان تقدمها آل اليها من اعمالهما وما من شيء في الدنيا اعاق في الذهن واباغ في الدلالة على دقائق السياسة مثل المذاكرات التي تقع فيه من حين الى آخره ولكل عضو حق الكلام فتبلغ حرية الجدل الحد بشرط ان

لا تختلج حدود الادب

وتحصل الانتخابات الانكازية مرة في كل ستة اعوام واذا وقع قبل ذلك خلاف بين الحزبين في بعض الامور فيفيض الملك المجلس ويعلن للامة رغبته في انتخاب اعضاء آخرين ينوبون عنها ويكون لهذا الانتخاب ايام مشهودة فتقوم اذ ذاك قيامة الجرائد وتنبث خطباء الطرفين في انحاء المملكة فلا يكاد يلقى زعيم خطاباً حتى يعلو المنابر زعيم آخر مندداً بما قاله ذلك زاعماً ان حزبه هو الحق فيما يأتيه وتكثر الاجتماعات وتطول المفاوضات في الامور المختلف عليها وهكذا حتى يتم الفوز لاحد الحزبين ويجتذب الاضعف اليه فينصاع لمبادئه التي قررها طوعاً او كرهاً ويتم وقتئذ الانتخاب ويجتمع النواب في نادي البرلمان في لوندن فاذا كانت الوزارة من مبادئ الحزب المنتصر بقيت على حالها والا استعفت فيكلف قائد المجلس بناءً على طلب الملك بتشكيل وزارة جديدة تظل تحت مراقبة البرلمان وهالك بيانها

رئيس الوزارة

١	رئيس مجلس الشورى الخاص	٨	وزير المستعمرات
٢	المستشار القضائي	٩	وزير الحربية
٣	المهردار او امين الختم	١٠	وزير الهند
٤	مستشار ولاية لانكاستر	١١	وزير البحرية
٥	وزير المالية	١٢	ناظر الحزب
٦	وزير الداخلية	١٣	وزير التجارة
٧	وزير الخارجية	١٤	رئيس مجلس الحكومة المحلية

١٥	حكم دار ايرلندا	٢٠	ناظر البريد
١٦	مستشار وزارة ايرلندا	٢١	وزير ايرلندا
١٧	وزير اسكوتلندا	٢٢	وزير المعارف
١٨	وزير الاشغال العمومية	٢٣	وكيل وزارة الخارجية
١٩	وزير الزراعة	٢٤	النائب العمومي
ويبلغ راتب الوزير الانكليزي في العام خمسة آلاف جنيه			

دين انكلترا ودخلها وصرفها

Egland's Debt. Its Income and Expenditure

ان المالك كلها مدينة بديون عظيمة فادحة بلغت الدرجة القصوى في هذه السنين الاخيرة

يبلغ مجموع ديونها (عند وضع هذا الكتاب) ما يزيد على ٤٧٥٠ مليوناً من الليرات فاذا وزع هذا الدين على عدد النفوس كان كل آدمي على وجه الارض مديوناً بنحو ٣ ليرات

وما نشأ هذه الديون متنوع والحظ الاوفر منها للحاجات العسكرية فقد تضطر الدولة المحاربة الى الاستدانة اما لشراء المهمات الحربية والذخائر والعدد والآلات لادارة ربحي الحرب او لدفع التمويضات والخسائر والغرامات الحربية ان دارت عليها الدائرة ولم يتيسر لماليتها دفع اللازم لسد تلك المطالب قال بعض المؤلفين :

وهذا الدين على الدول هو من قبيل لجام للرعية يكبحهم عن المعامع والفتن فان الدائنين الذين هم بالضرورة وجوه اهل البلاد واغنياؤهم لا يرضون بانقلاب الدول مخافة ان يؤول الحكم الى الرعاع فيحرموا منه . ومعلوم ان غنى الدولة يكون من غنى رعيها وسعادتها من سعادتهم فدينهم مأمون لهم يأخذون قأدته مادامت الدولة قائمة

ودين انكترا (نقلا عن جريدة الفيجارو الشهيرة) يبلغ ٤١ مليارا وخمسة مليون من الفرنكات (وهو اكبر من دين الحكومة المصرية ١٦ مرة) الا انه يدخل في هذا العدد دين الاقطار الهندية والمستعمرات الانكليزية ويبلغ وحده خمسة وعشرين مليارا وهي تسد ديونها في كل عام وقد وجد ان الدفعات السنوية التي تدفعها هذه الحكومة لدين بريطانيا وايرلندا البالغ ١٦ مليارا و ٥٠٤ مليوناً من الفرنكات وصل الى ٦٢٤ مليوناً من الفرنكات وقد بلغ مجرع الدين الذي تسدد من ديون المملكة في عهد جلالة الملكة فيكتوريا نيف ومائة مليون جنيه فالدين الانكليزي ينقص نقصاً واجباً في كل عام .

ودين الجمهورية الفرنسية يبلغ ٣٠ مليارا و ٤٨١ مليوناً من الفرنكات تقريبا .

واما دخل انكترا فهو من بريطانيا العظمى وايرلندا لا دخل لبقية املاك انكترا فيه وهي لا تأخذ مالا من مستعمراتها الواسعة الشاسعة ولا تضرب عليها الجزية وانما تضطر غالباً لان تنفق الاموال الكثيرة في سبيل فتحها واستعمارها وتنظيمها وتمدينها بعد خلوها وهمجيتها حتى تمكنها من حكم

نفسها بنفسها. فكم من قناطير مقلطة صرفتها للاستيلاء على البلاد الهندية
وغيرها. وكم من اموال بذلتها لزيادة عمارتها وتقويتها بغية حفظ مستعمراتها
لرواج تجارتها.

ويقرب مجموع دخلها في العام لوحدها ما عدا املاكها ومستعمراتها
١١٠ مليون جنيه

من رسوم الجمارك	نحو ٢٠ مليون جنيه
ومن رسوم اوراق التركات والوفيات	» ١٥ »
والزواج والتسجيل والعقود وما يشبه ذلك	» »
ومن ضرائب الاملاك والايراد	» ١٣ »
» مصلحة البوستان	» ١١ »
» » التلغراف	» ٣ »
» ضرائب المسكرات والدخان	» ٨ »
» التمتع بالحرف	» ٣٨ »

ومما هو حري بالذكر ان ما تحصيله انكثرا من الرسوم الجمركية قليل
جداً بالنسبة الى ما تحصيله بقية الدول الأوروبية والسبب في ذلك انها لا تضرب
رسوماً على الواردات الداخلة بلادها الا اذا كانت من المسكرات او ادوات
الترف وكل ما كُول او مشروب او ملبوس (ما خلا الشاي والقهوة ونحوهما)
واعظم موارد ثروتها تجمعها من ضرائب الخمر والمسكرات اما ضريبة
الايراد فلا تفرضها الا على الذين يزيد ايرادهم عن ٤٠٠ جنيه في العام وهي
قابلة لازيادة كلما حصل في الميزانية نقص.

على ان دخل هذه الدولة اقل من دخل غيرها من الدول العظمى مثل فرنسا التي يزيد دخلها عن ١٥٣ مليون جنيه والروسيا التي يقدر دخلها بنيف ١٤٠ مليون جنيه

فان كثرتا لا تجمع الا ما يلزم لنفقات حكومتها وما كان على قدر حاجتها فان شاءت زيادته زادته من مال الاغنياء بدون ان تمس المعوزين بسوء . وقل ان يخلو دخلها من زيادة عن المنصرف مع ما تسده من ديونها واما فرنسا فقلما يمضي عليها عام من غير عجز في ميزانيتها ومثلها روسيا وما ذلك الا لكون مصاريفها اكثر من ايرادهما فديونهما تزداد كل عام

وتدفع انكلترا نحو ٢٥ مليون جنيه كل عام ربا ديونها وروسيا نحو ٤٠ مليوناً وفرنسا نحو ٥٠ مليوناً وإيطاليا ١٨ مليوناً ومصر نحو ٥ ملايين والمانيا نحو مليون وربع فقط

واذا وضعت انكلترا الضرائب على الايراد فيمكنها تسد عجز الميزانية من فضل الموسرين فقط ولان مدينة لوندن وحدها تدفع نصف الضرائب في العام ومصاريف الحكومة الانكليزية متنوعة اهمها ٢١ مليون جنيه تنفق على الجيش بفروعه و ١٦ مليون ونصف تنفق على البحارة و ٢٩ مليون جنيه تنفق على دوائر الحكومة واعمالها الاميرية و ٤ ملايين جنيه للمحاكم والبوليس ومستشفيات المجانين ومصاريف التسجيل والعقود ورواتب العمال ثم ٩ ملايين تنفق على العلم والمعارف يخصص منها ٥٠ الف جنيه للمتحف البريطاني الشهير ثم ستمائة الف جنيه لمعارض الفنون الجميلة و ٢٤٠ الف جنيه لسفراء الحكومة ووكلائها ونفقات مساكنهم وما يتبع ذلك من المصاريف

الكثيرة ونحو ٥٧ الف جنيه لالغاء التجارة بالرقيق ونحو ١٣٠ الفاً اعانة لبعض مستعمراتها واملاكها التي لا يفي ايرادها بنفقات حكومتها وزهاء ٥٠ الفاً لاعانة الشركات التلغرافية ونحو ١٣٠ الفاً لجمعيات العلماء الباحثين . ثم ستمائة الف جنيه لراتب الملكة وافراد عائلتها ونفقات اهل بلاطها ورجال بطانتها . وتبلغ قيمة الصادرات من انكلترا ٤٠٠ مليوناً من الجنيهات والوارد اليها ٤٨٠ مليوناً . فهذا هو اهم ما يهتم معرفته من دين انكلترا ودخلها وصرفها مما اوصلها الى درجة الثروة والشوكة والعمران الممتعه بها الآن

قوة انكلترا البحرية

Navy

توسع انكلترا في الغزو والاستعمار يقضي عليها بان تكون سلطنة البحار ذلك لان مستعمراتها واملاكها العديدة التي لا تغيب الشمس عنها تدعوها الى تمام التيقظ ودوام الحذر . فهي تعلم ان الدول جمعاء كبيرها وصغيرها تعبثها على هذا الملك الواسع بل وتحسد عليها وتود لو يكون لها بعض ما لانكلترا من الممالك والاقطار لتستغل خيرها وارزاقها وثروتها وترسل اليها ابناءها لاستثمار ارضها والاستئثار بمتاجرها وبسط نفوذها وسلطانها عليها وانكلترا تعلم ذلك ولذا تراها شديدة الحرص على املاكها وابقاءها تحت سيطرتها فان لها من الاساطيل البحرية ما هو كاف لحفظها من خطر يداها او عدو يفاجئها فلا يخلو بحر او شاطئ من سفنها الحربية وبوارجها تنخر عباب البحار لا تترك مكاناً الا وتحمل فيه ووراءها من معدات الحرب والدفاع ما بنى العالم ان في تلك البوارج من آلات الدمار ما يدك الحصون الضخمة

ويدمر الرواسي العظيمة .

والانكايز خيرون في خوض البحار من قديم الزمان وقد وصفهم احد كتاب الرومانيين لما طرقتوا جزيرتهم بانهم يسبحون في الماء كالاسماك ويتمتعون بالبحر كأنه لهم مهد نشأوا وربوا في حجره فولعوا به حتى تملكوه مع تلاميذ الايام .

ولا يخفى ان الاساطيل الانكازية كانت في حروب دائمة مع فرنسا واسبانيا وهولاندا والدانمرك واسوج . وأشهر الوقائع التي فازت بها انتصارها على ارمادا اسبانيا التي كانت مؤلفة من ١٣٠ بارجة حربية وبوارج اخرى لنقل المهمات ثم فازت في واقعة ابي فير و ترافالغار وكوبنهاغن وسنت فالسان وغيرها .

وفي انكلترا معامل كثيرة لانشاء السفن البحرية الحربية والتجارية ومدارس عديدة منها مدرسة كرينوش التي ربي فيها نلسن وبنيت هذه المدرسة في هذه المدينة تذكراً للواقعة الحربية البحرية التي انتصر فيها الاسطول الانكازي تحت قيادة الاميرال رسل على الاسطول الفرنسي الكبير الذي قدم انكلترا لافتتاحها .

وانكلترا لا تزال تدأب على بذل النفقات الباهظة في انشاء البواخر العظيمة والسفن الحربية الى ما لا نهاية فقد بلغت ميزانيتها السنوية عن عام ١٨٩٨ (٢٦٥٩٤٥٠٠) جنيه اي ٧٦٠ مليون فرنك ولم تبلغ ميزانية الحكومة في وقت من الاوقات ما بلغت اليوم ففي عام ٨٦ كانت ١٣ مليون جنيه . ومن سنة ٩٥ زادت هذه الميزانية من ١٥ مليوناً الى ٢٧ اي ضوعفت .

وذلك لما رأيت ان الدول كلها تهتم في بحريتها فاهتمت بان تجعل عدد سفنها اكبر واعظم السفن .

وقد بنت في مدة عشرة سنوات اثنتى عشرة بارجة محمول كل بارجة منها خمسة عشر الف طن وسرعتها ١٨ ميلاً بحرياً في الساعه ويمكنها ان تقيم في عرض البحر مها كان النوء شديداً ولا تضطر ان تلتجأ الى مرفاء . وليس في اساطيل الدول الاوروبية والاميركية كلها ست بوارج مثل هذه . ومدافعها من احدث المدافع المصنوعة من اسلاك الفولاذ وثقل المدفع منها ٤٦ طناً وثقل قبلته ٨٥٠ رطلاً اذا اصاب حائطاً من الفولاذ سمكه متر خرقة كما تحرق الرصاصة لوح الخشب الرقيق

وقد وضعت في سنة ١٨٩٥ باخرة هي الآن اسرع البواخر لا تلاف قوارب الطوربيد تسير في البحر ٣٣ ميلاً بحرياً ولها قوة ٣٣٠٠ حصان .

والطوربيد من اختراعات الاجيال الماضية استعمله اولاً الاميركان في حروبهم الاهلية ثم اخذته عنهم بقية الدول وحسنته وازادت اليه استعمال الكهربائية وهو عبارة عن وعاء تحت الماء بحجم قارب فيه مواد متفرقة فاذا قرب الى بارجة واشعلت المواد تفرقت حالاً ودصرت البارجة وتستعمل هذه الآلة الجذمية في تحصين المرافئ وفي الهجوم على الاعداء وكانوا قبلاً يرمون المواد من ظهر البارجة اما اليوم فيرسلونها تحت الماء وقد اخترعت وسائل كثيرة لحماية البوارج من التوربيد منها وضع شباك حول البارجة حتى لا يدنو منها شيء والتوربيد يزيد قوة بتقديم العلوم الطبيعية وباكتشاف المواد الملهبة .

وقد امتازت سنة ١٨٩٨ بزيادة ما بني فيها من السفن الحربية والتجارية فقد بني في مدى هذه السنة ٨٠٢ سفينة منها ٧٦١ تجارية وحولتها ١٣٧٧٥٧٠ طناً و ٤١ سفينة حربية حولتها ١٩١٥٥٥ طناً . ومن هذه السفن التجارية ٧٤٤ حولتها ١٣٦٣٣١٨ و ١٧ سفينة شراعية حولتها ٤٢٥٢ طناً فقط .

ومن هذه السفن اجمعها ٦١٤ سفينة للانكايز والايرونديين والاسكتلانديين و ١٢ للمستعمرات الانكليزية والباقي لدول اجنبية فيتضح من ذلك ان ما بني في انكيترا وحدها في بحر هذه السنة يزيد عن ما بني في العالم اجمع بكثير .

ولدى انكيترا اكبر باخرة فخرت عباب البحر الى الآن وهي باخرة اوشانيك طولها ٢٠٩ متر وعرضها ٢٠٫٧٥ وعُمقها ١٥ متر وحولتها ٢٨٥٠٠ طن وبها مخادع تسع ٤١٠ مسافرين من الدرجة الاولى و ٣٠٠ من الثانية والـ ٣٠٠ من الثالثة وذلك بخلاف مستخدميهما البالغ قدرهم ٣٥٠ . وهي تسافر بين انكيترا وامريكا فتقطع المسافة في ٦ ايام فقط

هذا وعند انكيترا ما عدا بوارجها الكثيرة : السفن البخارية العديدة ومراكبها التجارية التي تحميها بالمدرعات والطرادات الكثيرة وتحولها الى بوارج حربية اذا مست الحاجة . ولديها اسطول سيّار شرعت في انشاء هذه السنين الاخيرة وكانت تشتغل (عند وضع هذا الكتاب) بالبناء السفن التي يسهل مرورها بقنال السويس بسرعة ٣ ميل في الساعة

ويبلغ عدد جيشها البحري ٩٥ الف جندي وهي تنوي بان تجعله (١١٠٦٥٠) كل ذلك لتحفظ لنفسها السيادة على البحر فيقوى اسطولها على

اساطيل كل الدول وتخطيطها اذا اجتمعت عليها. « فانَّ من ملك البحر ملك تجارة العالم ومن ملك تجارة العالم ملك ثروته وبالتالي العالم نفسه »

﴿ جيش انكلترا ﴾

ويبلغ عدد جيش انكلترا العامل ٢٢٢٣٧٥ والاحتياطي ٧٨٧٩٨ والرديف ١٠٧٧٥٣ ومجموع الكل ٤٠٨٩٢٦

الزراعة

Agriculture

مثل الزراعة بانكلترا اليوم مثل عود اعتوره زواء وذبول اثر هبوب ريح سموم بعد ان كان اخضر زاهياً زاهراً وذلك لان الزراعة كانت بانكلترا في القرن الثامن عشر موضوع اهتمام الامة الانكليزية باسرها وكان لها من رجال الدولة وولاة امور الحكومة نصراء عديدون ساعدوا كثيراً في تمهيد سبلها الوعرة ففتحوا للزراع ابواباً وذلّلوا لهم المصاعب حتى امسى الفلاح الانكليزي اسعد حظاً واهناً بالاً وارغد عيشاً من فلاحي الاقطار الأخر

ولما اقبل القرن التاسع عشر هبت ريح عاصفة على ذلك العود الذي يمثل الزراعة الانكليزية فاذواه واجفه بعد ان كان ليناً خضلاً وما تلك الريح الا واقعة واترلو الشهيرة التي كانت ضربة قاضية على شوكة الامة الفرنسية والزراعة الانكليزية لانه عقب ان استتب الامن والسلام في اوربا ونفي نابليون الاول في جزيرة سانت هيلانه هبطت اسعار المحصولات الانكليزية هبوطاً افلاس مزارعيها فلجأوا الى بيع ما عندهم والاستدانة لدفع ديونهم

وبذلك على ضئلك الفلاح الانكليزي وشدة حاله بعد الرخاء نقصان عدد الزراع بها فقد دلّ الاحصاء ان عددهم بلغ في سنة ١٨٩٠ ٣٣٣٧٣٣٣٣ نفساً وقد كان عددهم ضعف ذلك قبل هذه السنة بمائة عام وكذلك اذا استخراجنا نسبة زراع انكلترا لعدد سكانها في سنتي سنة ١٧٩٠ وسنة ١٨٩٠ تظهر لك حقيقة ما تقدم باجلى مظهر ففي سنة ١٧٩٠ كان عدد الزراع خمس سكان انكلترا واخذ في التناقص والقلّة حتى هبط في سنة ١٨٩٠ الى جزؤ من خمسة وعشرين جزؤاً

ومما بعث الزارع الانكليزي على ان يهجر الفلاحة ويلجأ الى غيرها من الصنائع والحرف زيادة اجور الارض ونقصان كراء الفلاح فمن سنة ١٨٥٤ الى سنة ١٨٧٩ زادت قيمة ايجار الارض اكثر من الربع في المائة وكذلك كراء الفلاح انخفض انخفاضاً فاحشاً من سنة ١٧٥٠ الى سنة ١٨٥٠ والمزارع تشغل مساحة عظيمة من ارض انكلترا الا انها لا تثبت من المزروعات سوى ما يفي بحاجة الثلث من سكانها وقد قدرها اولو الدراية والخبرة اخيراً فوجدت انها على نسبة ٨٠ في المائة من السطح الكلي لها وتليها مزارع ايرلاندا فبلاد الغال فايقوسيا

اما مزارع الاولى فنسبتها من السطح الارض الكلي تبلغ ٧٤ في المائة والانيه ستون والثالثة ٢٨ فقط

وزراعة الغلال والبطاطس تشغل اربعة عشر مايوناً كراً (والاكريساوي ٤٠ آر ونصف والاكريساوي مائة متر مربع) للقمح منها مليونان وستمائة الف وللشعير مليونان وثلاثمائة الف وللجويدار ثلاث ملايين ولاكتان ١١٨ الفاً

منها ١١٣ ألفاً بايرلانده ولحشيشه الدينار (الزرع الذي تعمل منه البيرا) ٦٥ ألفاً وتشغل المروج الصناعيه ستة ملايين اكر ومسطح ما للمراعي خمسة وثمانون مليوناً

وكان بانكلترا اجمات كثيرة متسعة الا ان ايدي التلف عبثت بها ولم تبقى منها غير اثني عشرة اجمة اشهرها اجمات ها مشير (اي الاجمة الجديدة) وجلوسستر وثروود (نوتنجهام) واشهر اشجار هذه الاجمات البلوط والهور والدودار والبقس وغير ذلك .

اما بالنظر الى تربة ارض انكلترا فانها تعلو على الوسط وبمقارنتها بارض فرنسا نجد انها تفوقها جودة وخصوبة فقد ورد في كتاب احد مشاهير رجال فرنسا المسيو ليونس دولا قرن معدل ما يكسبه الاكار الانكليزي من الهكتار الواحد يبلغ مائتي فرنك (٢٠٠) وان معدل ما يكسبه الفلاح الفرنسي من المساحة نفسها لا يزيد عن مائة نفس فرنك

وروي ايضاً ان معدل ما ينتجه الهكتار الواحد من الارض الفرنسية لا يزيد عن ١٢ او ١٣ هيكتولترا من الغلال بخلاف الارض الانكليزية فان الهكتار منها تنتج من ٢٤ الى ٢٥ هيكتولترا اذا اعتنى الفلاح بتسميده واجاد في فلاحته .

Mineral Wealth Factories and manufactured Goods

امتازت بريطانيا العظمى عن سائر البلاد الاوروبية بصناعاتها العظيمة وبمحصولاتها المعدنية لان الاحصاءات السنوية دلت افصح دلالة على ان كمية المعادن والفحم التي تصدرها تفوق بكثير ما تصدره غيرها من البلاد الاوروبية . وقد شوهد ان اكثر البلاد ثراءً فيما تواريه اراضيها من الاموال الطبيعية بلاد الصين لان الصين مع اتساعها الهائل قد حوت من المعادن والخيرات ما لا يستطيع يراع الكاتب وصفه ولا حصره ولا سيما وان ارضها غدراء لم تعبت بها ايدي التلف وبلي الصين في كثرة الاموال الارضية الولايات المتحدة الاميركية وبعدها البلاد الهندية ثم بريطانيا العظمى

واشهر مستخرجات انكلترا الفحم الحجري والحديد والرصاص والقصدير والنحاس والملح غير ان اقل وانفع سائر المعادن للانكليز من المعادن النفيسة الحديد والفحم اذ لولاها لم يتأت لهم انشاء البواخر والسكك الحديدية وغير ذلك . وليس كل البلاد التي فيها معادن الذهب والفضة اقل من غيرها فان من المعادن ما تقوم نفقة استخراجها بفائدته فلا يحصل منه نفع الا مجرد الافتخار بوجوده وانما العمدة على سهولته وانشاؤه وقلة مصروفه فالحديد مثلاً يسهل صنعه في تلك البلاد لما أحدث فيها من افران الهواء بواسطة لهيب النار المنبث من فحم الخبز فيحمى بها وهو تبر ثم يصنى ويجعل قضباناً مسبوكة من دون فحم ولا مطرقة وبالجلة فالحديد والفحم يشغلان المرتبة الاولى من مستخرجات البلاد وتشغل مناجمها مساحة تبلغ ٢٣ الف كيلو متر وفيها يشتغل

ما ينف على الخمسة الف عامل ويزيد محصولها السنوي على المليارين من
الفرنكات . ومعادن الفحم ليست منحصرة في بقعة واحدة من بريطانيا العظمى
بل هي متفرقة في انحاء المملكة وبلغ عددها نحو ٣٨٠٠ ممحلاً ويفاخر بها الانكليز
ويفضلونها على كل ما لهم من الاملاك الواسعة والمستعمرات الكثيرة الشاسعة
وقد قال احد مؤلفي الانكليز بهذا الصدد : رأيت ذات يوم وانا على شاطئ
نهر التين ثلثائة سفينة سارت في آن واحد لجهات مختلفة من المعمورة تحمل
الاماس الاسود اعني الفحم الحجري . فقلت لمن بجاني ان هذه السفن بما تحمله
لاعظم قيمة ونفماً مما لو كانت حاملة ذهب او ستراليا او فضة مكسيكا او الماس
حكومة الراس . ولا عجب فيما قال هذا المؤلف لانه لولا الفحم لما قامت
للصناعة قائمة فهو من اعظم مصادر ثروة البلاد .

واشهر المناجم الفحمية هي منجم نورثمبرلند في شمال انكلترا يصدر ما يستخرج
منه بواسطة ثرنيوكاسل الشهير ومنجم لانكشير حوالي ليقربول ومنشستر
وبلاك كاتري او البلاد السوداء وهي عبارة عن اقليم بوركشير وستافوردشير
وقد سميت كذلك لان ما فيها من الفحم يجعلها على الدوام سوداء مظلمة ثم مدن
جنوب بلاد الغال التي تصدر المستخرج منها بواسطة ثغر كارديف ويقدر
ان الموجود من الفحم في بلاد الغال يكفي بحاجة الصناعة الانكليزية على نسبة
المقدار الذي يصرف منه الآن

اما مقدار ما استخرج من هذه المناجم في سنة ١٨٧٣ فيبلغ ١٢٧ مليون
طن وبعد ذلك زاد المقدار الى ١٣٣ مليون طن وفي سنة ١٨٨٠ وصل الى ١٤٦
مليوناً وبلغ ١٦٢ مليوناً في سنة ١٨٨٧ وبلغ الصادر منه في تلك السنة ٢٤

مليون ونصف تقريباً . و يبلغ الآن مقدار الخارج من هذه المعادن سنوياً
 ١٩٠ مليون طن وهو مقدار ما يخرج من ممالك الارض اجمع
 اما الحديد الذي يصدق عليه ان يسمى جوهر الجواهر فقد كان يجلب
 الانكليز جلّ لوازمهم من المصنوع منه قبل سنة ١٧٨٣ من سواحل بحر
 البتانيك اما الآن فهم يصدرون منه الى الخارج اكثر بكثير مما كانوا يفتقرون
 الى جلبه سابقاً من البلاد الاجنبية ففي سنة ١٧٤٠ كان بريطانيا العظمى ٩٠
 فرنساً عالياً لعمل الحديد لو كان الخارج منها ١٧ الف طونولاته وفي سنة ١٨٠٨
 زاد الى ٢٠٠ الف طن ولبث يزيد مقدار المستخرج منه وتزيد الحاجة اليه
 حتى بلغ الآن عدد الافران العاليه ٨٠٠ فرنساً وبلغ مقدار الخارج منها ١٣
 مليون طن

اما المدن التي تصطنع الادوات الحديدية والجوارح والاسلحة البيضاء والآلات
 الزراعية والقضبان والنوافذ الحديدية والآلات النارية هي :

شفيلد . برمنغهام . لوندرا . برزلي . ولشرهامبتون . ميدلسبورج .
 بارواين فورنس . ديدلي . روترهام . شروزبري . صريريدفيل .

والحلي

مدن : شفيلد . برمنغهام . لوندرا

والخزف

مدن : برسلم . لونجتون . نيوكاسل . ستوك ابون ترانت
 بريستول . جلاسكو .

وللزجاج

مدن : لوندرا برمنغهام ستوبريدج بريستول . جلاسكو
 واشتهرت ايضاً مدينة ليدس ومدينة وبرا فورد بصناعة الجوخ ومدينة
 كوفتري بصناعة الساعات . ونيوكاسل بمحصولاتها الكيماوية ومدينة لوندرا
 بزيتها وشمعها . وليثربول بصابونها وجلودها وشستر بجبنها ونوتهاام بكشاكشا
 وقد اختلفت منشستر . ليثربول . اولدهام . بولتون . بلاكبورن .
 بريستون . روشدل . وجلاسكو . بري . ستوكبور . اختلفت بصناعة القطن
 ونسجه

واما المدن التي اختلفت بصناعة الصوف فهي
 ليدس . هاليفكس . برادفورد . هيدرزفيلد . كندال . فروم . ستروود .
 كولشستر . نوريش . نوتهاام . غلوشستر . ليسستر . جلاسكو . برث
 ويصطنع الكتان في مدن
 وارنجتون . ليدس . برزلي . اكستر . لينبرن يوري بلقاست .
 موناجان . دروجدان . جلوي . دوبلين . جلاسكو . دند . برلي . مونتروز
 ويصطنع الحرير في مدن

كوفتري . ماكسفيلد . ليك . لوندرا . نوتهاام . دوبلين
 وقد كثرت معامل الورق في اقاليم كنت . وديشون . وهامشورد
 ويورك وفي قسم من اسكوتلاندا وذلك لازدياد عدد المطابع وكثرة
 المطبوعات كالكتب والجرائد وفي انكاترا معادن اخرى كثيرة منها القصدير
 وكان يجبر معهم به اهل فينيقيه ويبلغ قيمة المصنوع منه الذي يتصدر الى

الخارج بخمسة مائون جنيه وهذا القدر يفوق اثنتي عشرة مرة ما يستخرج من ساكس وبوهيميا البلاد الوحيدة بالمانيا التي تستخرجه

ومن معادن البلاد الشهيرة النحاس في كورنويل وفي بلاد الغال وفي جزيرة انجايزي ومعادن الرصاص والبلومبايجه (ومنها تعمل اقلام الرصاص) في نورثمبرلند ومعادن الزنك في دربي وجزيرة مان ومعادن الملح في شستر وابسوم وبات وشاتنهام ونورويش وسومات المانيزيا في ابسوم .

وقد وجد فيها بعض معادن من الفضة والذهب وفيها معادن كثيرة يطول وصفها متشقة في اطراف المملكة يشغل فيها عدد وافر من الصناع

هذا وقد بلغت الصناعة في انكلترا حد الاتقان . ومن يقرأ شيئاً من اختراعات الانكايروا اكتشافاتهم السنوية والشهرية بل الاسبوعية واليومية يجب لكثرة تقنتهم وتوسعهم في الاعمال . ومن يطالع فهرست اجازات التصريح التي تعطى يومياً لمخترعيهم ومكتشفيهم لا يصدق انهم بلغوا ما بلغوا من التدقيق والاتقان والانتفاع بكل شيء .

قال بعض المؤلفين : لما قبل القرن التاسع عشر كانت فرنسا نازقة الدماء بأثرة الصناعة وايطاليا وجرمانيا خارتا القوى مقطعتا الاوصال من غزوات بونابرت وحروبه المتوالية وليس في أوروبا كلها الا بريطانيا العظمى ملكة البحار مستهزة في جزائرهما مستغنية بمهاجرها فنهضت الصناعة فيها نهضة جبار لم تر مثله المصور الحالية وفي اقل من سبعين سنة زاد الخارج من معادنها زيادة سريعة وزادت سفنها التجارية ثلاثة اضعاف ومد فيها خمسة عشر الف ميل من السكك الحديدية وبلغت ثروة اهلها حداً لم يبلغه ثروة أمة أخرى

قبلهم فانفقوا على الاعمال الصناعية الف مليون ومئة واثنى عشر مليوناً من الجنيهات حتى صارت صناعة ما تنتجه المعامل يزيد على ما يلزمهم منها اربع صرات في كافة المصنوعات وست صرات في المصنوعات القطنية .

وجملة القول ان صناعة انكاثرا كانت سبباً لعظمتها اكثر من فتوحاتها وقد اقتفت خطوات هذه المملكة ممالك اخرى اوروبية فاخذت تجدد لمناظرها بمصنوعاتها في اسواق المشرق ولكنها لا تزال دونها بمراحل .

التجارة

Commerce

اقتضت الحكمة الالهية تفريق الارزاق والخيرات في جميع انحاء المعمورة مدرجات مختلفة متفاوتة فترى في هذا البلد ما لا تراه في ذاك وتجده في ذاك ما لا تجده في ذلك وقد اختص بعض البلدان بوافر خيره وعظيم بره فجعل زرعها وانعامها ومعدنها موفراً وميز البعض الآخر بقله حرثه وخيره حتى اذا ضربت بطرفك فيها لالقيتها جذباً « فسبحان الذي خلق الخلق ودبر الامر تدبيراً » .

على ان وفرة الخيرات في بلد لا توجب سعة اهلها ورفاهتهم . فكم من بلد ارضه جذباء واهله في نعيم وهناء ومن بلدان ارضها خصبة واهلها في جذب وقحط وشقاء فاذا بحث الباحثون عن سبب هذا الفرق العظيم وجدوه في قلة العمل او عدمه في هذا وكثرة العمل ووفرته في ذاك . تلك هي البلاد الافريقية الوسطى والاسيوية الشمالية والجنوبية والشرقية . البلاد الشاسعة الفسيحة

الارضاء اذا اختبرت اهلها لستمهم في بؤس وحجيم واذا امتنحت الارض التي تقلمهم لوجدتها غريزة الخيرات منعمة بما يلذ ويستطاب واذا امعنت ملياً في انكثرا مثلاً لوجدت ارضها قحلاء الا انها مشحونة بما يدهش العقول ويسحر الالباب . ذلك هو شأن البلاد التي يسعى اهلوها في جلب الاموال والخيرات من اقصى الاقطار لاقتنارهم اليها غير مباليين بعظام الاخطار وكبار المصاعب فيبلغون بذلك منتهى الثراء والسودد وذرى المجد والشرف وتراهم في مقابل ما يجلبون من الاقطار الاخر يصدرون اليها ما خص الله ارضهم به من معدن وغيره .

فهذه هي العملية التجارية الاولى في بدأ نشأتها

وقد توسعت انكثرا وبعض البلاد الاوروبية فيها فتفتت في اساليبها وفرعها من اصولها فروعاً ونوعتها في ضروب اسبابها حتى اوصلت سلعها ومصنوعاتها الى حيث استطاع الوصول والى حيث تثبت قدم الانسان وانكثرا اليوم اسبق الدول في مجال التجارة اما ارضها كما ذكرنا فاجذب ارض وهي جزيرة يحيط بها الماء من جميع الانحاء وعمرها اكثر من سبلها وما ترزق الا من فضل التجارة فالتجارة لها بمثابة الروح من جسد الانسان ويدلك على ذلك المكيدة التي كان دبرها لها نابليون الاول حينما اصر باققال جميع موالي اوربا لتجارتها فكاد ان يكون ذلك ضربة قاضية على حياتها لولا ان ساعدتها المقادير فتألبت الدول على نابليون والنعم القتال بين الفريقين وعادت التجارة الانكليزية الى مجاريها

ومنع ما هي عليه الاقطار الاوروبية من الحضارة والشوكة والقوة

والسمة فانه لا يوجد دولة اوروبية كانت او غير اوروبية تستطيع مجارة انكلترا في مضمار التجارة فهي هي ربة متاجر الامصار لم يشاركها في هذا اللقب دولة من الدول الاوروبية بعد طول المناظرة والمسابقة والمجارة فقد طالما جدت فرنسا وكدت حتى اضنت رجالها وبذلت الالوف المؤلفة من الاموال حتى اعيت رعيها باثقالها ولكن لم يبلغ شأوها ولم تستطع مسابقتها « فتجارة انكلترا لا تزال اكثر من عشرة اضعاف تجارة فرنسا في كل ناحية من انحاء المسكونة » نعم ان الدولة الفرنسية ذات شوكة وسيطرة ومستعمرات واسعة الا انها دون انكلترا في هذا الباب بمراحل . ذلك لان انكلترا لم تبق بلدا من البلاد او قطرا من الاقطار الا وعقدت معه المعاهدات التجارية وهي الآن تشتري من ايرلاندا حبوباً وموئناً وترسل اليها مصنوعاتا وتشتري من شمال اوروبا خشباً وحديداً وكتاناً وقنباً وزقناً وشحماً وبوتاسه وخطه ومن اواسطها حاصلات الاراضي وحريراً وكتاناً وخشباً . . الخ ومن جنوبها الفاكهة والحرير والعقاقير ومن الولايات المتحدة الامريكية قطناً وازناً وحبوباً وبترولاً ومن جنوبي امريكا جلوداً وتيلاً وسبائك من الذهب والفضة ومن اسيا الشاي والبن والنيلة والعقاقير والقطن والعاج وغير ذلك ومن افريقيا عقاقير وخشباً وقطناً وجلوداً وترسل مصنوعاتا الى الاقاليم المذكورة في مقابل ما تشتريه منها وقد دل احصاء سنة ١٨٧٤ وسنة ١٨٧٥ ان صادرات انكلترا الاملاكها والبلدان الاجنبية تبلغ نحو ٣٤ مليون ليرة انجليزية وبلغت وارداتها نحو ٣٧٤ مليوناً وكانت في سنة ١٨٧٥ اكثر من نصف واردات ست ممالك عظيمة: وهي الولايات المتحدة بامريكا وفرنسا والهند والمانييا وروسيا

واستراليا وبلغت أيضاً صادراتها أكثر من نصف صادرات هذه الممالك
وبعضهااة تجارة انكلترا في سنة ٧٥ لتجارتها في سنة ١٨٨٦ وسنة ١٨٨٧
وسنة ١٨٨٨ يتضح لك جلياً مقدار الخطوة التي خطتها في سبيل التقدم والنجاح
اما وارداتها في سنة ٨٦ فبلغ ٣٤٩ مليوناً من الليرات الانكليزية وبلغ
في سنة ١٨٨٧ (٣٦٢) مليوناً وفي سنة ١٨٨٨ زادت الى ٣٨٦ مليوناً
(منها من فرنسا ٣٧ مليوناً ومن المانيا ٢٤ ومن هولانده ٢٥ ومن
روسيا ١٥٩ مليوناً ومن بلجيكا ١٤ ومن السويد ١٠٢ ومن اسبانيا ١٠ مليون
ومن الدانيمرك ٥٢ ومن اوستريا ١٥ ومن الولايات المتحدة ٨٣ ومن الصين
٦٦ ومن الهند ٣٢١ ومن استراليا ٢٣ ومن بلاد الكنادا ١٠٤ ملايين
من الليرات الانجليزية فترى من ذلك ان واردات انكلترا آتية من اصقاع
مختلفة ومن الاقطار السحيقة جداً بدرجات تختلف باختلاف شدة العلائق
التجارية مع تلك الاقطار .

اما صادرات انكلترا في سنة ٨٦ فبلغت ٢٦٨ مليوناً وفي سنة ٨٧ بلغت
٢٢١ مليوناً وفي سنة ١٨٨٨ بلغت ٢٣٣ مليوناً من الليرات الانجليزية (ونصيب
فرنسا من هذه الصادرات ١٣٦ مليوناً والمانيا ١٥ وهولاندا ٨١ والروسيا
١٤ والبلجيكا ٦ والسويد ٣٢ واسبانيا ٣ والدانيمرك ١٧ وللولايات المتحدة
٢٩٥ وللصين ٦٢ وللهند ٣١ ولاستراليا ١٩٧ وبلاد كنادا ٨١ ملايين
واليك بعض ما جاء بشأن قوة انكلترا التجارية في كتاب الكاتب
الفرنسوي الشهير ماكس لوكاير الذي وضعه حديثاً ويبحث فيه عن تجارة
انكلترا وعلاقتها مع الدول : قال : قد زادت متاجر الانكايز زيادة هائلة في

٢٥ عاماً مرت فصار ت ثلاثة اضعاف ما كانت عليه سابقاً ثم قال
 « وقد افعت انكترا البحر بسفائنها والبر بمحاصلاتها حتى ان بحريتها لم تقتصر
 على نقل سلمها وبضائنها بل عمدت الى نقل مستخرجات كافة الاقطار الأخرى
 » وقد كانت قيمة واردات انكترا في سنة ١٨٢٠ بالغة ٨٠٠ مليون من الفرنكات
 وصادراتها ٩٠٠ مليون ثم زادت قيمة الصادرات في سنة ١٨٣٧ الى ١١٢٥
 مليون وارتفعت وارداتها من سنة ١٨٦٠ الى سنة ١٨٨٩ من ٥٢٦٣ مليون
 فرنك الى ١٠٦٩٠ مليوناً وكذلك صادراتها وصلت الى ٦٨٨٩ مليوناً بعد ان
 كانت ٤١١٣ مليوناً - وفي سنة ١٨٣٧ كانت تباع انكترا الى المالك الأخرى
 مليون طن من الفحم فزاد هذا القدر في سنة ٨٧ الى ٢٤ مليوناً طناً ثم وصل
 في سنة ١٨٩١ الى ٣١ مليوناً وكذلك ازدادت صادرات الحديد فبعد ان
 كانت في سنة ١٨٣٧ مائتي الف طن وصلت الى ٤ ملايين طن في سنة ١٧٩٠
 ومثلها المنسوجات القطنية فبعد ان كانت انكترا تباع منها ٦٠٠ مليون يارده
 في سنة ١٨٣٧ أصبحت تباع منها ٥٠٠٠ مليون في سنة ٩٠

وأكثر واردات انكترا مؤلف من الحبوب والقطن والصوف والسكر
 والخطب والخشب والشاي

وأكثر صادراتها منسوجات القطن والصوف والحديد والكتان والفحم
 الحجري والرصاص والقصدير والنحاس والملح .

ومما يدلك على عظمة الحركة التجارية في البلاد الانكليزية وازديادها سنة
 عن سنة الارقام الآتية :

حمولة السفن التي دخلت الموانئ الانكليزية بلغت في سنة ١٨٦٠ و ١٢

مليوناً طناً وفي سنة ١٨٨٧ ازداد الى ٣٢ مليوناً اما حمولة السفن التي خرجت منها فكانت في سنة ١٨٦٠ مليون ونصف مليون طن وفي سنة ٨٧ بلغت ٣٢ مليون طن و ٩٨٤ ألف طن وبلغ عدد السفن الشراعية بانكيترا وحدها في سنة ١٨٨٧ خمسة عشر ألفاً ومائة واحدى عشر سفينة حمولتها ٣ ملايين و ٢١٥ ألف طن اما السفن التجارية فبلغ عددها ٦٦٣٦ حمولتها اربعة ملايين وواحد وثلاثين ألف طن (٤٠٣١٠٠٠ طن)

وقد ورد بكتاب ماكس لوكير المذكور ما معناه : « منذ خمس واربعين سنة كان لانكيترا ثلث السفن التجارية الموجودة على سطح البحار كلها اما الآن فقد بلغ عدد سفنها $\frac{٧}{١٢}$ من سفن العالم اجمع »

اي ان عدد سفنها اكثر من نصف سفن جميع الاقطار وفي سنة ١٨٨٧ كانت حمولة السفن الرافعة الالواء البريطاني تبلغ سبعين في المائة من حمولة كافة السفن التجارية الشراعية اما حركة المواني الانكليزية يبريطانيا فكانت حمولة السفن الواردة اليها بين انكليزية واجنبية بالغة اربعة ملايين طناً في سنة ١٨٢٠ ثم وصلت الى ٢٤ مليوناً ونصف في سنة ١٨٦٠ ثم زادت في سنة ١٨٩٢ الى ٢٥ مليوناً فتأمل

وقد سهلت انكيترا طرق المواصلات التجارية في داخلها بحفرها الترع العديدة وانشاؤها السكك الحديدية التي تذهب حركتها بلب الراني وتخطيطها السكك الزراعية بين المواقع الشهيرة بمحاصلاتها . ومركز السكك الحديدية مدينة لوندرا عاصمة البلاد ومنها تتشعب الخطوط الحديدية باجمعها الى كافة مدن المملكة وقد بلغ طول السكك الحديدية بانكيترا وبلاد الغاله

٢٢٢٥٠ كيلومتراً وبايقوسيا ٤٩٥٥ كيلومتراً وبايرلانده ٣٠٣ فيكون طول مجموعها ٣١٥٠٧ كيلومتراً وقد احصى اخيراً هذا المجموع فكان (٢١٠٠٠٠) ميل

اما ترعها الصناعية فيبلغ طولها ٩٠٠٠ كيلو متر وقد حفر اكثرها من سنة ١٧٥٩ الى سنة ١٨٥٠ واول ترعة حفرت هي التربة التي توصل بين ترعتي صرسي وترت وكانت الغاية من حفرها نقل الفحم الحجري وقد سميت باسم الدوك الذي تكلف حفرها وهو الدوك بريدجتور واطول هذه الترع هي التي توصل بين مدينتي ليدس وليقربول

وقد تفنن الانكاز في جميع الاساليب والطرق التي بها يسهلون اسباب التجارة فلم ترعهم وفرة مصاريقها وطول زمانها وجسامتها مشاقها واهوالها فاقدوا على تلك الاعمال بجرأة قلب وعزم ثابت واقدام لا تلويه الاخطار ولا تشنيه المصاعب التي دون تدليلها شيب الرؤوس وبذل الاموال والنفوس فمن جلائل تلك الاعمال مخازن لوندره وليقربول وفناراتها وقناطرها ونقب نهر التيمس ولندكر طرفاً منها لي شاهد القارى بسمعه مالم يره بعينه

مخازن لوندره — من الآثار الغريبة بلوندره التي تنطق بفصيح بيان بتقدم الامة الانكليزية باساليب التجارة المخازن الهائلة التي انشأتها في اواخر القرن الثامن عشر وما اوجدته منها في هذا القرن الحاضر وتلك المخازن المعبر عنها باللغة الانكليزية بلفظ دوك عبارة عن حياض صناعية واسعة الاطراف حفرتها يد الانسان بمهارة وتفنن غريين واوصلت اليها الماء لنقل السفن والمراكب المشحونة بالبضائع والسلع كالاقطان والاخشاب والاقشة والفحم وغير ذلك مما يورد اليها

من كافة اقطار المعمورة على اختلافها وعلى حافة تلك الحياض يوجد بناء متسع
معد لقبول تلك البضائع والخيرات والسبب في انشاءها انما هو ضيق نهر التيمس
عن قبول كل ما يرد اليه من السفن . نعم ان عرض هذا النهر يبلغ ٢٠٠ قدم
(وهو ضعف عرض نهر السين بباريز) وان المسافة التي بين لوندن ومصبه تبلغ
٩٦ كيلومترا الا ان السفن التي تقبل على لوندن وترد اليها من سحيق الاقطار
وقربه بعضها كافٍ لافعام تلك المساحة الرحبة فمنعاً لايقاف مجرى التجارة
بلوندن وعدم ضياع نفيس اوقاتها وتسهيلاً لتفريغ البضائع وصيانتها من
التلف والفقدان اضطر الانكليز ان يحفروا تلك الحياض الواسعة لتدخل
السفن بها وتفرغ بضائعها في المخازن المعدة على ضفافها

ومن اشهر تلك المخازن : مخازن سانت كاترينا وسميت بذلك لحفرها
محل مستشفى كان شهيراً بهذا الاسم وتبلغ مصاريف بنائها ١٧٠٠٠٠٠٠ ليرة
انكليزية وقد لزم لانشاءها هدم ١٢٥٠ داراً كان يأوي اليها ١١٣٠٠٠ شخص
ويوصل بين نهر التيمس وهذه الحياض قنال طوله ١٩٠ متراً وعرضه ٤٥
مركبة عليه آلة بخارية قوة مائة حصان تجاري لرفع الماء اليه او طرده
حسبما تقتضيه حالة الملاحة ويمكن ان يقبل اية سفينة مهما كانت حمولتها فاذا
دخلت السفن منه الى الحوض امكن تفريغ البضائع منها الى المخزن المعد لها
مباشرة وتقبل حياض سانت كاترين من ١٥٠ الى ١٦٠ سفينة كبيرة عدا
ما يكون بها من المراكب والصنادل العديدة .

ثم مخازن لوندرا الاصلية ابتداء انشاءها من غرة يونيه سنة ١٨٠٢ وتمت في
خاتمة سنة ١٨٠٥ وبلغت نفقاتها مائة مليون فرنك اي ٤ ملايين من الجنيهات

الانكليزية ويرد اليها سنوياً ما ينيف عن ٥٠٠.٠٠٠ سفينة تجارية عظيمة ويدفع اربابها الى الحكومة ٣٢٥ مليون فرنك رسماً على ما يخرج من مخازنها من البضائع ويمكن لمخازنها العلوية ان تحوى ٢٨٠ الف طن من البضائع ومخازنها السفلية تستطيع ان تقبل اكثر من ٨٧ دن نيز (من كبير الدنان التي يسع الواحد منها ٤٠٠ لتر) وبها محال خاصة لوضع التبغ (الدخان) وهي تسع ٢٤ الف برميل منها ١٢٥ مليون فرنك وبالنسبة لاهمية تلك المخازن المسماة بمخازن لوندرد الاصلية ترى ان الحركة التجارية بها عظيمة تفوق عن غيرها وهي كثيرة العمال وعدد الشغالين بها فقط ثلاثة آلاف عامل .

ومن اشهرها ايضا المخازن المعروفة باسم مخازن الهند الثرية وتبلغ مساحتها ١١٩٠.٠٠٠ متر مربع ويمكنها قبول ٤٠٠ سفينة وقد تصادف ان حوت مرة هذه المخازن ١٤٨٠٠٠ برميل سكر و ٧٨٠٠ دن و ٤٣٣٠٠٠٠ كيس بن و ٣٥٠٠٠ دن نيز و ٢١٠٠٠ طنولاته خشب و ١٤٠٠٠ قطعة خشب للبناء عدا ما كان بها من الطرود القليلة الجم .

هذا هو وصف موجز لثلاثة من اشهر مخازن تلك المدينة الكبيرة التي سميت بموسوعات العالم حيث جمعت انواع الخيرات كافة من محصولات ومنسوجات ومصنوعات وبنيات وحيوانات وما تلك المخازن الاجزاء صغير من كل كبير لا يسع القلم وصفه .

الفنارات . وقد امتازت ايضا انكلا عن غيرها من الممالك بوفرة فناراتها التي يدل حسن هندامها وعظيم رصانتها على اهتمام الامة الانكليزية لنشر لواء الامن والطمانينة حيث تسير السفائن او ترسو المراكب التجارية

والحربية

وقد كانت شواطئ انكلترا وايقوسيا وايرلانده كثيرة الصخور في سالف الزمن حتى تسبب غرق المراكب المعدة التجارية وهلاك عدد عديد من النفوس وكساد سوق التجارة في كثير من المحلات اما الآن وقد بلغت انكلترا هذا المكان العظيم وتسمنت ذلك الاوج العلى فملاّت الامصار بمحصولاتها وبضائعها وافعمت الموانئ والمرافئ بمراكبها وسفائنها ومدّت نفوذها السياسي والتجاري على كثير من اقطار المعمورة فترى ان شواطئها آمن من شواطئ سائر الاقطار .

وقد تألفت لهذه الغاية شركات عظيمة اشهرها شركة تريثي هوس انشئت في عهد الملك هنري الثامن وكانت غايتها تقوية تجارة انكلترا والعمل على انمائها وانتشارها وتأبيدها وتقويم ما يعوج منها وهداية ما يضل والعمل على تدريب الملاحين وتعليمهم وخصوصاً على زيادة تأييد انارة الشواطئ واضاءتها بالفنارات وبمراكب الانارة وبطرق الاضاءة المعروفة عندهم .

وقد دلّ احصاء سنة ١٨٧٩ ان عدد الفنارات الموجودة ببريطانيا العظمى يبلغ ٥٩٠ فناراً وبما ان طول شواطئ انكلترا يبلغ ٢٤٠٠ ميل بحري وطول شواطئ ايقوسيا يبلغ ٤٤٦٠ وايرلاندا ٢٠١٨ فيكون المجموع ٩٣٨٣ ويكون المعدل فناراً واحداً لكل ٢٤ ميلاً وهذا اكبر دليل على ما لانكلترا من الاهتمام العظيم ولبث الطمأنينة بين تجارها واولي شؤونها

فاذا كانت تلك المصاريف الباهظة والابنية الغريبة الواسعة والفنارات الكثيرة ما خصصت الا واسطة لتيسير حركة التجارة ولحفظ السلع والبضائع

فما يكون اذا النفع الذي تستمده المملكة الانكليزية من هذه التجارة . لعمرى
ان الخير الماقل لا يشك بان التجارة هي حياة هذه المملكة وقوتها وسطوتها
وان التجارة هي التي جعلتها امة عددها ٤٠ مليوناً تحكم ٤٠٠ مليون .

فكل عمل عند الانكليز تجارة وكل تقدم ونجاح اصابوه كان من التجارة
فقتلهم الممالك تجارة وحكمهم الامم الكبيرة والشعوب الكثيرة تجارة .

ولما شاع لدى وضع هذا الكتاب ان للبعض من وزراءهم وعمال
الحكومة يداً في ادارة الشركات التجارية لم يظهر الشعب استياءً من عملهم
ولا غضب عليهم بل تلقى الامر كما هو ساكن البال رابط الجاش والجرائد
ظلت صامتة لا ترى بهذا الامر سبباً ولا بمتاجرة الوزراء خطأ . على انه
لو ظهر مثل ذلك في دوائر دولة اخرى من الدول الاوروبية لا تقلب الوزراء
عن كراسيهم وسلقوا بالسنة حداد بل رموا بالحياة والسفاهة وكل مذمة . اما
الانكليز فبخلاف غيرهم يرون ان الرجل المفيد هو الذي ينفع وطنه بكل عمل
اي انه يفيد امته بالتجارة كما يفيدها بالسياسة .

وخلاصة الكلام ان الانكليز يتاجر جنديهم بدمه . ويتاجر كاتبهم بقلمه
وحاكمهم يتاجر بسياسته كالبائع بسبعته والصانع بحرفته فبالتجارة سادوا
وبارباحها ارتفعوا وبمواردها عزوا

عادات و اخلاق الانجليز

Manners & Customs

لا ريب في أن أعظم شيء يستدل به على تمدن أمة وتقدمها هو النظر إلى أخلاقها التي رسمت فيها فأصبحت خاضعة لها بلا علاقة عقلية في معظم الأحيان . وقد أدهشت الأمة الانكليزية العالم بأسره لشديد تمسكها بعاداتها والمحافظة على القديم منها رغماً عن تحول الأحوال وتغير الظروف حتى أصبح نظامها مجموع عادات كل عادة منها تقوم مقام سنة مشروعة

— خلق الانكليز —

أما خلقهم فالغالب فيه أنهم طوال القامة أو متوسطوها رشيقو القدود شديدو القوى والاعصاب . رحاب الصدور . لونهم ابيض . زرق العيون . صغار الأنوف . رؤوسهم مستطيلة مرتفعة . وجلدهم صاف شفاف وشعرهم اشقر في الغالب ووجوه سكان القرى منهم اصفى لوناً من سكان المدن وهم بالجملة اجمل من نساءهم بخلاف رجال الفرنسيين فان نساءهم اجمل منهم . وقد قسم بعضهم الحسن في رجال الانكليز إلى ثلاثة اقسام : الاول في العساكر وهم ينتخبون من ذوي العاقبة والصحة الحسنة ويلحق بهم الشرطة وضباط الجيش وقواده الثاني في خدام الكبراء والاصراء والفنادق الكبيرة . والثالث في الكتاب الذين يستخدمهم التجار المثرون واصحاب الحوانيث العظيمة حيث يكثر تردد الجنس اللطيف فان ذلك ادعى لهم إلى الشراء .

الانكليزية

والانكليزية اما ان تجمع بين معاني الحسن الزاهر فتكون فتاة وآية في الجمال او تكون مجردة منها . على ان في الانكليزيات الجمال المفرط الذي لا مثيل له في نساء الافرنج . وهنّ ناعمات البشرة لونهن ابيض مشرب بحمرة قرمزية . وعيونهن بين الشهل والزرقي . طويلات الاقدام . نحيلات القوام مولعات بالاعمال الرياضية تجارين رجالهن بركوب الخيل واللعب بالاكرو والجري في الحقول والحدائق مما يكسبهن قوة في الاعضاء ونمواً في الاجسام . وامتشاقاً في القدود . واحمراراً في الحدود . ويجعلن اوفر قوى من غيرهن من الاوروبيات . ثم ان اسنانهن احسن ما يظن في نساء البلاد الباردة وهي اول الصفات المستحبة عند رجالهن وهم يشبهونها بالدر المنظم كالعرب ويشبهون العميون بالماس كما يشبهها العرب بالزرجس .

والانكليزية الجامعة لصفات الجمال تكون طويلة القامة ممشوقة القد متجعدة الشعر نجلاء العينين زرقاؤهما شماء الانف صغيرة الاذنين حمراء الوجنتين والشفنتين

وقد تفرّدت الانكليزية وهي فتاة بعبادات لم يشاركها فيها غيرها من الاوروبيات وهي في الغالب ارق تربية من سائر الاوانس الاوروبيات متى بلغت الاربعة عشر ربيعاً تراها في ريمان صباها اول ما يظهر عليها علام الشهامة وامائر الشرف والكبرياء فيرى رائيتها وهو يخاطبها انها ترفع انفها الدقيق تهاً وكبراً فيقرأ في جنديها المشرق بانوار العفاف آيات الكمال والاداب ولذلك كانت حرة باعمالها قبل الزواج لها الحق في الدخول

والخروج وحدها او مع من شاءت فتصاحب من أحببت بدون ممانع ولا منازع وليس لذويها مراقبتها او الضغط على حريتها . تعرف مالها من الحقوق فتمتع بها وهي آمن الناس على نفسها . لا تكاتب من أحببت على نور المصباح في دياجر الليل خفية ولا تقبل ما يرد لها من الرسائل خلصة وانما تفعل ما يرشدها اليه عقلها ومبادئ التربية الشريفة التي تلقها منذ طفوليتها فتوجب الواجب عليها حفظاً لشرفها وشرف اهلها

ومن المقرر ان ليس في تحجب النساء عن العيون كما هو في بعض بلاد الشرق ولا في المراقبة الشديدة وحجر الحرية التامة تمام الفضيلة فالحجر انما يكون على الجسم وتكون نتيجة إِماتة تلك الشهامة التي اشتهرت بها الانكليزيات لانه ليس للام او للاب او للعالم باسره ان يعلموا عواطف القلب البشري التي خفيت على عالم التشريح ففي اسرار تركيب الجنس اللطيف وامرجهن عجائب يحار لديها الفكر ويذهل العقل وامام هذه العجائب يكون القلب معرضاً لتأثيرات تلقيه في نار من العذابات فيضعف وان تقاوى ويدل وان تظاهر بالعزة . وبالجملة فالتضييق لا يجدي نفعاً وانما يضعف بعض عواطف هذا الهيكل حتى يجري المقدر عليه . والفضيلة كما قال بعض علماء الاخلاق شجرة لا تنبت الا في حقل الحرية .

وليس للفتاة الفرنسية حظ الزهدة وحدها او مع شاب او شابة مثلها كالفتاة الانكليزية فهي لا تخرج من بيتها الا اذا كانت امها او ابوها برفقتها وهي تبذل كل العناية في ازيائها وتظهر عليها زيادة الاعتناء والتكلف خلافاً للفتاة الانكليزية فانها تختار الزي البسيط في الغالب والمزيج لجسمها فتظهر في الصيف بلباس

من الجوخ وبعض الاقمشة الجيدة النسيج وفي الصيف بثوب ابيض من التيل وتهمل شعرها ليسترسل على منكبيها بدون اعتناء وتضع على رأسها قبعة خفيفة وتذهب للخلاء مع رفيقاتها تباري الشبان في الالعاب الرياضية فتخالها وهي تجري والنسيم يعبث بشعرها في ذهابها وايابها كأنها ملك ناشر جناحيه للطيران . وهي تتأثر على الاستحمام بالماء البارد صيفاً وشتاءً ولا تحب التبرج والتزين كما قدمنا بل تعلم ان الفتاة التي احرزت الجمال الطبيعي والادبي لم تعد مفتقرة لزينة او لاحجار ثمينة

والانكليزيات لا تتحلى بالحلي والجواهر الا على الموائد في مناولة طعام العشاء او في ليالي الولاثم والاحتفالات والمجتمعات الكبيرة والمراقص والسيارات فتظهرن بالدياج والثياب الفاخرة وقد جررن اذيالهن جراً وكشفن عن صدورهن واكتافهن وانصاف اعضدادهن وتحلين بالحلي الثمينة مما لا يرى في اعظم الاحتفالات الاوروبية ومما يسحر الالباب ويدهش الانظار . ولا يخفى ان المرأة الجميلة الذات والصفات تكون زينة لبيت زوجها وبهجة لحياته ولذلك كان الزواج شائعاً عند الانكليز اكثر مما هو عند غيرهم وهذا اول داع الى نموهم وتكاثر عددهم ولا تمهر الابنات العائلات الكبيرة الفنية واذا تجرأ شاب على ان يسأل والدآمن ارباب البيوتات المتوسطة عن مهر ابنته فليس له على سؤاله من جواب سوى الطرد . ذلك لان الانكليز يعتبرون كغيرهم ان الرجل لا يجب عليه ان يقدم على الزواج الا اذا كانت حالته تسمح له ان يقدم لامرأته كل احتياجاتها .

والشاب الانكليزي اذا احب فتاة يستطيع ان يخطبها لنفسه ولو

كان تليذاً في المدرسة وقد يستمر عقد الخطبة بين الخطيين سنين عديدة
يتمتعان في غضونهما بكل أطيب المعاشرة وينطلق لهما العنان فيسرحان ويمرحان
ويأويان الى الحدايق والرياض وهما ذاهلان ببعضهما عن الدنيا ويظل العفاف
شعارهما حتى الزواج حينئذ لا يمكن لاحدهما العدول عنه لغير موجب
شرعي فعلى قدر ما يرى من الحرية الممنوحة للخطيين في تلك البلاد ترى
الشريعة صارمة بحق من يحنث بوعوده فاذا اراد الشاب القطيعة اقتادته الفتاة
واهلها الى القاضي فتقف امامه موقف المطالب بحق مدني وهناك تقيم الحجة على
خطيها وغيرهما فتشرح دعواها وتؤيد حقوقها باثبات عدد القبلات التي
التي اقبلتها والاقسام التي اغاظها للاحبيها وباراز صكوك الحب التي كتبها لها
يشها شوقه وغرامه ثم تطلب العطل والاضرار والمصاريف فيحكم لها القاضي
بقدر ما يترأى له وقد حكم مرة على شاب غني بدفعه غرامه باهظة لرفضه
الاقتران بخطيبته من غير موجب شرعي فلم يمض على الحكم شهر واحد
الا كان واياها في معيشة واحدة تحت سقف واحد وقد تجري هذه الاحكام
على الفتاة فيما اذا كانت البادئة وخطيبها حق المطالبة بحقوقه أيضاً .

وقد جعل هذا العقاب في هذه الشدة لان الانكليز يعتبرون ان
الفتاة بعد خطبتها صارت كالزهرة التي اقتطفت فزال منها بعض العبق والرائحة
والانكليز يؤثرون الزواج في اول الصيف والغالب ان الفتاة الانكليزية
تزوج في الخامسة والعشرين من العمر فتختار من كان يضارعها في العمر أو كان
أكبر منها بستين أو ثلاث وكان على مرادها وهوها نصرانياً او يهودياً
بلا تمييز في الدين على الغالب أما اذا رأيت شيخاً هرمًا يأخذ بيد صبية جميلة

في زهرة العمر فاحكم بدون تردد ان الرجل غني كبير وانها مارضيت به بعلاً
الا لتشاركه في غناه وشرفه لان الغنى والشرف افضل من كل شيء عند
الانكليز .

قال احد علماء الاخلاق من الفرنسيين : ان بلاد الانكليز منبت النساء
ومعدن الزوجات بمعنى ان الانكليزي يهناه العيش اكثر من غيره مع زوجته .
والانكليزية خلقت لان تكون للبيت اكثر مما هي للهرجة فالرجل لا يهتم
سوى باعماله ولا يعلم من تدبير بيته شيئاً وما عليه الا ان يقدم لامرأته
مقداراً معلوماً من المال كل اسبوع او كل شهر او كل عام وهي تنفقه في
حاجة المنزل كيف شاءت فاذا عاد ليلاً خفت عنه وطأة مصائب النهاروزالت
اتعابه بما تقابله به زوجته من اللطف والجلد والوقار وبما يرى من نظافة
منزله واتقانه وما يجد بجوانبه من انواع الهناء مع راحة البال من الاسباب
الباعثة على الالفة . والانكليزيات اوفر مودة واعتباراً لزوجهن من غيرهن
بعضهن في الضراء بما يتوقع منه في السراء ويصبرن على الوفاء وعلى نواب
الايام صبر الكرائم الا ان جاراتهن الفرنسيات اكثر رقة ورشاقة وأخف
روحاً واعظم ميلاً الى اللهو والطرب وأقرب الى القلوب وهن ايضاً اوفر
عشاقاً بينما ترى الانكليزيات اكثر رزانة ووقاراً وأفضل منهن أزواجاً
وينشأ الفرنسي بالنظر الى هشاشة والدته وطباعها اكثر لطفاً وتودداً
يكثر من الموانسة والمعاشرة ومن مخالطة النساء ومحبتهم والتهالك في العشق
كثيراً والمخاطرة بالنفس في سبيل مرضاتهن بينما ينشأ الانكليزي رزيناً
وقوراً وأوفر رزانة وبينما ينشأ الشاب الشرقي بخلاف الاثنين هيوياً هلوياً

وفي ذهنه التخيلات والالوهام وترى أيضاً ان لوندرا تاوي كبار التجار اليها ويقصدها اصحاب جلائل الاعمال واماباريس فهي متجمع طلاب المذات كل ايامها اعياد وافراح .

وقد أحل الإنكليز أكثر من سواهم من الأوربيين هذا الجنس اللطيف في أعلا مقام لانهم عرفوا ان نجاح البلاد يتوقف عليه وان المبادئ القويمة تتولد كما قال بعض علماء الاخلاق في احضان الامهات أو على مقاعد المدارس فشيء ذلك المدارس في انحاء المملكة بين ابتدائية وكلية فتهافتت عليها البنات تهافت الصبيان وصرن يتعلمن وهن صغيرات حتى يضار عن رجالهن في العلوم العالية كبيرات وهن يسابقنهم في الاستخدام في كثير من المصالح الاميرية كالوسطه والتلغراف وعلى الخصوص في المخازن التجارية والمحلات العمومية وترى منهن ايضاً الكاتبات ومحردات الجرائد ، وقد دل الاحصاء ان في مدينة لوندن وحدها خمسين الف فتاة كاتبة في المصالح الاميرية والتجارية ونحو ٣٢٠ الف خادمة في الفنادق والبيوت

وليس في العائلة الانكليزية على الغالب رفع الكلفة ولا بين الزوج وزوجته تلك الدالة الزائدة التي بين المتزوجين فالرجل يتبع مع امرأته كل انواع الاكرام كما لو كان مع سيدة غربية فهو يراعي اصول المحبة دون الغرام والكلف الزائد .

ثم ان الانكليزية التي كانت حرة قبل الزواج تصبح مقيدة بعده باوامر زوجها ونواهيها واذا اتهازا أثر رجل كان او امرأة جلس معها دون حضوره ولها الحق مباح في الخروج دون استئذانه انما عليها فقط ان تشعره بقصد خروجها ومع

هذه الحرية التامة ترى العفة عند الانكليزا اكثر مما هي عند غيرهم فمقام العرض
مصنون لديهم كل الصيانة فلا يقبل في مخالطة العائلات من عرف عنه انه
ارتكب المحرمات او عاش متهتكاً فالذي ثبت عليه هذا الامر يضام ضيماً عظيماً
ويسقط شرفه ادبياً . والضيف الزائر لسيدة انكليزية يلزمه المحافظة على
القواعد المتبعة عندهم كالجمال باللباس الفاخر وعدم السعل والتدخين .

والانكليزيات بارعات في اصول الحديث وافانين التمدن واساليب
الاجتماع والمعاشرة وقد تستطيع السيدة العظيمة لعظمتها وعلو مقامها ان تصير
رجلها عظيماً وان تمهد له سبيل الترقى الى ذروة المجد والفخار فسلطانها كما
قيل « سلطان محبة وجمال وتعقل وتأثيرهن يعم الحياة بأكملها » ومن الشهود
الصادقة على هذا المقال ان يكون نسفيلد الشهير لم يتدرج في معارج المجد ولم
يصل الى منتهى مراتب السؤدد والعلاء التي وصل اليها الا حين عقد قراناً
سعيداً على زوجة وندهام لويس الشهيرة بالبهاء والثراء فمثل بواسطتها في
مشاهد السياسة فصولاً عظيمة اطارت صيته في الافاق حتى طبقت القضاء .
ولما اعتزل الاعمال وارادت الحكومة ان تمنحه القاب الشرف جزاء خدماته
قال : اعطوا كل الالقاب لامراتي لان لها اليد الطولى في كل اعمالى ومثله
غلاستون فانه كان مقراً بالفضل لامراته في شهرته فانها كانت ترشده وتعضده
في اعماله وبين الانكليز كثيرون يعترفون بفضل المبادئ القويمة التي غرسها
امهاتهم في عقولهم فتمت حتى صارت من اقوى العواطف الخاصة .

وتتشرف نساء الانكليز بما نبغ بينهن من نوابغ الممالك اللواتي رأت
البلاد في ايامهن سعداً ونجاحاً واتساعاً ما رأت نظيره في ايام الملوك . ولا

غرو فانكلترا تقدّمت تقدماً عجيباً في العلم والصناعة والقوة في حكم المملكة
 اليبابات واختها ماري واتسع ملكها وعظم شأنها وازدادت ثروتها في حكم
 جلالة الملكة فيكتوريا . وبالجملة فقد قال احد علماء الاخلاق . اذا شئت
 ان تعرف حالة مملكة سياسياً وادبياً يلزم اولاً ان تعرف ماهي حالة نساءها
 فما اجدر الشرقيين المطلعين على هذه الاقوال بادراك فوائد تعليم النساء
 وانا لنهن ما هنّ من الحقوق تدريجاً والنهض بهن من عقال الخمول والذل الى
 قمة النشاط او تعميم المدارس في ارجاء البلاد فهنّ مدار العمران . وهنّ قوام
 الهيئة الاجتماعية . وكفى .

بيوت الانكليز

يجب الداخذ الى بيوت الانكليز مما يراه فيها من الزخارف الكثيرة
 المرتبة على نسق بديع وقد تكون هذه الزخارف قليلة الثمن والقيمة ولكن
 النظام الذي وضعت به ربة البيت يكسبها منظرًا يسر الناظر ويشرح الخاطر
 وهم يزينون حيطان المنازل بالحدود والدروع والقسي والرماح والتروس
 والخنجر والسيوف وبغير ذلك من انواع السلاح والآثار وبصور سباق
 الخيل او صور الكلاب والارانب او صور رجال الاعمال . ويتنافس اغنيائهم
 وكبرائهم بفرش بيوتهم بالاثاث الشرقي وبنوع خاص السجاد العجمي
 وهم يعدون كل غرفة من البيت لعمل خاص بها . فهذه للاكل وتلك
 للنوم وغيرها للتدخين وخلافها للمطالعة الخ . ولهم لكل حركة كرسى
 خاص : فكرسى طويل يجلسون عليه حين المنلجاة السرية او التأمّلات
 الفكرية وكراسى اخرى درّاجة وامامها ادراج للمطالعة او الكتابة واخرى

ذات اذرع للتدخين وغيرها للجلوس عليها حين مناولة الشاي . وبالجملة فكل اداة من ادوات البيت او غرفة منه خصصت بشي لا تتعداه

الاكل والشرب

اما المطبخ الانكليزي فليس في جودة واتقان المطبخ الفرنسي لان اصناف الاطعمة عند الانكليز قليلة جدا . وقد قال فولتير في هذا المعنى . ان الانكليزي يسبح خالقه ويعبده من خمسين وجه ووجه ولا يعرف يصلح خاروفه الا من وجه واحد ولذلك ترى ان طهارة الانكليز هم من الفرنسيين . وهم لا يأكلون بدون شراب ولا يأكلون من الخبز الا القليل ومن اكثر من اكله امامهم عد متوحشاً .

وهم ينفقون على المسكرات اضعاف ما ينفقون على التعليم ولكن اقبالهم على شرب الشاي والشوكولاته قلل عدوى المسكرات فيما بينهم والحكومة قادرة ان تفرض الرسوم الباهظة عليها فتجمل الاقبال قليلا

وقد ولعوا بشرب الشاي حتى صارت العائلات تجسد باجتماعه لشربه اعظم سرور وهو من اللوازم التي لا بد منها في كل بيت . والانكليزي لا يستطيع ان يعيش يوماً واحداً دون شاي كما لا يمكن الاسكوتلاندي ان يقضي يوماً واحداً بدون وسكي او للشرقي بدون قهوة .

ثم ان الشاي عند الانكليز ضرب من الاكرام فاذا دعا احدهم صديقاً له على شربه كان ذلك دليلاً منه على شدة وداده له واحتفائه به

لولا قوة العقل الناتجة عن قوة الجسم لما امكن الانكليز ان يسودوا
 اكثر العالم ولذلك ترى ان شهرة الكثير من رجالهم العظام كانت عقلية وجسدية
 معاً ولقد ادركوا ما للجسد من الحقوق الواجب اتباعها بعد ان اجهدوه في
 الاعمال وعرفوا ان لا دواء له سوى الرياضة الجسدية على انواعها فاشبهوا بذلك
 قدماء اليونان والرومان الذين كانوا يروضون ابدانهم على جميع الالعاب الجسدية
 ليصيروا اشداء اقوياء قادرين على الجهاد في سبيل الاوطان سواء كان بالعقل
 او بقوة الجسم. ولا يتيسر للغريب معرفة حقيقة الانكليزي وهو منهمك على
 الاعمال بل عليه ان يراه وهو في الحلاء في الاماكن البعيدة عن السكن حيث
 يذهب لاستنشاق الهواء النقي المفيد للصحة ويتمتع بجمال الطبيعة فهناك يخضع
 عنه ثوب الرزاة ويجلي صدأ هموم المدنية ويبدل الكتم والوجوم بالبشر
 والسرور ويميل الى ما يميل اليه القلب وي طرح ظهرياً اصول التكلف ويندفع
 باكماله على انواع مختلفة من اللعب تنزه العقل وتكسب الاعضاء تقوية ونمواً
 وتمنع كثيراً من الاضرار العضالة وقد اقاموا لهذه الاعمال الاماكن
 الفسيحة في مدارسهم لتمرين الطلبة حتى ينموا اشداء اقوياء البنية فيقدر العقل
 اعلى اتمام وظيفته ويستطيعوا اذمان السعي والى ساحة لعب من هذه الساحات
 اشار ولستون القائد الشهير وقال وقد رأى الطلبة يلعبون ويمرنون اجسامهم
 «ههنا قهرت نابوليون في معركة واترلو»

ومن يرى جنديا انكليزياً يجب لضخامة جسمه واعتدال قدمه وغلظ
 يديه وقوة عضلاته وعرض اكتافه ووسع صدره مما هو نتيجة الاعمال

الجسدية من جنسيتك وسباحة ووثب وحمل وهذا هو السبب على قدرة الجندي الانكليزي على احتمال الاسفار والاختار والاثبات في المعامع والحروب والمقدرة على احتمال المصاعب الجسمية .

ومن الانكليز من يعمد الى الجري والركض والمشي السريع مراحل من الارض ومنهم من يلعب بالكرة والصولجان العاباً تنزه العقل وتساعد على التنفس بمرور الهواء النقي للرئة وشعبها ومنهم من يمارس الالعاب الجمبازية او يسافر على اكثر انهار ونهيرات اوروبا في مركب يجدف فيه اياماً متوالية حتى اذا عاد من سياحته الف عليها كتاباً عنوانه (اون ذي ريفر) على النهر وفي هذه الالعاب أيضاً اكبر مساعد على نمو العضلات وتقوية الساعدين والكتفين ومنهم من يتروّض على ظهور الصافئات الجياد ويستلب الصحة من نسائم الرياح ومنهم من يعمد الى عزق الحدايق والبساتين كما كان يفعل غلادستون وغيره او يقوم باعمال اخرى تستدعي الى تعبته حتى اذا ما استلقى على فراشه ساعة من الزمن عاد اليه نشاطه الاول وهب الى عمله وهو اقدر عليه من ذي قبل

وانا لشعب اذ نرى الشيوخ منهم ذوي صحة كاملة ووجوه ناضرة وقوة فخرية يبلغ احدهم السبعين من عمره ونشاط الشبان لا يزال ينازع بياض المشيب وقد لا يخطه الشيب لافي رأسه ولا في عارضه وما ذلك الا لان اجسامهم تقضي هذه الحياة براحة وهناء عدا عن كونهم لا يعرفون اسباب الشيب وهي الهم والخوف فهم في غبطة حال وامان وفي مركز يحسد عليهم العالم باسره لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

الرهان

ويتبع الالعاب الرياضية عند الانكليز الرهان على الجياد فليس احب اليهم ولا اقرب الى قلوبهم من فارس صراهن حاز قصب السبق ومما يروى ان هذا الحظ قد ساعد اللورد روزبري ففاز جواده في رهان دربي ويقال ان هذا الفوز اثر في خاطر الأمة فالت اليه باكملها ونال في بعض الانتخابات من مدة غير بعيدة الفوز الذي ناله جواده في السبق

ولا يخفى ان في الرهان فائدة عظيمة للخيول والانكليز يدفعون الاموال الطائلة في سبيل ركوبها وتربيتها والسباق عليها وقد بيع حصان واحد بثلاثين الف جنيه وغيره بعشرين الف وكثير من اكابر الانكليز ولورداتهم لا يذلم غير ركوب الخيل والسباق الا ان هذا الولع العظيم صار يلحق ضرراً جسيماً في الفرسان والمتفرجين فهم يستعملونه كفرصة للمقامرة على من يحوز قصب السبق من الجياد واشهر رهان عندهم هو رهان (دربي) فلا تسابق فيه الا احسن جياد المملكة وقد انشئت شركة هذا الرهان منذ ١٢٠ سنة قام بها اربل دربي ويبلغ عدد اعضاءوها ٢٨٠ عضواً ورأس مالها ١٧ الاف جنيه وجائزة الجواد الاول الفأز خمسة آلاف جنيه وللانكليز ايضاً شغف عظيم بسباق المراكب لا يقل عن شغفهم بسباق الخيل

السياحة

والانكليز اكثر اهل الارض ولعاً بالسياحة والاسفار فترى الاغنياء والامراء منهم يجوبون الاقطار ويشاهدون ما فيها من غرائب الآثار ويقفون على احوال الاجانب في بلدانهم المختلفة وتري التجار منهم يركبون

متنى البحر والبر لجلب الثروة من اماراف الارض الى بلادهم العزيزة لديهم
او لاستكشاف ارض جديدة تصلح للاستعمار وبخلاف ذلك قلما تجد انكليزياً
يرحل من بلاده لتعليم الرسم او الموسيقى كباقي الافرنج

والانكليزي يسافر الى اقصى البلاد بدون ادنى تكلف واتزعاج فيضع
في صندوقه ما يحتاج اليه ولا يضمن بدر ولا بدينار وقد يشير الطبيب
الانكليزي على مريضه بتبديل الهواء في استراليا او في غيرها من المستعمرات
الانكليزية التي يقتضي السفر اليها اياماً طويلة كما يشير طبيب فرنساوي على
مريضه بالذهاب لسان جرمان او الى فيشي او كما يشير طبيب مصري على
مريضه بالذهاب الى حلوان او الى الرمل ولكن هناك يبقى سؤال اخر على
الانكليزي وهو هل اعود من طريق الصين او من طريق امريكا

على أنه يعد قبل قيامه من لوندرا للتجول والسفر الملحوظات الواجب عليه
اتباعها والسير بمقتضاها فيخطط في مذكرة ان في يوم كذا من شهر كذا الساعة
كذا مثلاً يجب ان أكون على قمة الجبل القلاني وقد يتم له ما يريد ويصعد
الجبل الى قمته اذا بقي حياً ولم يصادف منيته ومما يروي من هذا القبيل ان
اللورد ولسلي قال لبعض اصدقائه اثناء حركة الثورة العربية : انني اخضع
الديار المصرية واطي باقدا مي بلاد القراعنه في خمسة عشر يوماً وقد
تم له ما تنبأ به ودخل البلاد في الميعاد الذي حدده

المحافظة على الوقت

وعند الانكليز لكل وقت عمل ولكل عمل وقت فلا يدع الانكليزي
عملاً شرع به ليبدأ بغيره قبل ان يتمه ولا يخلون بهذا الترتيب وهو لازم

جداً ولا سيما حين تكاثر الاعمال ولوزارهم احد وكانوا آخذين في عمل
يعتذرون له بعدم امكانهم على التكلم معه بالنظر لما امامهم واذا وجه لا حدم
سؤال يجيب عليه بنعم اولا . بكلام مختصر حرصاً على الوقت وضناً
بضياعه ضنين بالخيل بماله ومن تجاسر ان يوقف انكليزياً وهو شارع في
سبيل عمل فقد سلبه من الوقت ما لا يثمن وارتكب ذنباً لا يغتفر وعلى ذلك
يرى الداخل لمحال الاعمال عبارة لا تكلم الا فيما يختص بالعمل مصدرة في
كل جهة . والخلاصة ان الوقت عندهم هو التبر الثمين لا يبدونه الا فيما
يستفيدون به مالا او يحسنون عملاً ومن اضاع منه شيئاً فقد عبث بالتبر بل
سلب العمر .

الحزم والثبات

والانكليز ذوهم عالية وعزائم ماضية يتحملون مشاق الاعمال ويستطيعون
ادمان السعي ويشرعون في اعمال ربما لم تكن تقبل النهاية الا بعد مرور قرون
طويلة فالانكليزي يزرع الشجرة في اليوم وان لم يتحقق انه ياكل من اثمارها
في الند وقد يكون افضل الاثمار عنده ابطأها نضجاً فلا الاستعجال يستحقه ولا
الاحتمال يقلقه بل يصبر على الغاية المطلوبة صبراً عظيماً . ومتى فكر في امر
فقبل ان يأخذ فيه يعجم عوده ويسبر غوره حتى اذا رأى منه نفعاً لا يقف
لحظة عين بين جزع وكسل او امل وملل ولا يأخذه في عمله عندل خائف
بل ينكب عليه باكمه بعزم ثابت وهمة غريبة فيبذل كل نفيس ويخاطر
بالنفس فاذا لم ينله تماماً لم يقع في اليأس والقنوط ولم يبطل ما يكون قد بناه
في سنين طويلة بدقيقة واحدة شأن الكثير وانما يزداد في طلبه رسوخاً وثباتاً

لانه اتخذ على نفسه العهد باتمامه فيحارب الموانع ويقتحمها ولا يرتد عنها مالم يذلها ويتنصر عليها او يقضي الله امراً كان مفعولاً .

فسر نجاح الانكايز الثبات في الاعمال . وهذه الفضيلة الانكايزية مفقودة ولا اثر لها عند الامم الاخرى التي تروم الفوز ونيل المراد دفعة واحدة فان حبطت مرة يثبت دواماً بخلاف الانجايز الذين مرت واحاقت بهم متاعب كثيرة لم يجزعوا منها ولا وهت عزائمهم من اثقالها بل حاربوا بما تميزوا به من صفات الحزم والثبات في كل قطر وبلاد

ولعمري لولا هذه الصفات لما نرحوا الى البلاد القاصية واستعمروا الممالك العظيمة واخضعوا القوات القوية واستدروا خيرات الارض فصاروا في مقدمة الامم المتمدنة

التهافت على الاعمال

ومن المبادئ الاصلية المرعية عند الانكايز اعتماد المرء على نفسه فالشاب لا تكاد تنفتح عيناه رشده تحت جو تلك البلاد حتى يبدأ يفكر باصر مستقبله مهتماً شديد الاهتمام بان يحتلب البان ثروته ويساره بنفسه فيتعلم الحرفة التي يميل اليها ذوقه وعقله ويصرف كل قواه الى الغاية الوحيدة التي يسعى لها وبهذه المثابة ترى الانكايز اجمع يهثون اولادهم من الصغر حسبما يختارون لهم في مستقبل الحياة . ذلك لانهم يعتبرون ان توجيه القوى الى غاية واحدة ادعى الى النجاح من تشتيتها . فالانكايزي لا يترك الحرفة التي اختارها ولا يتطال الى معرفة غيرها بل يبذل كل جهده في اتقانها ويصم اذنيه عما سواها فالكاتب مثلاً يبذل جهده في اتقان فن الكتابة حتى ينال

الشهرة المطلوبة فيصير الدر دون كلامه ومنعاص الأولاد دون افكاره والسياسي يهمل العلوم والفنون وي طرح الحب ظهرياً حتى يبلغ في السياسة المقام الأعلى وحتى يتيسر له القيام بمظالم الأمور ومثله الصانع والمكتشف والكياوي والفيلسوف وغيرهم وعلى ذلك لم يكن لنوابغهم الذين نبغوا في افق المعالي في مطالب مختلفة لاند ولا مثيل وقلما احاط بعضهم بالشهرة في كل العلوم مثل باكون وغيره . ومن اخص مبادئهم ان ليس عندهم من الاوهام ما عند الشرقيين من الظن والاعتقاد بان المرء لا يكون شريفاً ما لم يكن محامياً او طبيباً او مستخدم حكومة فهم يعتبرون ان شرف الصنعة يقوم بما يبذل فيها من الاتقان والاجتهاد لا بنوعها فالصناعة مكرمة عندهم اكراماً يشتغل بها اشرافهم وعظماءهم . وتجارهم الآن اغنى تجار الارض يتنافسون في التجارة كما كان يتنافس ابناء مصر في الاستخدام

ولا مشاحة بان الاعمال التي ترقى امة وتحسن حالها انما هي الاعمال التي ثبت بنوها على عملها مع الجد والجهد في تحسينها . وليس الانكليز باهل ذكاء وانما اهل سمي وعمل . كلهم يعتبرون ان الشمس ما انارتهم بنورها الا للسمي وان اقدامهم لا يلزم ان تتحرك الا حيث يوجد مكسب وان لسانهم لا يلزم ان يحرك الا للنفع والفائدة ولا يلزم ان يختلج خاطر الا للمكسب والعمل .

ولا يتيسر للكاتب استيفاء وصف اعتكافهم على الاعمال الا اذا طرق شوارع رجال الاشغال فيها كشارع الستي عند احتدام لظى الاشغال فيه . فهناك يرى مسرح النزاع الحقيقي الذي يتبارى العالم في مضماره جداً وكداً للحصول

على المكسب . ان الغريب القادم اليه يقف موقف الخائر الدهش اذ يرى كل واحد من اهله فاتحاً فيه وعينه لا كل الدنيا وما فيها ويرى الشاب في الادارة شيخاً والشيخ في النشاط والاستعداد شاباً ويرى نهم الخلق شاغلاً لجمهورهم ويرى الكل يعدون للاعمال ولا يلحق لهم غبار

وهم يغالون العالم ويتذنون من يديه الثروة والقوة بتأهيل انفسهم لكل عمل والمزاومة عليه واغتنام الفرص قبل كل مخلوق . يعملون اكثر مما يقولون ولا يهمهم العلم بالشيء ما لم يظهر الى العمل . ولا انقطاع عن العمل سوى في ايام الاحاد والاعياد ويوم الجمعة الكبيرة بيد ان هذه الايام يسمونها بايام الانتباض والاكتئاب فيستصعبون الخمول والكسل فيها ويقضونها بالتفكير واكثرهم يقضيها بالسكر والراح مفضلين بذلك ان يقضوها باى عمل كان من ان يقبوا بلا عمل على الاطلاق . ولا ترى كبيرهم يقول انني كبرت عن هذا العمل بل يلبث يدأب عليه طلباً للزيد الى ما لا نهاية وترى غنيهم يرأس تارة الجمعيات وطوراً الاندية . دينهم العمل . ولعمري ليس للانسان راحة الا بالعمل .

التهافت على المال

وما بلغ الكد عند الانكليز هذا الحد الا لما يتغلب عليهم من الطمع بجمع المال فهم يعتبرون ان الفقر عيب وان المال هو ينبوع القوة ودليل الاستحقاق وثمره الاعمال ومرادف الحرية وان سر الشرف هو المال وان من كان شريفاً وجب عليه ان يكون ذا مال

ولا غرو ان ذا المال في تلك البلاد يمكنه ان يكون عضواً في مجلس

الشورى وان يطرق المنتديات العظيمة التي يجتمع فيها عظماء البلاد واشرافها
ويخطب منهم احدى بناتهم اذا كان عزباً وان .. وأن . وان يجعل النور
ظلاماً والظلام نوراً فظماهم الشديد للمال جعلهم يتهاقون كالنحل على عبادة
العجل الذهبي فلا ترى الانكليزي من الميل مالا لفرنساوي او الشرقي الى تحصيل
العلم وخزنه في رأسه ولا ما للطلاني والالمانى للموسيقى والرسم فلا هو يباهي بما
نظم وصور ولا بتعلمه اللاتينية بل هو يفخر برنين الدنيا فانه على سمعه الذم
عزف المثاني او من ضرب الحور على العيدان .

واذا اعطيت مثلاً خمسين الف فرنك لفرنساوي فهو يضعها في بنك
او يكتفي بان يعيش من ريعها ولكنك اذا تقدت هذا القدر الى انكليزي
فاما ان ينفقها في شهر واحد او يسافر بها الى الكنادا او استراليا او حكومة
الراس حيث يتاع بهارضا يزرعها او يتاجر بها في الانعام واذا قلت لانكليزي
هاك خمسين الف فرنك يجيبك فقط القان بون اعني الفى جنيه ان وقع هذا
العدد على السمع خفيف فهو يلزمه اما الكثير المشبع او العدم .

وقد يفضي بهم احياناً اعتبارهم الشديد للمال الى نقسية القلوب والى
الكفر باحكام الخالق لان من فقد عندهم ماله وكان في محبوبة من العيش
لا يرى من وجوب لتاعب الحياة فيتنحى من الغيظ . ولسان حاله يقول
الموت خير من متاعب الفقر .

وهم لا ينفكون عن اختراع الوسائل الى جلب المال فمنهم من ينزع عن
بلادهم الى اقصى الارض موجهاً كل قواه الى المال ماداً ذراعيه الطويلتين
ليقبض على النجوم ومنهم من يسمى في تقصير حياته فداء المال ومما يروي

ان انكليزيا اعتاد ان يتباع دائماً مع ورقة السفر في السكة الحديد تذكرة تأمين على حياته بحيث لو اصاب بمرض لاقى فيه منيته فان الشركة تدفع ٣٠ ألف فرنك ديتة لاهله ولما لم تصبه المنية التي كان يتعرض لها كان يأسف على بقاءه في قيد الحياة لان عائلته لم تنتفع بمال التأمين

والخلاصة ان اضطرارهم للحصول المال جعلهم ملتزمين بنار الجد ولذلك افلحوا وأثروا وصار ما يكسبه الواحد منهم يقدر بنيف عشرة وعشرين جنيهاً في الدقيقة الواحدة فتدفقت عليهم انابيب الثروة وازدانت تجارتهم وكثرت لديهم الاختراعات والاكتشافات ورأى العقل مجالاً فسيحاً للمنافسة والمباراة فصارت بلادهم معهد جلائل الاعمال ومستودع الاموال وسوق العالم بأسره وصارت مملكتهم مملكة الدينار كما هي سلطنة البحار

ومن اخص صفات الانكايز تمسكهم بالصدق وخصوصاً ضبط الجيش فهم يفتخرون بالصدق في الاقوال أكثر من افتخارهم بالشجاعة في معامع الحروب فاذا قال احدكم نعم اولا كان قوله حجة

وهم موصوفون بحسن المعاملة ولذلك تراهم يتحاشون الاخلال بها فالعامل يحسن عمله بما وسعه والتاجر يأتي باحسن البضائع واجودها حذراً من الخداع والغش الذين ينزهان صيته ويوقعان بتجارته .

*
* *

وقلما يسترسل احدهم في محبة انسان الا اذا عرف منه الاستقامة والجد
فيشق به اذا تحقق استحقاقه للثقة ويأمنه على ماله وعرضه ويسمح لزوجته
وبناته ان يذهبن معه ليلا ونهاراً بلا مانع ولا حرج

*
* *

واذا تقدم المرء لاحدهم بوصية من احد اصدقائه لا يلبث ان يثق به ثقته
بالموصي والثقة سائرة فيما بينهم في الاعمال القضائية ولكن من يكذب مرة
واحدة تخط قيمته ويسقط شرفه ولا يعود يجد على اعادته من سبيل وفي
الغالب يحاكم من يخون عهداً او يحنث في يمين .

*
* *

ومن اخص صفات الانكيز : المجاهرة بالاقوال والافعال الحرة فقلما
ترى الواحد منهم يقتاد لعمل ما اقتياداً ويحكم على شيء لم يعتقده تماماً فهم
يجرون في كل اعمالهم ونصب اعينهم المثل الماثور عن الفريد الاعظم الجاري
لان فيما بينهم الا وهو يجب ان يكون الانكيز احراراً مثل اعمالهم .
وقد منحهم حكومتهم من الحرية ما لم تفعله غيرها من الحكومات
فالسائر مثلاً في بعض شوارع لوندرا او حدائقها كحديقة هيد بارك يقف
موقف الدهش الحائر اذ يرى خلقاً كثيراً مجتمعاً حول رجل قام فيهم خطيباً
يحث على اتباع الفضيلة والاقتداء بالافاضل واذا قصد آخريين رآهم متآلين

على خطيب غيره صاغين له وهو يحث على اتباع اصول الدين وبجانبه غيره
يكفر بالاديان ويطعن بوضعها وغيره يحض الناس على احراق دور الاغنياء
وسلب اموالهم وتوزيعها بالسواء على الفقراء وغيره يطعن بالوزارة والحكام
وينتقد اعمالهم الى غير ذلك

*
* *

وهم لا يتشبهون باعقاب الاقاويل ولا يعرفون القال والقال فقلما ترى
بينهم شريفاً ينم على غيره من الاشراف ليعمي الناس عن ان ترى شريفاً
سواه وقلما ترى تاجراً او غنياً يسخر بغيره من الاغنياء او التجار لكي يفتك
باعتبارهم وقلما ترى نخوراً او فياشاً يثبت بكلمة على انه قتن امرأة بحسنه
ولو كان كالبدور جمالاً او يشير الى سعته ورياشه ولو كان كروتشيلد او سزرند
مالاً او يشير الى حسبه ونسبه ولو كان ولي العهد او يفتخر بعلمه ولو كان من
اكثر العلماء فضلاً فهم بعيدون عن المباهاة والحسد في كل شيء . وربما كانت
كثرة انهماكهم في الاعمال هي التي تضطرهم الى الكتم والعبوث فيظن بهم
الكبر وما كبرياتهم الا في وجوههم لا في الستهم وقلوبهم

*
* *

وهم ينظرون في كل مطالبهم الى الجوهر دون العرض فيعتبرون الفائدة
الحقيقية مجردة عن البهرجة والطلاوة . وقد يعم هذا الحكم كل اعمالهم فان
الواقف امام حانوت من حوانيت لندن الزرية المنظر يخيل له ان ليس فيها

من البضاعة ما يساوي ثمنًا حتى اذا تبينها رأى ان اثنائها تبلغ الوف الوف الجنيات .

ومن هذا القبيل الدخول مباشرة في موضوع الكتابة من غير دياجة والطلب بدون استفتاح مقدمات ومثل ذلك اختصار الصغير في الكلام متى كان يروم حاجة من الكبير .

*
* *

ومن رام ان يكون مع الانكاز على رضى فعليه ان يظهر لهم ان ليس له من غرض في معاشرتهم وانه مستغن عنهم كذلك من اراد ان يكون مكرماً في اعينهم فليترفع عن الدنيا وليظهر الآداب والتهذيب (بما يسمى في عرفهم جتلمان)

*
* *

والكبار منهم يجتنبون كل معرض يمدحهم فيه الناس ويستخفون بالمخاطب متى سمعوا منه سور التجليل والاحترام ويستنكفون الاكثر من آيات التعظيم والتفخيم التي يلجأ اليها اكثر ابناء هذا العصر .
كذلك يهزأون بالتملق المتصاغر لهم مهما اظهروا ارتياحهم له ويحبون الخائن لجرّد منفعتهم ومتى انقطعت أسباب المنفعة انقطعت ايضاً أسباب المحبة فيصير في اعينهم مثال الشناعة

* *

والانكايزي اطمئنان زائد عند وقع المخاطر فمهما اشتدت وطأتها عليه فانه يقابلها طلق الحياء ويقوى على جمع حواسه بلا تردد ولا ابطاء ويخلص منها بكل سرعة وهو يقتحم الاهوال ويتجشم المشاق ليعود عليه الفخر بكونه غيره لقمة جبل سبق . او استنبط اداة او اخترع آلة قبل غيره

* *

وقلما ترى بين الانكايز من لا يعرف طرق الاقتصاد ولكنهم لا يعرفون التقدير على نفوسهم ويكرهون البخل والشح سواء كان الواحد منهم فقيراً او موسراً

* *

وهم لا يهتمون بالحب كثيراً كذلك لا يباليون بالموت الا قليلاً ولا يجودون بالدمع الا فيما ندر فاذا مات الوالد وسئل ابنه احقاً مات ابوك يجيبك بثبات جاش نعم . ولكن ما العمل سنموت كلنا آجلاً او عاجلاً وهم يوارون الميت بالتراب ولا يعودون لذكراه الا اذا كان من رجال الاعمال

* *

وهم يبيدون بمراحل عن الخفة والطيش لا يكشفون ما هم فيه من الحال لغيرهم وقلما يستقصي احدهم من مخاطبه على احواله فلا الجار يعني بامر

جاده ولا يهيمه امر غير نفسه وكل ذي حرفة يقتصر على حرفته وقد يرافق
المرء احدهم اياماً واعواماً ولا يكلمه ما لم يعرف من صديق له
وقد اشتهر الانكليز بالتروي وعدم التهور ولهذا كان خطاهم اقل من
غيرهم بكثير .

وكلمهم يسمعون اضعاف ما يقولون نخير الكلام عندهم مقلّ ودل
ويصيحون آذانهم جيداً عند الاستفهام ويتمهلون عند الجواب حذراً من الغلط
فيجيئون بهدوء وسكينة بدون ثرثرة في الكلام او كثرة في الحركات .

وقد يعد الانكليزي الاستفهام من ابسط الامور ولا يستنكف من عدم
الفهم ولو كرر عليه الامر الواحد مراراً وقد عرف عن الانكليز غلظ العقل
وقلة الفهم رغماً عما نبغ منهم من الافراد الذين تفردوا في ضروب السياسة
والحكمة ففعلوا بحذقهم ودهائهم في اكثر المسائل ما عسر فهمه على رجال
الكون اجمع وكفى بهؤلاء النوابغ دليلاً على سمو العقل ايضاً في بلادهم بلاد
التناقض ومجمع الاضداد .

والانكليزي كما قال احد كتاب الفرنسيين . ابلد الناس في اقواله
ولكنه احكمهم في افعاله فافرادهم لا يصلحون لأمر ولكن مجموع هؤلاء
الافراد كله . قوة . وفهم . وعلم . واقدام . ووطنية .

اعتبار الانكليز لعظماهم

الانكليز اكثر الناس اداركاً بانفاوت الذي اوجدته الطبيعة بين بنينا
واعلم الناس باستحقاق المرء لجني ثمار اتعابه فاذا قام منهم رجال من حضيض
الفقر وارتقوا الى اسنى المراتب البشرية فلا يتهاقون على حسدهم لما نالوه

بخدمهم واستحقاقهم وانما يفاخرون بكونهم نبغوا منهم وفي بلادهم
وتراهم يجلون قدر اولياء الامر منهم فاذا عرض ذكر الملكة على مسمع
الانكليزي في اي زمن ومكان او عزفت الآلات الموسيقية بلحنها يقفون
كلهم كباراً وصغاراً ويرفعون القبعات ويطأطئون الرؤوس ويؤدون كل
احترام واکرام .

وهم اطوع خلق الله لاولياء الامر فالشرطي مثلاً قادر على تفريق الجم
النفير وتسكين تيار الهياج مهما كان باشارة من عصاه القصيرة التي رسم عليها
صورة تاج الحكومة .

وتراهم يقلدون كبارهم في كل امورهم ويتثلون باطوارهم في كل
الاحوال ويجلون مقامهم لدرجة تكاد تكون عبودية فاقاموا لهم التماثيل
والانصاب في كنائسهم ومعابدهم تيجيلاً وتخليداً لذكورهم . فمن يدخل احدى
كنائسهم الكبيرة ككنيسة ماري بولس او دير وستمنستر في لوندرا يخيل له
لاول نظرة ان الانصاب المشيدة في انحاءها هي تماثيل القديسين ولكن اذا تأملها
وأى انها تماثيل قواد الحرب كنلسون وغوردون وغيرهم من رجال الزام
والاعمال . ولعمري ان كل نظرة يرمي بها الجاهل نحو هذه التماثيل لجديرة بان
تنبه فيه قواه الخاملة كما ان مطالعة تواريخ حياتهم تبعث في القلوب حياة
جديدة .

ومن الغريب ان للانكليز ولعماً زائداً بذكر مفاخرهم ومآثرهم وابتغاء
اخف آثارهم فمن ذلك اقبالهم على شراء اجزاء البقرة التي نطحت غلادستون
بأثمان عظيمة وليس اعتبارهم هذا محصوراً في من كان انكليزياً منهم بل هم

يجلون قدر رجال الاعمال الذين قاموا في كل زمان ومكان ويعجبون بهم كما
يعجبون برجالهم ويرغبون ايضاً في احراز اثارهم ومصداق ذلك اعتبارهم
الشديد لنابوليون بونابرت الذي يكاد يفوق اعتبار امته له فقد عرضت
صورته عندهم للبيع فوصل ثمنها الى مائة وخمسة وسبعين الف فرنك وهي
الآن لا تكاد تقدر بثمن وبيعت صغيرة من شعره مفرقة فبلغت قيمتها ٥٢
الفا وخمسمائة فرنك وبيعت سنة من اسنانه بستمائة وخمسة وعشرين فرنكاً
ويقال ان آثار نليسون وذخائره عرضت منذ مدة للبيع فلم تجمع قيمتها قيمة
بعض آثار نابوليون الباقيه الآن في خزائن بعض الافراد في انكلترا فتأمل .

فقراء واغنياء الانكليز

High Life & Low Life

وقد اشتهرت انكلترا بموسريها ذوي الاملاك الواسعة والاموال
العظيمة والمتاجر البعيدة الصيت الوافرة الثروة غير انه ان كان فيها المثلون
الكبار فان فيها فقراء معوزين لا يحصى لهم عديد تراهم يقطنون في بعض
انحاء المدن الكبيرة كمدينة لوندرا يتراكون على بعضهم تراكماً غريباً في بيوت
حقيرة وشوارع ضيقة يشتمز منها الغريب تتصاعد منها روائح كريهة لا يشك
المار انها مصدر وباء ودار بلاء . فانكلترا اذاً بلاد الضدين ومركز النقيضين
ويقال ان ثلثمائة الف عائلة من سكان لوندرا وحدها تعيش الواحدة منها
بدخل قدرة ثلاثة شلينات كل يوم عدا عن الفقراء الذين يقضون ليلتهم في
مدة البرد والجليد يتضورون جوعاً حتى يموت اكثرهم . ويقال ايضاً انه ينام
في كل ليلة في شوارع لوندرا ستة آلاف شخص لا غطاء لهم الا السماء ولا

فراش الأراض

وسبب ذينك الثراء المفرط والفقير المدقع ناتج في بعض الاحيان من طريقة توزيع الإرث عندهم فهم يخولون للابن الأكبر حق امتلاك جميع عقار والده وحده دون اخوته . وحجتهم حفظ كرامة بيوتهم ولذا ترى ان الاموال العقارية تجتمع في ملك شخص واحد يعظم ثراؤه دون الآخرين . وقد احصت جمعية لوندرا عدد المثرين فوجدت ان ملاكي اراضي بلاد الانكليز الاوروية في سنة ١٨٧٧ يبلغ مائتي الف نفس منهم ١٧٠ ألفاً في انكلترا و ٢٠ ألفاً في اسكوتلاندا و ١٠ آلاف في ايرلاندا

وبعضاهة هذا العدد الا وهو مائتا الف لعدد سكان بلاد الانكليز وهو ٣٩ مليوناً ترى عظم البون بين الفقراء وعدد الاغنياء بخلاف البلاد الأخر التي تقايرها في طرق الميراث مثل فرنسا فانها تعتبر الاولاد ذكوراً واناثاً سواء في حق الارث فتقسم الاموال بينهم على السواء يزيد عدد الملاك ويزيد ثراء الشعب وتوزع الثروة وقد وجدوا ان عدد الملاك في فرنسا يبلغ خمسة ملايين ونصف مليون

ثم إن الاحصاء دل ان في انكلترا ٣١٨٤ شخصاً يمتلكون وحدهم ١٥ مليوناً ونصف مليون هكتار من الاراضي (اي نصف اراضي بلاد الانكليز) منهم ٤٢١ لهم ٩ ملايين و ١٥٠ الف هكتار اي ان معدل ما يخص الواحد منهم ٢١٠٠٠ هكتار اولهم الدوك سوزرلند له ٤٨٢٠٠ هكتار في شمال اسكوتلاندا ثم الدوك اوف بوكليه له ٤٦٠٠٠٠ اكر من الارض ثم السير جيمس ماتيزون له ٤٢٦٠٠٠ الف . ثم احد عشر من ملاكي اسكوتلاندا لهم بين ٢٠٠ الف

و ١٥٠ الف اكر مثل الدولك ديفونشير ونورثمبرلند وغيرهم .

ولهذه المناسبة يجدر بنا لان نورد اسماء بعض اغنياء الارض فقد دل
الاحصاء ان اشهر اغنياء العالم جاي غلد في اميركا بقيمة ما يملكه ٥٥ مليون ليبرا
ثم ماي في اميركا ويملك ٥٠ مليون وروتشيلد في انكلترا يملك ٤٠ مليون
وفندربلت في اميركا يملك ٢٥ مليون وجونسن في امريكا يملك ٢٠ مليون
ودوق اوف وستمنستر في انكلترا يملك ١٦ مليون ويقال ان هذا الديوك
سيصير بعد ٢٥ عاماً اغني خلق الله ويصير ايراده ٧ ملايين جنيه في السنة
اذ تصير اليه املاك وستمنستر وهي اغني اجزاء لوندن ويليه في الغنى في انكلترا
الدوق سوزرلند والدوق نورثمبرلند

اما عن ثروة الممالك فان ثروة الولايات المتحدة اعظم من ثروة بريطانيا
المعظمى ولكن شعبها اوفر عدداً من شعب بريطانيا فاذا وزعت هذه الثروة
على الشعبين لبلغ متوسط ايراد الشخص الواحد في الولايات المتحدة الاميركية
٢٤ جنيهاً في السنة وفي انكلترا ٣٤ جنيهاً . وفي بلاد الانكليز ماثا غني
معدودين من الالف غني المشهورين في العالم وقد دل اخيراً الاحصاء بان
نصف ثروة البلاد الانكليزية باسرها في يد الف رجل من رجالهم منهم ١٠٠
شخص يبالغ دخل كل منهم في السنة نحو ٥٠ الف جنيه في الاسبوع اي مائة
واربعين جنيه في كل يوم . واغلبهم من كبار رجال المملكة .

قلناه ان انكلترا هي بلاد التناقض وادل شيء على ذلك حال اغنياء لوندن
المعروفين بالهاي لايف وهم اصحاب الالقاب الشريفة كاللورد والماركيز
والسير واصحاب المناصب السامية كالوزراء والاصراء والاساقفة الكبار وهم

يسكنون في الجهة الغربية من لوندن وليس بين الجنة والجحيم في الآخرة بين التباين كما هو بين شرقي لوندرا وغربها فهنا الفقر المدقع والبلاء المجمع وهناك الثروة الضخمة واليسار المتناهي لآلاف اكبر اغنياء الارض كوستمنستر وسوزرلند وروتشيلد وديثونشير وغيرهم ممن يملكون القناطير المقنطرة من الذهب وممن يعد دخلهم بالدقيقة الواحدة مبلغاً طائلاً يسكن شرق لوندرا

اما عن حال معيشتهم فحدث ولا حرج فهم يتمادون في الشرف ومظاهر الابهة والفخر الى حد لا تدركه الاوهام بمستدرك الفكر فلهم الرياض الغناء الانيقة المشيدة فيها القصور الشاحخة المفروشة بالاثاث الوثير الفاخر والمتاع النفيس من بضائع اهل المشرق والمغرب وفيها التحف والصور التي تدهش البصائر وتحير الابصار مما لا يوجد عند بعض الملوك . ولهم الخدم والحشم والمواجل النفيسة والخيول المطهمة ولهم في طرق الحديد القطارات الخاصة وفي البحر الذوارق والمراكب وفيها سائر اللوازم يسرون فيها للننازه حيث ارادوا ويعدون فيها المآكل والمشارب ماشاؤا الى غير ذلك من ضرورب الاستبداد في العظمة والكبر والمباهاة في الشرف والفخر ويليهم في هذا العيش الرغيد الاعيان اصحاب الاملاك والتجار واصحاب الاقلام والمتشرعون

ومن اخلاق هؤلاء العظام حب الشهرة العظيمة والتهافت على ايجاد الصيت الحسن فتري الغني منهم يجود بالالوف لمعاضدة الاعمال الخيرية كالمدارس والجمعيات وفي امور كثيرة تمود على الامة بالخير واذا مر به فقير يتضور جوعاً لم ير من داع الى مرحمته والاحسان عليه ببعض الشيء يسد

به رmqه لانه يقدم للجمعيات الخيرية مقداراً من المال فلا يهمسه بعد ذلك شيء آخر .

ومن اشهر صفات الهاي لايف الترفع ما امكن عن مخالطة من هم دونهم من عامة بلادهم ولعمري الحق انهم يصيبون فيما يفعلون لان لا شيء في العالم اذل على الاطوار الشنيعة والآداب الخطيطة مثل آداب ادياء الانكليز فهم يعيشون عيشة الهمجية في اعظم البلاد تمدناً وترى ان اكثرهم يأخذ ما يعمل به ايام الاسبوع في آخره ويهرع الى الحانات فيشرب الجمعة والوسكي حتى تبحظ عيناه وينعقد لسانه عن الكلام ثم ينثني الى بيته الخالي من القوت الضروري والاثاث فيقابل امرأة واولاداً يتضورن جوعاً ويحرقون الأرم من البرد القارس فيقوم اذ ذاك الخصام واللكام حتى تصل الحال الى حد تنفطر له كبدا الانسانية ويتوجع لثله الفؤاد وهذا ايضاً اكبر دليل على اجتماع الاضداد وشدة التناقض في تلك البلاد

النسب والشرف والقباه

وللانكليز اهتمام عظيم بالمحافظة على شرف الفروع النخيمة من بيوتهم الكريمة فللنسب عندهم اجلال يفوق الحد فهو مرعي ولو في الثرى ووزرائهم وكبراءهم متأصلون في المجد يرثون الالقاب الشريفة وراثتاً او يتحصلون عليها بعد الجهد الجهيد والتعب الوافر في خدمة البلاد ولكن اكثرهم من الفريق المورث لهم اما الالقاب الشريفة عندهم فهي لقب اللوردية وهذا اللقب على اقسام

اولها . الديوك وهذا اللقب عزيز المنال جداً وليس في انكلترا من

الحائزين عليه سوى افراد يعدون على الاصابع ولا يرتقي اليه الا من صاهر
العائلة المالكة او من افنى العمر في خدمة الاوطان وفاز على سائر الاقران
ونال رضا العباد والبلاد

واولاد الديوك يسمون عادة لوردات ما عدا البكر فانه يسمى ماركيز
في حياة ابيه ويخلفه في لقبه بعد مماته حين يصير عضواً في مجلس الاشرف
فيصير حينئذ ديوكاً

وبلي الديوك في الرتبة الماركيز وهي ايضاً من الرتب الرفيعة العزيزة
التي لا تنال الا بحسن الحظ او فرط الذكاء ثم رتبة الايرل او الكونت
ومعظم لوردات انكلترا حائزون هذه الدرجة مثل روزبري وغيره ويسمى
بكر الايرل لوردّاً وتسمى بقية اولاده باسم العائلة مع لفظة الشريف ثم رتبة
الفيكونت ثم رتبة بارون كرتبة اللورد كرومر وهي اكثر الرتب شيوعاً بعد
رتبة الايرل ومما يستحق ذكره ان الارتقاء الى رتبة اللوردية يوجب عادة
تغيير الاسماء ولذلك كانت اسماء اللوردات الآن هي اسماء الاماكن التي كان
يحكمها اجدادهم او التي رغبوا في الانتماء اليها عند ترقيةهم مثلاً السير افان
بارنج الذي دعى نفسه باسم بلدته الاصلية (كرومر) فصار اسمه اليوم اللورد
كرومر بارون اوف كرومر اعني امير كرومر ومثله غيره واما الذي يمنح
لقب ديوك فانه يولى على اماكن معلومة شهيرة والماركيز اماكن اصغر منها
نوعاً فاذا ارتقى الماركيز الى رتبة ديوك سمي باسم امارة كبيرة من اماكن
معلومة واما اسم العائلة الاصلية فيحفظ الى الافراد فيها الذين لا لقباً شريفاً
رسمياً لهم

مهرجان المحافظ

ومن عوائد الانكليز القديمة العهد المتبعة عندهم المهرجان الذي يقيمه اهالي مدينة لوندن احتفاء بانتخاب محافظ المدينة ويفوض انتخابه الى اعضاء المجلس البلدي ويكون ذلك اليوم من الاعياد العظيمة فتعص لوندرا بالالوف الذين يخرجون للتفرج ويطاف بالمحافظ الجديد في شوارع المدينة في مركبة مذهبة تجرها ستة من جياذ الخيل وهو بملابسه الرسمية الفاخرة وامامه عربية أخرى مزينة وعليها آلات الحرب وما تنبت الارض وتتعطل الاعمال في ذلك اليوم فيسير بجمية المحافظ ارباب المراتب السنية وامامه صفوف شتى من الناس منهم النافخون بالابواق والعاذفون بالآلات الطرب ويدخل المحافظ الى منزله في (الستي) ويعرف (بمنشن هوش) وهذه السرايا معدة لاستقبال المملوك والامراء فيدعوا تلك الليلة الى العشاء عنده الوزراء والامراء والاعيان وقوماً كثيرين ممن اختلفت آراؤهم وتوعدت مشاربهم ما بين محافظين واحرار . وينفق المحافظ على هذه الوليمة اربعة آلاف جنيه واكثرها من جيبه الخاص لان مرتب وظيفته لا يتجاوز العشرة آلاف جنيه وهي لا تكاد تكفيه لما ينفقه في مدة ولايته من النفقات المتنوعة التي تفوق هذا القدر ولكن لجان الطوائف الحرفية والصناعية في لوندرا تساعد على كل ما يلزم . ومن خصائص هذا المحافظ ادارة شؤون المدينة بدون معارضة البتة . وتعد هذه المأدبة عهداً من العهود لا يخاق بالمحافظ نقضها وموعداً للاجتماع لا يجدر بالوزراء الاحجام عنه وقد جلس عليها اللورد بالمرستون واللورد جون رسل واللورد دربي واللورد بيكونسفيلد وكان

أكثرهم يصرح بكلام كان اعظمه وقمًا في نفوس الامة الانكليزية وبالجملة فان
جلوس اولئك الوزراء على تلك المائدة في تلك الليلة صار يعد من الآثار
التاريخية لان اجتماعهم حولها لم ينحصر لمحض الطعام ومعاونة المدام بل لتبادل
الآراء والافكار

ومن التقاليد القديمة المرمية للآن عند الانكليز منذ ٦٠٠ سنة تتويج
ملوكهم على كرسي قديم من خشب السنديان محفوظ مع كرسي اخر في
كنيسة وستمنستر ومعهما أيضاً حجر اخضر من سكو تالاندا يشيرون به رمزاً
الى قوتهم ويزعمون انه هو الحجر الذي توسده يعقوب ابو الاسباط
ويوم التتويج يفرشون الكرسيين بالذهب ويجلسون الملك على اقدميهما .

حب الذات

وحب الذات من اخص صفات الانكليز تفرّدوا بهذه الصفة فكانت
سبباً من اهم اسباب امتداد ملكهم من شرقي الارض الى غربيها وداعياً الى
بسط اجنحة سلطتهم من اطراف اليبس الاسيوي حتى اطراف العالم الاميريكي .
تأصلت فيهم هذه الصفة حتى اشتدّ فيهم الحرص على منافعهم الخصوصية
فصاروا لا يرون غنيمة الا اغتموها ولا فرصة الا اختلسوها ولا باباً الا وجوه
حتى تمّ لهم ما تمنوا ونالوا ما راموا . وصارت الامم على اختلاف اجناسها
تواخذهم على هذا الحب وترميهم بالجنش والطمع الاشهي
على ان من يتأمل في هذا العالم يراه كله في اشتباك ونزاع لا فرق بين
عساكر وصناع ومستكشفين وقسيسين وشعراء وعلماء وطبيعيين وسياسيين
كلهم يتنازعون ويتسابقون الى استجلاب النفع لهم ودفع الضرر عنهم فمن

يسمعه ان يغمض الطرف وينام خالي البال في وسط هذا التسابق العام ولا يسرع مع المسرعين يطوي النهار ساعياً ويحيي الليل عاملاً حباً بذاته وسعيّاً وراء نفعها .

قال احد علماء الاخلاق ما معنى السعي وراء النفع العام او خدمة الانسانية . من يرسل القول جزافاً ويقول انه يعمل عملاً ولا ينظر فيه الى منفعتة الخصوصية إماً بواسطة ظاهرة او مستترة . فهل من الجناح على الام التي تحب اولادها وتراهم بعينها اكثر جمالاً واوفر ذكاءً من اولاد جارتها . وهل من النزاهة ان يترك المرء منصباً عالياً لقريبه ويحرم نفسه منه . وهل من حسن العقل ان يهمل الانسان غنيمةً باردة قدّمتها له معارض الصرف او من العدل ان لا يقتطف ثمرة اجتهاده ام هل تلام الامة التي تسعى لخيرها حتى تصل الى اوج العظمة الذي تستطيعه فما يصح على الفرد الواحد يصح على الامة باكملها لانها مطبوعة على حب الذات وفيها صفات الاندفاع الى جلب النفع لها ودفع الضر عنها . فياحبّها لو كلف الكل بحب الذات مثل الانكليز فيقوم النفع المطلوب ويسير روح الغيرة والتنافس الذي ينجم عنه من الفوائد الجزيلة ما لا يحصى فينشط حينئذ العموم على الدرس ويهجمون على الاشغال وتتنبه قواهم الى الاسفار والاكتشاف والاختراع وغير ذلك . والخلاصة ان محبة الذات من جملة النواميس الطبيعية التي اوجدها الخالق سبحانه وتعالى وجعلها من الدعائم التي تشيد عليها العمران فقادت الانسان عفواً الى الحضارة والى ترقية الهيئة الاجتماعية

الوطنية الانكليزية

يلبث الانكليزي دائماً أبداً حتى آخر رمق من حياته كلفاً بحب وطنه وأينما يسافر يغالي في مدحها ويذكر (الهوم) اي منزله متلذذاً كأن في ذكرها شرب مدام او مغازلة حسان واذا زار بلاداً غريبة او طاف الارض بأكملها من اقصاها الى اقصاها يختم كلامه بقوله ولكن لا شيء احسن من انكلترا بلدي وهو يشتري الساعة الانكليزية باغلى الأثمان وان تكن دون غيرها في الجودة لجرّد كونها انكليزية وان كان تاجراً فهو يفضل ان يبيعك من بضاعة بلاده الانكليزية وهو لا يتكلم بغير الانكليزية الا عند مسيس الحاجة

يقال عنه انه حر وتراه مع ذلك اشد الناس تعصباً في حب بلاده وقد كانت الامثال في حب الوطنية تضرب باهل سبارطه وقدماء اليونان والرومان واما الآن فيحق للانكليز ان يفخروا بان هم هم مثال يقتدي بهم غيرهم من الامم في حب الوطنية في كل زمان ومكان

ولا يوهن من قوتهم ما عندهم من الاحزاب التي تتنازع الرئاسة على مناصب الدولة بين محافظين واحرار فانما يختلفون على الوجهة السياسية داخلياً لا في خارجية أمورهم والجميع على رأي واحد في تعضيد الحكومة في كل امر من شأنه اعلاء النفوذ وتوسيع النطاق وكلهم على اتفاق في حفظ الوطنية والاستقلال لا يختلف آراؤهم الا في اختيار الوسائل الموصلة لها فقط والوطنية عندهم تظهر منهم في كل الاعمال . تظهر من ارباب الاقلام وأولي العلم والنهي

بما يبثونه في الشعب من المبادئ الصحيحة المأدبة عليهم بالنفع ورجالهم العظام الذين نبغوا تحت سماء تلك البلاد قد تهالكوا في خدمتها وتحفوها بثمار عقولهم واعمالهم وحاموا عنها وحافظوا بالذود عن حماها بسلاح الوطنية . كانوا ولا يزالون كلما لاحت لهم فرصة تمكنهم من جلب النفع اليها اقبلوا عليها واعتقوها حتى رفعوا شأنها وعززوا شرائعها على الشرائع الالهية والبشرية معاً . فترى الانكليزي كبيراً وصغيراً رئيساً او مرؤوساً يجري في كل اعماله ونصب عينيه تلك العبارة البليغة التي لفظ بها نيلسون في واقعة ترافلغار ونقشت على العمود الذي أقيم عليه تمثاله في تلك الساحة وهي : ان انكلترا تؤمل من كل فرد من رجالها ان يقوم بالواجب عليه . والخلاصة ان الوطنية عند الانكليز حقيقة طبيعية لا تحتل وجهين ولا يتفق فيها اختلاف اثنين . وهي التي دعت الى عظمة مملكتهم وعدم تغيير عاداتهم وتحول احوالهم رغماً عن كروار الازمنة ونقلبات الظروف .

ديانة الانكليز واعمالهم الخيرية

قال فولتير : ان بلاد الانكليز هي بلاد المذاهب ذلك لأنه لما كان المذهب السائد في البلاد هو المذهب البروتستانتي وكان من اساس هذا المذهب ان يباح لكل انسان التمتع بحرية الفكر في مباشرة فروضه الدينية ترى في بلادهم شيعاً مختلفة كثيرة العدد حتى يصح ان يقال ان كل واحد منهم يعبد الله ويخدمه حسب وحي ضميره .

اما المذهب البروتستانتي فانه اكثر المذاهب عموماً وانتشاراً في جميع المملكة وقد كان امتدادها في اوروبا سبباً لحروب كثيرة سالت الدماء في

ارضها كالانهار وحسبك شاهداً مذبحة ماري برثلماوس سنة ١٥٧٢
في فرنسا .

ولا يخفى ان المذهب البروتستانتي يختلف عن مذهب الكنيسة الكاثوليكية
في العقائد الدينية بامور كثيرة اهمها رفض رياسة البابا وعدم الاعتقاد بالاولياء
والشهداء ولذلك كانت جميع الرسوم والفرائض ملغاة عندهم فلا يزینون
جدران الكنائس بصور القديسين كما يفعل الكاثوليك .

وتنقسم الكنيسة البروتستانتية في انكلترا الى قسمين الكنيسة الاسقفية
الانكليزية او الانجليكانية والكنيسة القسيسية وينطوي تحت هذين القسمين
مذاهب كثيرة وفرق متنوعة

اما الكنيسة الاسقفية فهي كنيسة الحكومة رئيسها الملك او الملكة
ولا ساقفتها ورؤساء اساقفتها حق الانتظام في مجالس الاشراف وتصرف
الرواتب لعمالها من خزينة الحكومة ولها مطرانان احدهما يقيم في كنتربوري
ودخله في العام ٢٥ الف جنيه وهو الذي يتوج ملوك الانكليز وملكاتهم
ومقامه في الملكة بعد مقام الملك ونفوذه عظيم . والمطران الثاني يقيم في
يورك ودخله في العام خمسة عشر الف جنيه

ويقدر دخل الكنيسة السنوي بمبلغ (٧٥٠٠ ٠٠٠) جنيه

ومن القواعد المرعية في المملكة ان الملك لا يتوج الا اذا اعتنق المذهب
البروتستانتي ولذلك ترى اكثر الاعيان والاشراف من الانكليز على
هذا المذهب .

ويبلغ عدد البروتستانت ١٨ مليوناً في انكلترا ومليوناً في ايرلندا

٧٣ ألفاً في اسكتلندا ويبلغ عدد التابعين للكنيسة الرومانية في المملكة الانكليزية وتوابعها (٩٦٨٥٠٠٠) منهم النصف في بريطانيا وايرلندا ولكن الاكثر في ايرلندا ونحو ٢ مليون ٨٥٠ ألف نفس في كندا التي كانت ملجأ لهم ايام الاضطهادات الدينية والباقون منتشرون في اكثر ممالك اوروبا وفي الهند وسيلان وزيلندا الجديدة

والكنائس والمعابد كثيرة منتشرة في انحاء المملكة ففي لوندرا لوحدها (١٥٠٠) كنيسة اقدمها كنيسة وستمنستر بنيت منذ مائة سنة ويبلغ ارتفاعها ٥٥٠ قدماً وعرضها ٢٠٠ قدم كانت قديماً ديراً للرهبان ثم وسعت وجددت وفيها تتوج ملوك الانكاز وملكاتهم وفيها دفن الكثير من اعيانهم وملوكهم منهم هنري الثالث وماري ملكة اسكتلندا ووليم بيت وشاكسبير الشاعر الشهير وفيها تمثال للورد بيكونسفيلد وآخر للورد بامرستون وللكثير غيرهم ثم كنيسة ماري بولص وهي اكبر كنائس لوندن واعظمها شرع في بنائها سنة ١٦٧٥ فتمت سنة ١٧١٠ وبلغت نفقتها (٧٤٧٩٥٤) جنيه وقد جمع هذا المبلغ من عوائد ضربت على الفحم الحجري وهي مبنية على شكل كنيسة ماري بولص بروميا ويبلغ طولها من الشرق الى الغرب (٥٠٠) قدم وعرضها ١٠٠ قدم ولها اربعة ابواب في كل باب قبتان متقابلتان ارتفاع الواحدة ٢٢٢ قدماً والداخل لهذه الكنيسة يأخذه العجب اذ لا يرى فيها سوى تماثيل الملوك والمشاهير من الانكاز وابطالهم ويقام فيها في كل سنة احتفالان شائقان يخصص ايراد الاول لمساعدة ارامل القسس وايراد الثاني لمساعدة المدارس المجانية وهذه الكنيسة هي اكبر كنيسة لبروتستانت والثالثة في العالم بعد

كنيسة ماري بطرس بروميا وكنيسة ميلان

والانكليز على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم اشد الناس صراعاة لقروضهم الدينية يتمسكون بها مثل تمسكهم بعوائدهم وذلك ان لم يكن عن تعبد فهو لغرض ومصلحة . وفي لوندرا نحو ثمانية طائفة ولها مالا يحصى من اماكن الوعظ والعبادة ويجتمع الناس فيها للعبادة في الاسواق والحدائق والشوارع ومع ذلك فالذين لا يدخلون كنيسة من اهلها يزيدون على ثلاثة ملايين نفس عدأ وبها ايضاً جمعيات كثيرة تسعى في نشر الديانة المسيحية بتوزيعها في البيوت الكتب والرسائل الدينية منها جمعية تسعى لنشر الكتاب المقدس وزعت منه منذ نشأتها نحو ١٢٠ مليون مجلد بلغات مختلفة وهي تصرف في سبيل ذلك في السنة الواحدة ما يربو على (٢٥٠٠٠٠) جنيه انجليزى وفي لوندن ايضاً نحو الخمسين جريدة للديانة على سائر مذاهبها وتعط طائفة القسس الناس في المدن الصغيرة ينقاد بعضهم لهم في كثير من الامور بقيادة اعمى

ويجمل الانكليز قدر ايام الاحاد وهم يخصصونها للراحة والعبادة فلا يقبل عصاري السبت حتى ترى الازدحام في شوارع لوندن وغيرها اخذا بالنقصان فنبطل قرقة العجلات ويقوم دوي اجراس الكنائس ولا يجن الليل حتى تعود الحركة بل تزداد عما كانت عليه قبل وتأخذ الشوارع رونقاً ومنظراً لا تراه في اكثر الليالي فتكون اكثر الحوانيت مزدانة وكلها غاصة بالرجال والنساء وبالفعلة الذين يستولون على قيمة اتعابهم مدة الاسبوع فيتدفقون على الحوانيت كالسيل المنهمر ويشترون مؤنة الاحد وايام الاسبوع وتقبل الدكاكين والمخازن في ذاك اليوم وكافة المصالح حتى البوسطة وتبطل

الاعمال وتذهب الناس الى الكنائس ثلاث مرات ولا يعوقهم عن ذلك لا
ثلج ولا برد ولا مطر ومن الغريب ان قطارات سكك الحديد تتعطل في اثناء
الصلاة ومتى اقبل المساء عادت الحركة كما كانت فتفص المنزهات والمسالك
بازدحام الناس وهم في غدو ورواح وفرح وارتياح .

والانكليز اشد الناس ميلاً الى عمل الخيرات ليس في الارض كلها امة
تنفق على عمل اثير والاحسان بقدر ما ينفقون فعندهم الجمعيات الجمة في انحاء
المملكة لا غاة من حلت به نكبة او اصابته مصيبة وفي لوندرا وحدها نصف
و ٨٠٠ محل بين جمعيات خيرية لا غاة ذوي الضيق والفاقة ومحال للصدقة
على العاجزين وجمعيات كثيرة تسمى بتوزيع الصدقة سرّاً على طبقات
مخصوصة من المعوزين واخرى لمساعدة ذوي الكد والكدح وغيرها للصم
والبكم والعمي

وفي لوندرا ايضاً كثير من المستشفيات لتوزيع ادوية مخصوصة مجاناً
هذا عدا عن المستشفيات الخيرية المنتشرة في انحاء المملكة ويقدر عدد
المستخدمين في مستشفيات لوندن وحدها بستة آلاف مستخدم منهم (١٣٠٠)
اطباء شرف يخدمون المرضى مجاناً وفي هذه المستشفيات اجزاخانات تعالج
المرضى وتعطي الادوية مجاناً ولهذه المستشفيات الايراد العظيم تأخذه من
الوقف وقد قدرت المصاريف المتنوعة التي صرفت سنة ١٨٩٣ بخمسة ملايين
من الجنيهات . فتأمل



اللغة الانجليزية وآدابها

اللغة الانجليزية مأخوذة من لغات كثيرة قديمة وحديثة . اشهرها الانجلو صا كسونية والقلطية والنورمندية والفرنساوية والدانيركية واللاتينية وهي لغة سمع وليست لغة نظر فقواعدهما بسيطة ولكن الكتابة الصحيحة فيها صعبة فقد يكتب الانكليزي أحرفاً لا يقرأها ويقرأ أحرفاً لا يكتبها ويكتب حرفاً ويقرأ آخر وهذا ما يوجب على المتعلم سماع التلفظ بها من الانكليز انفسهم

وتألف اللغة الانكليزية من ٣٠٠٠ كلمة منها ٢٩ الف من الاصل اللاتيني و ١٤ الفاً من اللغة الجرمانية ويقسم غراما طبق هذه اللغة الى اربعة اقسام . اولاً قواعد التهجئة وكلها سماعية . ثانياً الصرف وهو يبحث عن اقسام الكلم وتصريف الافعال والاسماء واشتقاقها من اللغات الاجنبية . ثالثاً النحو وتركيب الجمل . رابعاً العروض وهو يبحث عن وزن الشعر .

اما آداب الانكليز ومعارفهم فيكفي ان يقال عنها انها تشبه مصنوعاتهم من حيث الجودة والمتانة . يعتمد كتابهم وشعراؤهم ومؤلفوهم على حقائق الاشياء اكثر مما يعتمدون على التثنيق وزخارف الكلام . ويترك اكثرهم المواضيع التي يريدون الكتابة فيها بلا استهلال ولا استفتاح مقدمة مع امكانهم على التعبير عن ادق المعاني وعن وصف كل خاطر يمر بالخطاير . وقد نبغ منهم كتاب وشعراء فاقوا من سواهم في قوة التأثير على الاخلاق وتهذيب العادات . وهم يدأبون في نشر لغتهم في العالم لتكون واسطة لانتشار مبادئهم

ومتاجرهم وسطوتهم وقد تقدمت هذه اللغة من بدء القرن التاسع عشر تقدماً عظيماً وكثر عدد المتكلمين بها حتى صاروا يقدرون بمائة وخمسين مليون من النفوس وهي منتشرة على مساحة اوسع من مساحة الممالك الانجائزية منها الولايات المتحدة الاميركية . وهي لا تزال في تقدم وازدياد وليس بعيد ان تصير اللغة الرسمية بين المتحدثين وتلي هذه اللغة في الانتشار اللغة الالمانية والروسية ثم الفرنسية

القضاء الانكليزي

الانكليز كما علمت اشد الناس تمسكا بعاداتهم القديمة وقد سرى هذا التمسك الى القضاء فلا ترى لهم قانوناً يتسلط عليه ودليل القاضي الى الحكم عندهم انما هو اجتهاده المبني على العرف والذمة . وهذا بخلاف الامم المتقدمة كفرنسيس والبلجيكيين والاطاليين وغيرهم الذين لهم القوانين المطولة النصوص المفصلة الابواب . لكن عند الانكليز كما عند غيرهم القانون التجاري لان التجارة تضطرهم طبعاً الى السفر والى اكتساب ثقة الامم التي يعاملونها . اما الامور المدنية والمقوبات فلا قوانين لها عندهم سوى بعض اصول عمومية ولذلك كان القاضي عندهم في مقام عظيم وذا راتب كبير لا يحتاج معه الى الرشوة وهم لا يعينون الا ممن اشتهروا بالعلم الواسع والذمة الطاهرة .

وعندهم الجوري (المحلفون) يقضون في اكثر القضايا ويختارون من الشعب وعددهم ١٢ فيجلسون ويسمعون المرافعات ولا يتصلون بالناس الا بعد ان يتداولوا ملياً ويبدا رأيه في القضية مجرداً عن الاسباب ويأتي بعد ذلك القاضي ويطبق هذا الرأي على الوقائع والنصوص ويوضح الاسباب

في الحكم .

وقصارى القول ان الانكايڤ يسرون في قضائهم حسب ما توحى اليهم
الذمة ويرشددهم اليه العقل وتعليمهم في ذلك ان الحوادث والوقائع محتاطة
بظروف واحوال مختلفة لا تستطيع القوانين ان تشملها كلها وتضع لكل منها
حكماً خاصاً قل ذلك اتقوا مرجع الفصل للضمير فانه يستطيع ان يزن كل
مشكلة بظروفها ويضع لها الحكم المناسب . ومتى كان الضمير الطاهر متشبهاً
من عدالته كان الحكم عادلاً بالطبع

الجراند

لم تنتشر الجرائد في مملكة من الممالك او في قطر من الاقطار اوروبية
كانت او غير اوروبية كانتشارها في بلاد الانجايڤ وليست تلك هي المزية
الوحيدة التي فاقت بها الجرائد الاخرى بل امتازت عليها ايضاً بجودة طبعها
وصحة اخبارها وسرعة انتشارها فمن يقاب عدداً من اعداد جريدة التيمس
مثلاً يعجب من اتقان صنعها ودقة ترتيبها ورخص ثمنها وكثرة اخبارها ولا
غرو اذا قال انها اعجوبة من عجائب هذا العصر وطرفة من طرائف ذلك
القطر وتوخيتها الصدق وثبات عزمها اكسبها ثقة الشعب فانه لا يركن الا
اليها وكثيراً ما خدمت هذه الجرائد حكومتها بارشادها ولالة الامر الى طرق
حل المفصلات السياسية والادارية وبهدايتهم سبل الرشاد اذا اشكت عليهم
المسائل الخارجية والداخلية فتشير الى ما يبدو لها من الخلل وتعارض الاقوال
والتعليمات والاوامر واختلاف النظر فيما ينبغي ان يعمل او لا يعمل . وقد
قال في هذا الصدد اللورد روزبري احد فطاحل وزراء انجلترا مامعناه :

« ان جرائد هذا القطر تهدي رجال الحكومة وترجم افكار الامة فان خالفت ذلك تصير غير جدية بثقة الشعب بها ولذا يجب ان تكون قاعدة اصحاب الجرائد كن صادقاً ولا تخف »

وهالك دليل على ان الجرائد الانجليزية انما تخدم وطنها بصدق وشرف ليس لهما مثيل عند اصحاب الجرائد الاخرى ما ذكره الكاتب الشهير المسيو دوفارن في أحد مؤلفاته قال :

في سنة ١٨٤٥ كثر عدد شركات السكك الحديدية كثرة عظيمة جداً لم يهد لها نظير من قبل فانهاالت الطلبات والاعلانات على جريدة التيمس من هذه الشركات العديدة لنشرها في صحائفها لتدعو الناس الى الاكتتاب او الى الاشتراك او . . . الخ . حتى بلغ دخل الجريدة من نشر هذه الطلبات والاعلانات فقط ما ينيف عن ٣٠٠٠٠٠ فرنك في الاسبوع الواحد الا ان مدير جريدة التيمس اذ ذاك آثر تنبيه الامة الى عواقب كثرة هذه الشركات الوخيمة على تلك القناطير المقنطرة التي كانت تنصب في خزائنه كالسيل الجارف فكلف بعض مشاهير الاقتصاديين الراسخين في العلم وبعض ذوي البنوك الذين لهم دراية تامة بالاعمال المالية بتحرير المقالات المؤيدة بالبراهين القوية والحجج الدامغة لرد مؤلفي الشركات الحديثة النشأة اما بالعدول عنها او بالتروي والتأني لتنظر ماذا ستكون عاقبة من قبلها او لخطيط اقوم المناهج اللازم اتباعها لئلا يلحق بهم الخراب والافلاس . نعم انه عند نشر هذه المقالات في جريدته قلت الواردات ونقص دخله الا انه في مقابل هذا النقص اكسب الجريدة شهرة عظيمة جداً لازدياد ثقة الشعب في صدق خدمتها للامة والوطن وقد

انشأت هذه الجريدة في سنة ١٧٨٨ وكان حجمها صغيراً عارية عن الاخبار وفي السنة الثانية لظهورها سجن صاحبها جون واتر مدة ١٦ شهراً لظلمته على البرنس دي غال والدوك كلارنس الا ان الجريدة لم تتأخر ساعة واحدة عن ظهورها وظلت بين عواصف الاهواء وظل صاحبها يجاهد الاخصام ويناضل بعض وزراء وقته مناضلة الابطال حتى كبرت الجريدة وعظم شأنها وكثر قراؤها وصارت تصدر الآن وعدد صفحاتها نحو العشرين صفحة وكل عدد منها يعد مؤلفاً ولكل موضوع صفحة كاملة وهي الآن سيدة الصحف ورئيسة كل من تاجر بالانباء والمقالات السياسية . ومن الادلة على صدق خدمة هذه الجريدة لوطنها عدم مبالاتها بالمئة والخمسين الف جنيه التي صرفتها على تحقيق ما كتبه ضد بارنل وحزب الارلنديين الذين كانوا يتآمرون على الثورة والاستقلال ويشجعون البغاة على ارتكاب المنكرات ودس الدسائس لتقويض اركان الدولة الانجليزية ففضحت امرهم بما كتبه من المقالات الرنانة وواقعتهم في ورطة لم يروا الى الخلاص منها سوى الانكار وطالب التحقيق . فاجابت الحكومة سؤلهم وشرعت ادارة الجريدة تصرف على تحقيق ما كتبه الاموال الطائلة من مثل استدعاء الشهود من اطراف الارض حتى بلغ مجموع ما نفقته ١٥٠ الف جنيه ولم تربح من ذلك سوى تحقيق نبالة غايتها وصدق خطتها . ويدلنا على علو شان هذه الجريدة ما قاله اللورد ليند هورست سنة ١٨٣١ : « ان بارن هو اعظم رجال المملكة سلطة وشوكة » وقد كان بارن وقتئذ مدير جريدة التيمس . وما يحكي ايضاً انه لما جاء صاحب هذه الجريدة الى الامتانة نزل ضيفاً على جلالة السلطان

في سراي يلدر وكان ملوك الارض من مثل شاه العجم وملاك البليك
وامبراطور المانيا وغيرهم يحسبون مقابلته ومحادثته من اكبر دواعي الحظ
والسرور

ولا يشك الخبير ان الجرائد الانجليزية هي صاحبة النهى والامر ليس
لقولها راد ولا معارض فهي القزالة الفعالة القادرة لا تبيع ذمتها
بارخص الاسعار فتدور كيفما دار الدينار مثل فريق من الجرائد في بعض
الاقطار بل تراها دوماً ناهجة منهجاً واحداً منذ نشأتها لا تحيد عنه ولو كان
دونه الموت فلا اتوخي الا صدق خدمة الشعب والوطن

ولو ان اسعار هذه الجرائد زهيدة جداً فضلاً عما هي عليه من دقة
الطبع وجودة الورق وكثرة الاخبار الا ان دخلها عظيم جداً فقد روى
الكتاب الانجليزي سكوت ان دخل احدى الجرائد الانجليزية التي تنشر في
لندره وتباع بخمسة مائات بلغ سنة ١٨٨٤ ما يأتي : معدل مصرف السنة
من ٦٥٠٠٠٠٠ فرنك الى ٦٧٥٠٠٠٠ فرنك مكسب صافي من ١٣٧٥٠٠٠
فرنك الى ١٥٠٠٠٠٠ فرنك فيكون في مدة الثلاث مائة وثلاثة عشر يوماً التي
تصدر فيها الجريدة في السنة الواحد هكذا مصرف يومى : ٢١٥٠٠ فرنك
ومكسب ٥٠٠٠ فرنك فتأمل وقد كانت جريدة الدايلي نيوز التي تصدر في
لندره فاتحة الجرائد الزهيدة الثمن ثم حذت حذوها جرائد اخرى كثيرة

ومكاسب هذه الجرائد غير مقصورة على قيم الاشتراك لان هذه القيم
قليلة جداً بالنسبة الى المصاريف التي تتحملها . فان جل مكاسبها من درج
الاعلانات والطلبات الخاصة بالتبائرات والوكالات والشركات التجارية

والمدنية والاقتصادية والبنوكه واخبار المواليد والوفيات والمعارض والملاهي والسباق واعلانات الواپورات البحرية والبريه ونشر الاعلانات القضائية الخاصة بالحجر والبيع وما شا كل ذلك على ان مصاريفها عظيمه وكفانا شاهداً كثرة ما تدفعه جريدة التيمس الى مكاتبها بباريس وڤينا وبرلين واسلامبول وسان بطرسبورج فان رواتبهم تنيف عن رواتب الوزراء . فراتب مكاتب باريس خمسة آلاف لير سنوياً مع قصر نخيم يقيم به على نفقة الجريدة لا يليق الا بالملوك ولهؤلاء المسكاتين مقام كبير سام لدى الامه الانجائزيه وهم يتخبون من رجال العلم والسياسه الذين سبكتهم تصارييف الدهور ونجذتهم الامور فعرفوا اساليب الاستشار بالقلوب واسترقاق العقول ببلغ الكلام وعظيم الدهاء وشائق التعبير

وقد امتازت الجرائد الانجائزية بشدة العناية باستجماع الاخبار من مواطنها وسرعة نشرها ولو كان دون ذلك بذل النفس والنفيس ودليلنا ما كان من امر مكاتب جريدة التيمس المسمى ارشيبالد فوريس في سنة ١٨٧٠ لما استوت لظى الحرب بين الامه الفرنسيه والامه الالمانيه فانه كان يرسل لجريدته اخبار الوقائع الحريه ساعه بساعه تلغرافياً حتى لجأت الجرائد الفرنسيه الى نقل اخبار تلك الحرب المشومه من الجرائد الانكليزيه ودرجها باعدادها وكان الانجائز في هذه الحرب وفي غيرها يعدون ما مضى عليه اكثر من اربع وعشرين ساعه قديم العهد غير جدير بالالتفات اليه . مع انه ربما يكون الشعب الفرنسي جاهلاً ما مضى عليه يومان او اكثر ومن ذلك ان جريدة الدايلي تلغراف عرفت بانتصار اللورد كيتشنر

سنة ١٨٩٨ على الدراويش قبل ان عرفت الحكومة الانكليزية نفسها
ومنها ايضاً ان المستر غلادستون الخطيب المصقع الانجليزي والوزير
الزائع الصيت بعث في سنة ٩٢ الى جريدة امريكيه مقاله خاصه بالمسألة
الايرلانديه تلك المسئلة التي شغلت افكار السياسيين الانجليز فلم يستطع احد
منهم حلها حلاً مرضياً (وهي الآن موضع البحث والنظر والمناقشة في إنجلترا)
ولما كانت جريدة التيمس من الد خصوم المستر غلادستون لا سيما فيما يتعلق
بتلك المسألة رغبت في الحصول على تلك المقالة ونشرها قبل الجرائد الأخرى .
ولذلك اتفقت مع مدير الجريدة الامريكيه على ان يرسل لها تلغرافياً ٢٥٠٠
كلمه من مجموع كلمات مقاله البالغ عددها ٤٨٣٣ كلمة . فظهرت مقاله
في اعمدة الجريدة مفسرة بالقول الجلي الواضح

وليست جرائد لوندريه وحدها صاحبة النفوذ فان لكل بلد من
المقاطعات والاقسام الانجليزية جرائد خاصه بها ربما تمتاز عن جرائد لوندريه
في دقة اخبار المقاطعه التي تظهر فيها ولبعضها شأن كبير ومقام رفيع بين
الشعب الانكليزي وهي في درجة تستطيع بها منافسة جرائد لوندريه وبجاراتها
في استجماع شوارد الاخبار من سحيق الاقطار كجريدة مانشستر جوارديان
وجريدة دينوبول كوريه . وكثير غيرها وكلاهما منتشره في البلاد الانجليزية
وسائر البلاد الاوروبويه والاميريكيه ولها من علو الشأن ما جعلها ان تضاهي
اكبر جرائد عواصم اوروبا وجريدة مانشستر جوارديان مكاتبون مخصوصون في
البلاد الاوروبويه الشهيره ولها مكتب خاص في باريس عاصمة فرنسا ووكالة
وساوك تلغرافية خاصة تربطها بلوندريه . ولديري الجرائد الانجليزية عناية غربية

في صون سمعة جرائدهم تضاهي عناية اصحاب المحلات التجارية في لندن او
ليشربول في المحافظه على اسم المحل او السعي في اعلاء شأنه وازدياد قدره
فيسمون دائماً في البحث عن صحة الاخبار الوارده لها من غير مكاتيبها ولا ينشرون
الا ما وافق مشرب الجريده والذوق الانجليزي فينقون العبارات ويطلونها
بطلاوه تأخذ بلب القارئ خشية ان يمسه ملال او كلال والمقالات السياسية
بها تكون غير ممضاه دلالة على ان ذلك كلام الجريده ورأيها ومشربرها ومطلبها.
وتحاشى هذه الجرائد نشر المقالات التي بها طعن شخصي او هجو او سباب او
غير ذلك بيد انها ترى وجوب الطعن في الاراء والمناقشة في صحتها وفسادها
والمناظرة في المواضيع السياسية والاقتصادية والعلمية والصناعية لان ذلك انما
هو من مميزات واجبات الجرائد وبها يتنفع القارئ كثيراً فيزداد بسطة في
العلوم بالمسائل الداخلية والخارجية التي لها عنده شأن كبير

وخالصة القول إن غرض الجرائد الانجليزية انما هو الاحكام والافعال
دون الاشخاص وهذا هو عين الصواب فما دامت الجريده لا تتجاوز دائرة
الاحكام والافعال في انتقادها بلا تعرض للاشخاص بالذات فلا لوم عليها
ولا تثريب ولا خوف ولا تأنيب

والحكومه الانجليزية اكثر الحكومات كسباً وربحاً من جرائدها لانها
اكثر جرائد العالم انتشاراً وعدداً واوفرها مواداً وعدداً فقد دلّ الاحصاء
انه في سنة ١٨٩٤ بلغ عدد الرسائل التي تصدرت في داخل البلاد الانجليزية
٢٠٠ ٠٠ ٠٠ ٢٨٩ ٠٠٠ (بليونين وسبع مائة وتسعة وثمانون مليوناً ونصف مليون)
اي انه يخص منها كل فرد من سكان انجلترا ٧٢ رساله

وارباب هذه الصحف من اعظم الناس ثروة فقد بلغت التركة التي توفي عنها المستر جون ولتر احد اصحاب التيمس اكثر من مئتين وسبعة وسبعين الف جنيه . وتوفي قبله المستر ادورد ليود عن تركته قدرها خمسمائة وثلاثة وستون الف جنيه وبلغت تركته المستر ليثي من اصحاب جريدة الدايلي تلغراف نحو اربعمائة وخمسة وسبعين الف جنيه وقس على هذا ثروة اصحاب الجرائد الاخرى الشهيرة

ومما هو حري بالذكر عن جريدة التيمس ان البارون هوش وهو من اغنياء الارض وصاحب جريدة الدايلي تلغراف والبال مال غازت وسان جمس غازت وغيرها حاول ابتياع جريدة التيمس صراراً فعاد عنها لما رأى ان اصحابها لا يبيعونها باقل من خمسة ملايين جنيه فتأمل

ويبلغ عدد صحف الاخبار في بلاد الانجليز نحو ٢٣٠٠ جريدة . منها ٥٥٥ في لندن . اشهرها التيمس . الدايلي نيوز . الستاندرد الدايلي كرونكل . بال مال غازت . وستمنستر غازت . سان جمس غازت . وثمان العدد الواحد من هذه الجرائد بني او نحو نصف غرش ما خلا التيمس فان ثمنه ثلاثة اضعاف ثمن غيره وليس في انجلترا جريدة تضاهي جريدة نيويورك هرلد الاميركية في انتشارها وكثرة عدد قرائها فهي تباع كل يوم ستماية الف نسخة وتصدر الجرائد في اوقات معينة من النهار فاشهر جرائد الصباح التيمس وهو ليس متشيعاً لاحد الاحزاب والديلي نيوز وهي جريدة الاحرار . والستاندرد وهي لسان حال المحافظين والمورنج پوست وهو لسان البلاط الملوكي . ثم الديلي تلغراف واشهر جرائد المساء بال مال غازت وسان جمس

اما المجلات الاسبوعية فكثيرة العدد واكثرها يسرد الحوادث المحلية
 واهم اخبار الاسبوع السياسي ثم يتبعها بعض نوادر تاريخيه او روايات غرامية
 وتأتي بعدها المجلات الشهرية والغالب منها لا يبحث الا في المسائل السياسية
 والاقتصادية . ومن المجلات الانجليزية ما يظهر كل ثلاثة اشهر مرة واحدة
 واكثرها انتشاراً وابعدها صيتاً اثنتان مجلة ادنبورج ومجلة كوارنرلي
 وموضوع بحثهما قاصر على الانتقاد والتاريخ ليس الا وقد صرّ على هاتين
 الجريدتين ثمانون حولاً حازتا فيها مجداً ونحراً

مبرات انكلترا

ومما هو جدير بالذكر ان انكلترا لم تهرق في سبيل امتلاك الاملاك
 الواسعة سوى دم القليل من رجالها فالهند مثلاً ما امتلكتها الا بمساعي الشركة
 التجارية اعني بمساعي عدد قليل من تجارها وهي لا ترسل الى المستعمرة متى
 اُتمت فتحها الا نفراً قليلاً من رجالها يعدون على الاصابع يستلمون زمام امور
 البلاد واحكامها ويتمدون الحكمه والسداد بين الاهلين ونقير العدل
 والمساواة وينشرون لغتهم وآدابهم .

وانكلترا هي البلاد الوحيدة التي تسمح لكل بضاعة اجنبية بالدخول لها
 ولا تضرب عليها الرسوم ما عدا المواد المهربة

وانكلترا اصبحت الآن كما قال المستر بافور سنة ١٨٩٠ متجهماً للفقراء
 والمعوزين الاجانب من كافة النحل والمذاهب والفقراء الاجانب في انكلترا
 اوفر عدداً منهم في غيرها واكثرهم يفدون ببضائعهم التي لا اثر لها ولكن
 الانكيز لا يخشون منهم ضرر المباراة ولا يرون من مقتضى اسد ابواب

البلاد دونهم.

وقد اتت انكثرا منذ مائة سنة تقريباً بعمل جليل نشأ عنه تأثيراً بيناً عظيماً في حال الهيئـة الاجتماعية الا وهو نسخ الاسترقاق فقد تألفت منذ مائة سنة في لوندرا جمعية عنوانها جمعية تحرير الرقيق وكان من دأبها التصدي للاسترقاق فرفعت الى البرلمان مطالب لم يقر عليها خوفاً على الهند فلم تخط عزائم تلك الجمعية وساعدتهم الاقدار فكان لهم ظهير ونصير خطيبان مصتعلان من اعضاء البرلمان وهما فوكس وبورك فكانا يشنعان في الخطابة على تلك التجارة ويلمسان النهي عن تعاطيها ولم يزالا حتى استملا القلوب وصدرت الارادة بنسخ الاسترقاق في بعض الجزائر الانكليزية سنة ١٨٠٧ وسيرت السفن الحربية الى بحر الهند تقطع الطريق على المراكب الحاملة للرقيق وانتدبت خطباء اعلام نادوا بالاخاء الانساني وبيذوا سوء حال الرقيق وضكـه وجور التجارة عليه وسوء معاملة النحاس له فوقع الخطاب بمجامع القلوب واهتز البرلمان رافعةً وحناناً فنسخ الاسترقاق من جميع المستعمرات وتم اعلان ذلك رسمياً سنة ١٨٣١

ثم تخابرت انكثرا مع باقي الدول الاخرى وحملتها على نسخ الاسترقاق من مستعمراتها ايضاً برسائل تجميع القلوب على الارقاء وسوء حالهم وسوء معاملة الجلابين لهم فهاجت الدول واجابت دعوة انكثرا بالتلبية وعقدت معها المعاهدات في تحريم تلك التجارة وكانت مصر من الدول المعاهدة ايضاً فهذه اعظم حسنة يحفظها التاريخ لانكثرا الى الأبد وهي لا تزال تسعى في نسخ المظالم والشرور التي تحمل بالجنس البشري فتتصر كل امة مظلومة

برنس اوف ويلس

Prince of Wales

هو البرنس ألبرت إدورد أمير ويلس ولي عهد الملكة فيكتوريا ملكة المملكة الانكليزية وامبراطورة الهند . ولد في قصر بكنهام بلندن في التاسع من نوفمبر سنة ١٨٤١ ونشأ في ظل والدته وتربى احسن تربية وتهذب اكمل تهذيب في كلتي اكسفورد وكمبريدج ونال منهما لقب دكتور في الشرائع المدنية وهو بمثابة دكتور في العلوم كلها ونال أيضاً مثل هذا اللقب من مدرستي دبلين وكليكو تا جامعتين .

وفي سنة ١٨٦٣ اقترن بالاميرة الكسندرينا كريمة ملك الدانمرك . وقد ولدت هذه الاميرة في سنة ١٨٤٤ وما بلغت السادسة عشرة من سني حياتها الزهراء حتى اشتهرت ببهاءها وجمالها كما اشتهرت بمحامد صفاتها وسمو آدابها وكانت تسوح مع ابوها في عواصم اوربا فاتفق ان تقابلت بالبرنس اوف ويلس صراداً فاحبها وخطبها الى ابوها . وقد سر كثيراً الشعب الانكليزي والدانمركي بهذه الخطبة ولما آن اوان الزيجة قوبلت العروس بمزيد الرعاية واللفظ ورحب بها الشعب الانكليزي اعظم ترحيب إلا ان الملكة لم تشارك شعبها في افراح الزفاف بل اكتفت بحضور حفلة الاكليل في كنيسة ونذور بثوب بسيط من الحرير الاسود مراعاة لحدادها

واعترى البرنس في سنة ١٨٧١ حتى تيفوسية فشمل القلق الانكليز كلهم واعتراهم الخوف على حياته التي ظلت مدة بين اليأس والرجاء فاقاموا الصلوات



البرنس دي غال



البرنس دي غال وعائلته

في الكنائس والمعابد حتى من الله عليه بالشهداء فطبقت البشائر انحاء المملكة في الرابع عشر من شهر ديسمبر وهو اليوم الذي توفي فيه والده البرنس البرت وكان يتشاءم منه الانكليز فانقلب الكدر في ذلك اليوم سروراً والتشاؤم تفاؤلاً بالخير وتم الفرح بظهور البرنس للشعب بجانب والدته في عربة ومروره في اكثر شوارع لوندرا التي زينت بزينات نطقت بما كان يحتاج افئدة الرعية من الاخلاص والمحبة . ثم توجه في ختام ذلك الى كنيسة القديس بولس حيث اشترك مع الملكة ١٥ الف نفس من اعظم المملكة بتقديم الشكر لله وقد كتبت الى شعبها تقول انها تجمل ذلك اليوم تذكراً ابدياً لتوثيق عري المحبة بينها هي وبين عائلتها وبين شعبها

ورزق البرنس من زوجته بولدين البرنس فكتور ولد سنة ١٨٦٤ وتوفي سنة ١٨٩٣ وجورج دوك يورك ولد سنة ١٨٦٥ وهو ولي عهد . وسوف تأول ولاية العهد من بعد هذا الدوك الى ابنه البرنس البرت بن دوك يورك ولد سنة ١٨٩٤

ورزق ايضاً البرنس من زوجته بثلاث بنات بارعات في الجمال كاهن ومحبات للبر والاحسان مثلها

وساح البرنس في الهند والولايات المتحدة الاميركية وكندا والشام ومصر وهو ينتقل على الدوام في عواصم اوروبا .

وله القباب كثيرة منها « برنس اوف ويلس » « وال لشستر وكرك وديلين » « وقهرمان اسكوتلاندا » « ودوك كرنول » « وبارون رنفرو » « ولورد الجزائر » « وشفاليه الكارتر » وقومندان كوكب الهند العظيم ومنعم عليه

بصليب سان ميخائيل وصليب سان جورج وله القاب كثيرة عسكرية
وقد جعل في سنة ١٨٧٤ الاستاذ الأكبر للمحافل الانكليزية فاستعزّت
به الماسونية وناب عن ابيه بعد وفاته في رئاسة اكثر الجمعيات العلمية الادبية
والصناعية ويثوب مع قرينته عن والدته في اكثر الاعمال فيفتح الخطوط
الحديدية والجسور الكبيرة ويضع حجر الاساس في كل بناء عظيم . ومعلوم
ان في رئاسته هذه اكبر واسطة لترقية الصناعة وتنشيط العلوم وتوسيع
نطاق التجارة

وقد جمع احسن الصفات على اجمل ذات وتوفرت له اسباب الترف
واحاطت به دواعي العظمة والكرامة . يتفانى الانكليز في مرضاته وينظرون
له كزعيم الشرف وقائد الهيئة الاجتماعية ويتمثلون به في كل اطواره . واشتهر
عنه التواضع واللفظ وطيب القلب والميل الى المحاضرة والموائسة وكان
يتبع مدارج السياسة خطوة خطوة ويراقب اعمال الحكومة بعين ساهرة
لا تنام وهمة امضى من حد الحسام واخذ في هذه السنين الاخيرة يبسط
نفوذه ويقول كلمته في كل امر حتى اصبح الملك الحقيقي . وسيرت بعد امه
اعظم الممالك ويحكم اقدر الامم .



الديوك اوف يورك
ولي عهد البرانس دي غال

مشاهير الانكليز

« Great Men »

ان مشاهير الانكليز رجال نبغوا بين اقرانهم فجازوا حدود المهارة والبراعة فكان نبوغهم سبباً لارتقاء مملكتهم وامتهم فتفرد السياسي منهم بدهائه وبعد نظره واصابة فكره واحكام رأيه وعلو كلمته وجمع القوة في يده فاتخذها نصيراً لحكمته فنال معها مراده وفاز بمبتغاه وترك كل سياسي ينظر الى عمله نظر المتعلم منه المقتبس من طرقة . وتفرد عالمهم بانصابه على علمه وايغاله في مجاهل كل مكنون محجوب عن العلماء الاخرين فجاء بالحقيقة تنير الافكار وتبهر الابصار وتؤيد العمران وتعلم الانسان . وتفرد ادبيهم بالادب الناصع . والفضل الالامع . وكاتبهم بالفصاحة . وخطيبهم بالبلاغة . وسائحهم بالايغال والمباعدة . وبحريهم بركوب الاخطار . وجنديهم بثبوت الجأش والجنان وقائدهم بالمهارة . وصانعهم بالخلق . وتاجرهم بالدقة حتى اجتمع لهم من هؤلاء النوابع ما لم يجتمع للامم الاخر التي اذا عنز جندبها ذل عالمها واذا نبغ ادبها بكلم خطيبها واذا ضحك لها الدهر يوماً عبس اياماً . فالانكليز اذا مات منهم نابغة قام نابغة يرثه ويتم عمله وهكذا حالف نشاط ابنائهم وثباتهم ايام الدهر والمصور . ولقد اتينا على ذكر اعظم الرجال في خلال حديثنا عن هذه المملكة واشرنا الى ميالهم من الفضل في العالم وعلو المكانة عند امتهم التي اقامت التماثيل تخليداً لذكورهم وعملهم وتذكيراً للسلف بفضل الخلف ونذكر هنا ترجمة حياة بعضهم في فصل على حدة نختم به الكتاب اتماماً للفائدة واذا فاتنا الاحاطة

بالجميع اجترأنا على البعض

« كرمويل »

« Cromwell »

هو حامي حتى جمهورية انكلترا واصل الثورة الانكليزية .
ولد في الرابع والعشرين من ابريل سنة ١٥٩٩ في مدينة سانتجون وكان
ابوه من ذوي اليسار واصحاب الاملاك وامه من العائلة الستيارية الشهيرة
فدرس اولاً في مدرسة بلده واتم في مدرسة كمبريدج
ثم قدر له ان يفتح عيني رشده بين اناس لاهم لهم سوى التعمصبات
الدينية فاثرت هذه المبادئ في افكاره تأثيراً عظيماً ونشأ متعصباً واخذ يتردد
على قسس الطائفة الانجيلية حتى اشتهر امره مع حداثة سنه في قريته والبلاد
المجاورة لها وانتخب في سنة ١٦٢٧ عضواً في البرلمان فظل فيه حتى حله وقتئذ
الملك ثم عين قاضي صلح لبلده وما يجاورها .

ولما شرع كارلوس الاول يثير الاضطهاد ويكره اكثر الكاثوليك
الى هجر الاوطان والتماس حرية الدين في امريكا كان كرمويل مع غيره
من اعظم المملكة على اهبة الرحيل فصدمهم الملك عنه فاضمروا له الشر وكان
ايضاً النزاع قائماً على قدم وساق في داخلية البلاد والامن مفقوداً منها والملك
في خصام مستمر مع اعضاء البرلمان الذين كانوا يحاولون نزع السلطة المطلقة
عنه واستمر الحال على هذا المنوال حتى تألفت الاحزاب المختلفة فتمكن
كرمويل في ذلك الوقت من اتخاذ الوسائل لبلوغ آمال كثيراً ما هجس بها في

عالم الخيال فعرّض نفسه لشر العواقب والاختار وانضم الى حزب البرلمان الذي كان مؤلفاً من بعض وجهاء المملكة وغيرهم من عامة الشعب وارباب الحرف والصنائع واخذ يحرك على العصيان ويضرم نار الفتنة حتى ثارت الحرب الاهلية فرأى ان حزب البرلمان لا يستطيع الثبوت امام جيش الملك فترك لوندرا وطار الى اقاليم انكلترا الشرقية التي ربي فيها واخذ يسعى بكل جهد وحمة بين فلاحها حتى جمع منهم رجالاً أشداء اقوياء كون منهم جيشاً فدر بهم في اقرب وقت على كل ماتهم معرفته من طرق الحرب وأطاعوه طاعة عمياء وفاز بهم على الملك وجيشه في موقعتين عظيمتين احدهما في مارستين مور سنة ١٦٤٤ والاخرى في ناسبي سنة ١٦٤٥ . ثم ضايق الملك حتى اضطره لان يسلم نفسه اذ لم يجد له مناصاً للخلاص ووضعه في قصره تحت الحجر ثم طلب من اعضاء البرلمان الحكم بقتله فقاومه البعض منهم فقهرهم وانتدب غيرهم ممن يوافقونه واقام امامهم محاكمة الملك فظهر لهم انه خائن يستحق الموت فاضطرب الكل من هذا الحكم ولكن لم يستطع احد ان يحرك ساكناً لان هيبة كره ويل وقوة جيشه منعت كل عصيان وشقاق وهكذا قطع رأس الملك امام قصر ويتهول . فلما ان خات سدة الملك من ملك تألب حوالي كره ويل الاشراف واكابر المملكة ونادوا بالجمهورية واقاموه مديراً ورئيساً لها واطلقوا عليه اسم حامي حي جمهورية انكلترا وكانت الحفلة لارتقائه ذاك المنصب عظيمة تقرب من حفلات تويج الملوك فقال له احد اصدقائه : ألم تر هذا الاختفال من العامة بك ايها المحامي فقال ان هؤلاء الرعايا لا يلتفت الى تعظيمهم ولا الى تحقيرهم فهم تبع للغالب فلو اخرجت في مثل هذا اليوم للقتل لكانوا خرجوا

الى التفرج عليّ مثلما خرجوا الى الاحتفاء بي الآن . ولم يثمل كرمويل من هذا
 الفوز العظيم بل استمر محافظاً على ما كان عليه من اصالة الرأي والحزم يدير زمام
 الاحكام ورئاسة الجيوش فارفع قدره وانتشر ذكره ووقعت هيئته في قلوب
 الشعب وما زالت سطوته تمتد في البلاد حتى استولى على زمام المملكة فأثر اذ
 ذلك الاستبداد في الاحكام وساس البلاد كما قال احد المؤرخين بعضا من
 حديد واخذ الثورة التي اثارها هو بنفسه وكان من اهلها الأولين والآخرين
 وروي بعض المؤرخين ان خصومه كانوا وقتئذ عديدين ولذا كان يلبس
 درعاً من الحديد تحت ثيابه حذراً من غدرهم . وقد اعترضه بداءة بدء على
 استبداده في الاحكام اعضاء البرلمان ولكنه لم يصغ الى اعتراضهم بل اقالهم
 من مناصبهم واقام غيرهم ممن كان يأنتمهم ويعول عليهم . ولبت مصرّاً على
 عزيمته متشبهاً بغايته والسعد والتوفيق يخدمانه حتى مال الى التسلط المطلق
 وطمح الى التاج الملوكي لينقله لذريته من بعده بيد انه تخلى عن هذا القصد
 لما كان يحرق به من الاخطار واعلمه بان ارب انكائرا الذي لا بد لها منه ان تكون
 محكومة من البرلمان بحسب الطرق والرسوم .

وقال بعض المؤرخين : ان القلوب لم تتعلق بكرمويل بل اعتبره الجميع
 كواسطة غير مرضية لم يكن لهم خير منها ولو تخلى يوماً عن السلطة التي
 جازها بقوته واقتداره لاضطر ان يعود اليها في الغد لانه لم يوجد اذ ذلك
 مثله من يصلح لادارة الاحكام ولاجراء النظام والعدالة بين جميع الاحزاب
 وقد بلغ من التفنن في ضروب السياسة والمكر ما يعجز الواصف عن وصفه
 وكانت آية في اصالة الرأي والعزم والاقتدار في مدة الاربعة اعوام التي

حكم فيها جمهورية انكلترا ومات محمومًا سنة ١٦٥٨ وهو في التاسع والخمسين من العمر .

وقد عده المؤرخون في مرتبة رجال الدهر العظام وقال عنه العالم الفرنسي الشهير جيزو ما معناه : قد قدر لهذا الرجل حظ الرجال العظام نعم انه لم يكن بمقام ميرابو (خطيب الثورة الفرنسية والمظهر لها بثبات جنانه وطلاقة لسانه سنة ١٧٨٩) ولا اشتهر اسمه في السنين الاولى في البرلمان مع كل ما كان يظهره من الحركة العظيمة في الاعمال ولكنه يشابه في حكمته واقداره نابليون بونابرت





يتعطر التاريخ الانكليزي بشذا اعمال والد وابنه نبغا تحت سماء بريطانيا العظمى في اواخر القرن الثامن عشر واولئل التاسع عشر فكان كلاهما في الذكاء وفي الفصاحة والخطابة غاية وفي بعد الهمة ومحبة الوطنية قدوة بيد أن الابن فاق اياه في امور كثيرة فثل في مشاهد السياسة فصولاً طبق ذكرها الفضاء وبلغت بشهرته حد الانتهاء حتى قيل انه آية من آيات العالم ومعجزة من بدائع معجزاته وكان ايضاً كلاهما شديد الوطأة على فرنسا بذلا كل جد وهمة في سبيل اسعاد الأمة الانكليزية حتى خيل للعالم انهما ما خلقا الا ليكونا دعامة تقدمها وركن سعادتها فاتخذت حياتهما واعمالهما مثلاً يقتدي بهما الانكليز بعدهما ويطربون بذكرهما قرناً بعد قرن

اما الاب فيت ويعرف في التاريخ باسم اللورد شتام واما الابن فوليم بيت (وبيت هو حفيد تومايت الذي استحضر من الهند الالماسة الشهيرة وهي اجمل واكمل الماسة في اوروبا وتدعى باللماسة نائب الملك لان تومايت باعها الى الدوق اورليان بقيمة مائتي الف ريال ولكنها تساوي في الحقيقة مليون ريال وهي الآن بين جواهر الحكومة الفرنسية النفيسة) وهالك ملخص تاريخهما واعمالهما



« اللورد شتام »

« Lord Chatham »

ولد في الخامس عشر من شهر نوفمبر سنة ١٧٠٨ من عائلة كريئة وتربي في مدرسة اتون ثم تخرج في كلية اكسفورد الشهيرة وتركها ونفسه تحذته ان اقتداره الذاتي جدير ان يرشحه لمكان على في العالم الانساني فاتقن فن الانشاء علما ومزاولة وانصب باكملة على مطالعة خطب السياسيين الرنانة ثم زار فرنسا فايتاليا ولدى عوده لبلاده اصاب بفقد والده ولم يترك له من حطام الدنيا شيئاً فاضطر ان يبقى لدى والدته ليعولها وتقلب معها رداً على حالتي عسر ويسر وما بلغ السابع والعشرين من العمر حتى استنابته عمالة اولد ساروم نائباً عنها في دار الندوة

وكان طويل القامة اهيف القد بهي الشارة مهيب الطلعة حاد النظر جهوري الصوت بليغ العبارة فصيح اللهجة وجملة القول انه كان جامعاً بين تصورات الرجل السياسي ومزايا الخطيب المصقع ولدى دخوله البرلمان كان على رئاسة الوزارة الانكليزية روبرت ولبول وقد اتي وقتئذ هذا الوزير عملاً كان عليه وصمة عار في تاريخه الى الابد وذل ذلك لم يغتفرها له التاريخ الانكليزي فكان نقطة سوداء بين اعماله البيضاء ذلك لانه كان يهب المال ويجود بالوظائف والالقب ليسد افواه الراغبين في التنديد بوزارته او المنتقدين لاعماله فحصل هكذا على نصار واحزاب يعززون كلمته ويشددون ازره ولما آنس من بيت اقتداراً غريباً رام ان يدرجه في عداد انصاره وان يهبر نظره بما يطمح اليه كل من

كان في عمره من النضار والوظائف والالقباق قصدان يصير تحت رايته غير ان
بيت رفض بشهادة كل ما عرضه عليه وجاهر بمناواته فشد عليه ولبول النكير
وكاد يذيقه من مرارة الخامل عذاباً اليماً فتهياً لمكافئته واث ثابتاً متجلاً
يخطب كلما سمحت له الفرصة الخطب الرنانة التي وطأت له عرين الشهرة
مندداً ومجاهراً بمساوي وزلات تلك الوزارة حتى اثرت سهام اقواله في
جسمها فقوضت اركانها وقضت عليها قضاء باتاً

فقام بعدها وزاره اخرى عرضت على بيت منصباً فيها فرفضه وامتنع
عن قبوله لانه توفق بدقة ملحوظاته الى كشف اسرار الحطة السياسية التي
كانت الوزارة معولة على اتباعها واوضح للشعب الانكليزي ان تلك الوزارة
ما وجدت الا لخدمة مصالح جورج الشخصية لا لخدمة الوطن الحقيقية
فحفظت له القلوب اذ ذاك ذكراً جميلاً وارفع شأنه لدى اعضاء البرلمان لما
آتسوا فيه من الاخلاص المحض للوطن . وازهاراً لرفعة منزلته في قلوبهم
تألبوا حواليه بعد انقضاء اجل الوزارة وقلدوه رئاستها فظل فيها مدة اربع
سنوات سعى اثناءها في خفض شأن فرنسا التي كانت تعوق انبساط الاستعمار
الانكليزي في اكثر بقاع الارض

وقد تكال مسعاه هذا بالنجاح ففاز به فوزاً عظيماً ثم أيد سطوة انكاثرا
في اكثر ممالك اوروبا ووطدت دعائم حكمها في مستعمراتها الاميركانية
واستخلصت من فرنسا الكنادا ولوزيان وافقدتها مستعمراتها الهندية

وكان له الحكامة النافذة بلا معارض في عهد جورج الثاني فلما توفي هذا
الملك وخلفه ابنه جورج الثالث اعتزل الوزارة في سنة ١٧٦١ ورتب له ٧٥

الف فرنك مرتباً سنوياً يستعين به على معاشه ثم عاد إليها في سنة ١٧٦٦
فتولاهما حتى اذا انتابت جسمه العلال ولم يعد يستطيع القيام بمهام الاعمال لزم
منزله مضطراً ووجه اليه وقتئذ لقب لورد شتام الذي عرف به تمييزاً عن
اسم ابنه .

وقد عز عليه السكوت في عزلته هذه فاستمر على الحضور في قاعة
الاوردة يمد البلاد بآرائه السديدة ولا يغادر من وسائل اسعاد الامة كبيرة او
صغيرة الا ويعرضها على قومه وجاهر وقتئذ بعدم مداومة الحرب
مع الولايات المتحدة وكان يهتف في قاعة البرلمان بصوت جهير رنان قائلاً .
« كيف يحق لنا محاربة اقوام تربطنا بهم علاقة الجنسية ليس الامريكان منا »
« ليس الدم الذي يسير في عروقهم هو من الدم الذي يسير في عروقنا »
« الم نرثه كلانا عن اجدادنا اليس فيهم مثلنا اعصاب تتأثر فتثير فيهم النخوة »
« والحمية وتدعوهم الى محبة الحرية كما نحجبها ونهالك في سبيل الحصول عليها »
« كما نهالك في سبيلها هل تبغون ان نسومهم الحسف والذل ونعبت بحقوقهم »
« ونطلب منهم ان يكونوا حجارة صماء فليس من رأيي اشهار الحرب وانما »
« ارى ان نقف عند هذا الحد وان نمحهم منة وكرماً منا الحرية والاستقلال »
« لئلا نهضوا الى ذلك رغماً عنا »

بيد ان الحكومة الانكليزية لم تسر وقتئذ بمقتضى آراء هذا الشيخ
الجليل حتى قفاهم الامر كما هو مشهور ولما علم ان البرلمان يعقد جلسته
ليعترف باستقلال البلاد التي حامي عنها وكان وقتئذ قد بلغ السبعين من عمره
واستعزل داؤه حتى اعياء اطباءه شعر ان طار اليه الخبر وهو في برحاء الحلي

ان كريات دمه تجيش في عروق جسمه كما لو كان في ريعان شبابه ولما تم اجتماع اعضاء البرلمان اذابه يلج الباب يسنده ولداه جون ووليم عجيلاً هزيلا صاحب اللون وعليه حلة ثمينة فالقى بدخوله الدهشة على وجوه الحاضرين والرعبة في قلوبهم فقاموا له تعظيماً واجلالاً وفتحت له صفوفهم ليصل الى المحل الذي عين له بجانب الرئيس ورثما استراح هنيئة وانتهى الدوق ويشموند من خطابه بدأ هو بالكلام بصوت كان يتهدج في لهاته فقال .

« يسرني ان القبر لم يفخر للآن فاه ليبتلني فشكراً للموت الذي ابقي »
 « عليّ لهذه الساعة لارفع صوتي وادافع على مسمع منكم عن حقوق هذا »
 « الملك العظيم فانا كما ترونني والآلام قد احنت ظهري والاولاج تتناوبني »
 « والموت يُدني يده مني ليجتذني لا قبل لي على نفع بلادي في احوال هذه »
 « الاحوال التي آت اليها »

« ثم خاض طويلاً في المقال بما يناسب المقام الى ان قال كيف تغض »
 « الطرف عن حقوق هذا الملك الهائل الذي قام رغماً عن غزوات »
 « الدانيزين وتعديات الاسكوتلانديين وهجمات النورماندين وخابت امامه »
 « ارمادا اسبانيا فلبث ثابتاً على حوادث الزمان ولم يزعرعه تصريح حال »
 « من الاحوال اترضون بخفض شأنه والخط من قدره امام بيت بوربون »
 « ألستم على ما كنتم عليه منذ سبعة عشر عاماً . اذاً مالي اراكم تضطربون »
 « خوفاً لدى عدوكم الالاد وفرائصكم ترتعد من ذكره ارتياعاً وكلكم »
 « على اهبة الاستسلام له والركوع على قدميه والطلب منه ان يأخذ منكم »
 « كل ما لكم ويجود عليكم بالصلح فقط »

« يا ذلنا ان كنا نحني الرؤوس استسلاماً . فبالله استخلفكم ان تبذلوا »
 « الجهد بما تصل اليه اليد وان تكونوا كالبناء المرصوص المقام امام عوادي »
 « الايام والمشيد لدى حوادث الزمان واذا كان لا بد من السقوط فلنسقط »
 « كابطال الرجال »

وكان قصده من خطابه التعجيل باشهار الحرب على فرنسا لانها تجاوزت الحد بعداوة انكثرا وساندت الولايات المتحدة على العصيان كما هو معلوم فاجاب وقتئذ الدوق ريشموند على ما يحول من الموانع دون الشروع في تلك الحرب واذا رأى الشيخ المريض مجالاً للاعتراض على مقاله تحفز للنهوض لاستئناف المقال ولكنه لم يكده ينطق باول كلمة حتى تلثم لسانه من الضعف واخذته هزة شديدة فوضع يده على قلبه وسقط مغمياً عليه فنقلوه الى منزله وبعد شهر قضي عليه فاج الانكيز لموته وواروه التراب بدموع سخينه لما كان له من الايادي البيضاء في خير المملكة وكاد يفرزله التاريخ المقام الاول بين وزراء انكثرا لو لم يفقه ابنه وليم .

ومات عن ولد آخر يدعى جون وهو الاكبر ورثه في القابه وماله فائق الفنون الحربية وصار قائداً ثم حاكماً على جبل طارق واما الثاني وهو وليم فقد ورثه في مقامه وسياسته وفاقه في فصاحته ودهائه وطول خدماته

« وليم بيت »

« William Pitt »

هو السياسي العظيم ولد في مدينة هاي من مقاطعة كنت في ٢٨ مايو سنة ١٧٥٩ فكان مثل ابيه نحيف البنية اهيف القامة جذاب الملامح حاد البصر يقرأ في وجهه شدة التصورات الفائقة . ربي في مهده التنعم وتلقى العلوم الابتدائية تحت ظل والديه وكان من صغره مطبوعاً على الاجتهاد وحب الاعمال جامعاً بين حسن البدايه وتوقد الذكاء

ولما ارسل الى كلية كبريدج اضطرّ مراراً لترك المدرسه لما كان يعتريه من الضعف في صحته ولكنه بلغ مع ذلك بين اقرانه المقام الأعلى . وكان كلفاً بدرس دقائق الفلسفة فلم يدع مؤلفاً لاتينياً ولا يونانياً بليغاً الا قرأه وحفظه خطب ديموستين الشهيره وكان يكررها غيباً وصار من عادته اذا قرأ كتاباً اجنبياً ان يترجم عباراته الى اللغة الانجليزية ويدقق في مطالعة البليغ منها تدقيقاً عظيماً مما جعله قادراً على التعبير عن افكاره منذ حداثة سنه بابلغ عبارته وافصح لهجه فسر به والده سروراً لا يوصف ووجه اليه كل آماله دون اخيه الا انه توفي قبل ان يتمكن من اعداده للمناصب الكبيرة ولما توفي الاب ورثه اكبر اولاده حسب الشرائع الانجليزية وكان من نصيب وليم دخل قدره ثلثائة جنيه انجليزي فقط على ان عزمته لم تكن عن الاعمال للوصول للغاية التي كانت نفسه تطمح اليها فقراء علم القوانين سنة ١٧٨٠ وما جاء شهر يونيه من تلك السنه الا وكان مقبولاً للحماماة عن ارباب القضايا وهو في

العشرين من عمره . وعكف ايضاً على مطالعة ما يدور في البرلمان من الخطب واصدار الحكم العادل في نفسه على اقوال المتناظرين . وحدثت في ذاك العام انتخابات عمومية فاخذ يسعى لينال عضوية مدرسة كبريدج التي تخرج منها ولكن المفوض اليهم أمر الانتخابات رأوه صغيراً عن مثل ذاك المنصب

وبعد شهر من ذاك العهد اتح له ما كان يطير اليه باجنحة المطامع والأمني بتعيينه في البرلمان نائباً عن إحدى المقاطعات وذلك بعد ان اشتهر بقوة العارضة وطول الحجة وطلاقة اللسان في المحاماه وظل من يوم دخوله البرلمان يتربقب الفرص للكلام حتى اذا سمحت تسنم لأول مرة منبر الخطابة وهو في الواحد والعشرين من العمر فوقف بثبات جنان واقدام منتصراً لمذهب برك بشأن الاصلاح الاقتصادي وتدقق بالكلام البليغ الذي كان ينقاد له مسخراً حسب مقتضيات الاحوال واطال في خطابه واعضاء المجلس يصغون له بانتباه ويستوعبون اقواله باندھاش حتى اذا انتهى من المقال ادميت له الأكف تصفيقاً ومالت اليه اعناق العظام عجباً وذاع صدى اقواله الرنانة بين قومه وقال وقتئذ اللورد نورث رئيس المجلس « كأن هذا الشاب ولد وزيراً وخطيباً » وقال « فوكس » وهو من اعظم عظماء البرلمان ان خطاب بيت يفضلته على كل ما سمع لذلك الوقت . اما برك الذي انتصر له بيت فانه رفع صوته مندھشاً وقال ليس هذا فرعا من تلك الشجرة (يعني بالشجرة اللورد شتام) بل هو الشجرة بأكملها وقال احد اعضاء البرلمان لفوكس سيصير بيت من اعضاء البرلمان العظام فاجابه فوكس . بل هو الآن منهم وخلاصة

القول ان بيت عدمن تلك الساعة من ابلغ الخطباء وكان خطابه الاول دليلا الى ما وصل اليه فذاع صيته وهو دون الثانية والعشرين من العمر

ولما تقيرت وزارة اللورد نورث في اوائل سنة ١٧٨٢ استدعى الملك جورج الثالث الماركيز روكنفهام وكلفه تأليف وزاره جديده فعرض هذا على بيت منصبا ثانويا فيها فرفضه بدون تردد وصرح جليا بانه لا يرضى الا المنصب الذي يمهده له سبيل الانتظام في مصاف الوزراء رغما عن كونه لم يعرف في البرلمان الا منذ اشهر . ولعمري لو كان غيره في عمره ورفض مثل ذلك المنصب لعد معجبا بنفسه ولكنه بدا من بيت امرا طبعيا وهكذا فانه طمح الى المعالي بسرعة واعجاب و اثر العزلة في تلك الوزارة ولم يتحزب لاحد الاحزاب وانما جنح الى نهج خطة عظيمة تكسبه ميل العالم الانجليزي ورضاه عنه . فلم يخطب الا قليلا وفي امور مختلفة تلائم مصلحة الامه حتى بدا بها حرا اكثر من الاحرار مع كونه ولد من المحافظين الاشراف

ولما عهد زمام الوزارة الى اللورد شلبورن بعد موت روكنفهام وكان انفصل عنه فوكس اصبح في حاجة الى خطيب مصقع ذي فكر ثاقب وحجة قوية يقاوم به معارضا نواب الامه . فعرض على بيت ذلك المنصب الخطير فقبله الا ان حياة تلك الوزارة لم تطل لما كان يتناهبها من المنازعات الشخصية .

ولما احس الملك جورج الرابع بدنو اجلها ظل يستدعي بيت مدة من الزمن ويعرض عليه الرئاسة المقبلة لاعتقاده انه فرد تفرد بالحكمة والذكاء وبعد النظر . فما كان من بيت الا ان اعتذر عن قبولها لاسباب كثيرة ولتيقنه انها لا بد ان تأته مجردة اذيا لها آجلا او عاجلا . واضطر وقتئذ الملك جورج

الى تأليف وزارة اخرى رئيسها الاسمي الدوق بورتلند . ورئيسها الحقيقي فوكس فسعى هذا عبثا لى بيت ليقنعه بالبقاء في وزارته ولكنه اعترضها كما فعل في عهد وزارة روكنفهام واخذ يعرض الى البرلمان مشروعات الاصلاحات الجديدة وكلها لمصلحة الامة جعلت له مقاماً عظيماً في نفوسها ومكانة في قلوبها الا ان بمضها لم يصادف قبولاً لدى البرلمان فخأها في ضميره لمستقبل الايام

ثم عمداً لزيارة فرنسا لدرس احوال تلك المملكة والاطلاع على ما كان تهمه معرفته فتعلم في سياحته لغة البلاد ونزل ضيفاً على ملكها وكان رجال البلاط واعاظم المملكة يتهافتون على التقرب منه والتكلم معه وهو يجيب الجميع بفصاحة وبداهة لا مثيل لها . وروى احد اصدقائه من الذين كانوا معه ان كثيراً من ربات الجمال الفرنسيات سعين ليجتذبه اليهن برشاقة حركاتهن ولطفهن المعتاد ولكنهن خبن مسعى

ولما عاد الى انجلترا في شهر نوفمبر سنة ١٧٨٣ كان البرلمان يسعى لنزع سلطة شراكة الهند عن تلك البلاد الواسعة الارحاء وفصلها ايضاً عن سلطة الملك نفسه وجعلها تابعة للبرلمان في كامل شروطها . فانس بيت ان الملك والشعب متحدان على عدم تسليم تلك السلطة للبرلمان ولكنهما كانا عاجزين عن قضاء لباثتهما . فانبرى معترضاً على ذلك المشروع بفصاحة وحكمة كان يدخرهما لمثل ذلك الحين . ثم اخذ يجتمع بالملك سراً وينصحه على ان يوعز الى بعض المقربين اليه بان يسر لكل وزير او عضو من اعضاء البرلمان ان من يقبل بمشروع فوكس يعده الملك عدوه الشخصي . فصادف هذا الطلب اذناً صاغية وقلوباً واعية ورفض ذلك المشروع ولم ينفذ باغلبية الاصوات .

وهكذا اجبر الملك الوزارة في اليوم الثاني الى الاستعفاء وقد بيت زمامها وذلك في ١٨ ديسمبر سنة ١٧٨٣ وليس له من العمر الا نحو اربعة وعشرين عاما

وهنا نترك للعقل مجالا فسيحا ليتصور بقوة الخيلة اقتدار شاب في زهرة الحياة ونضارة الشبية في صدر محفل حافل كبرلمان لوندريه ضم الشيوخ والامراء والحكماء والعلماء والعقلاء والخطباء الذين نبغوا في ايامه . وذلك الشاب في المصدر يعارض ويجادل في اهم المسائل . قيل انه خطب مرة في استهلاك الدين العام فظل على المنبر نحو ست ساعات متوالية يتدفق بالكلام حتى ادهش السامعين وابكم المعارضين وهكذا انتصر على معارضيهِ بقوة الذكاء والفصاحة واصبح مقتدرا على استمالة الملك والامة كيف شاء

وكان من الد خصومه في البرلمان برك الخطيب الايرلندي الشهير والفيلسوف السياسي العظيم ولكن اخصمهم كان شارل فوكس ابن اللورد هولاند . وكان اللورد شتام والد بيت واللورد هولاند والد فوكس يرأسان الحزبين المتناظرين في انجلترا قبل ولديهما الا ان الاول كان يرأس الاشراف والثاني يرأس الاحرار فورثا عنهما عداوة المناظرة وكأنيهما رغبا في ان تدوم الى الأبد بين عائلتيهما غير ان الادوار اختلفت وقتئذ فابن رئيس النبلاء تقلد رئاسة الاحرار وابن رئيس الاحرار تقلد رئاسة الاشراف وقد استمرت المناظرة بين هذين البطلين مدة سبع عشرة سنة اي المدة التي تولى فيها بيت رئاسة الوزارة . وقد جمعت اقوالهما وخطبهما في اربعين مجلدا ضخما هي موضوع اجلال واعتبار الامة الانجليزية .



الملكة فيكتوريا

وشرع يسوس البلاد منذ تولى رئاسة وزارتها بهمة الشبان وحكمة الشيوخ
ولبثت وزارته سبعة عشر عاما وهي اطول وزارة قامت في انكلترا ولما
اصيب الملك جورج بالبله والجنون ظل قابضاً على زمام الاحكام يدير رحي
السياسة بما فيه خير الامة حتى قالت وقتئذٍ انها لم تنهأ بالحرية الا في عهد
جنون ملكها ووصفها احد مؤرخيها فقال انها كانت عبارة عن صورة بيت
وهذا ما يعني به بعض المتشرعين من ان حكومة الشعب تظهر في صورة
افراد فاحر بتاريخ حياة صاحب الترجمة واعماله ان يكون تاريخ الامة
الانكليزية في ذاك العهد .

وكان اول شيء اهتم به اصلاح مالية بلاده لان خزينتها رزحت تحت
اثقال الدين بما تحمّلته من نفقات حروب امريكا

ثم اصدر الاوامر بتخفيض رسوم الشاي فامتنع تهريبه وزاد دخل
الحكومة منه واجاز لشركة الهند حق التمتع بحكم املاكها تحت مراقبة
الحكومة فوطد دعائم سلطة الحكومة في تلك الاصقاع البعيدة . واستمرت
في عهده جزيرة سيلان وجزاً من المولوك وحكومة الكاب ثم ضم ايرلندا
الى انكلترا ضمّاً وثيقاً والنخى المجلس الخاص بالايرلنديين وضمه الى برلمان انكلترا
حتى جعل البلاد مملكة واحدة عاصمتها لندن .

وفي عهده ظهرت الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ وثملت الحكومة
الجمهورية الجديدة من الفوز الذي نالته فنشرت تعرض مساعدتها لكل امة
ترغب في ان تهج خطتها فاجس بيت ان تصبح بلاده عرضة ل نار الثورة
فاتفق مع ملكه على استئصال روحها من البلاد عاجلاً ولم يعد له من ذلك

المهد الا قصد واحد وهو محاربة فرنسا . وكان قد رفض ادخال انجلترا في اول معاهدة دولية ضدها فلما اشهر مجلس الكونغرس الحرب على انجلترا وهو لاندا اخذ يجاهر بوجوب المحاربة الى النهاية فالف ضد فرنسا ثلاث معاهدات متتالية حتى اوجدها في مركز حرج وتكالت كل مساعيه باكمل نجاح وعادت باعظم فائدة على بلاده

وقد اشتهر أيضاً بمداوته الشديدة لنابوليون بونابرت اذ كان في ابان مجده واقتداره فكان يهتف دائماً في البرلمان على ان نابوليون يحب الحروب ويسره ان يجري من الدم انهاراً في اواسط اوروبا وان الطمع هو المحرك الاول لكل اعماله ولبت يناواه حتى اخمد سطوته

وقد رفض ما كان يعرضه عليه الملك من القاب الشرف والمال ومات مديناً بأربعين الف جنيه فاصلح مالية بلاده ولم يهتم باصلاح ماليته ولكن الخزينة الانكليزية دفعت ديونه عن طيبة خاطر وقيل ان احدى السيدات الانجليزيات اعجبت به وباعماله فاوصت له بعشرة آلاف جنيه واوصى له السير وليم بنسن بمال دخله السنوي ثلاثة آلاف جنيه لانه رأى ان بين حياتهما مشابة شديدة

وقد اختار بيت المزوية لثلاث تصرفه العلائق الزوجية عن خدمة بلاده حتى انه لما عرض عليه بعضهم على ان يقترب بآية عصرها المداموزيل نيكر (التي صارت فيما بعد مدام دوستايل وهي الكاتبة الفرنسية ذات الثروة الوافرة والجمال المفرط التي بثت روح الحرية في صدور قومها فنددت

بسياسة نابوليون حتى اوجس منها شراً وخاف من سياستها فنفاها الى
سويسرا) لم يدع مجالا للحادثه معه في ذلك الشأن واجاب متبسماً كفاني
اني مقترن بانجلترا اقترانا لا انفكاك منه

ومما يروي انه لما دار الى انكثرا خبر انتصار الدونائنه الانجليزية في
واقعة ترافلغار وكان هو الذي اشار بها وقتل الاميرال نيلسون قيادة الاسطول
فانتصر ذلك الانتصار العظيم سر الشعب الانجليزي سروراً لا يوصف واوالم
له المحافظ ولية دعا اليها اكابر المملكه ولورداتها وعظماءها . ولما جاء الوقت
المحدد ونزل ليركب المركبه المعبده له على الباب اخذه الدهول اذ رأى جماهير
الانجليز الغفيرة محتشدين صفوفاً والوفاً خيوه بالهتاف مسرورين ليحي
بيت . ليحي مخلص انجلترا العجيب وقد جر العربيه رغماً عنه جياذ القوم بدلاً
من جياذ الخيل ووصلوا به الى سراي المحافظ باحتفاء واجلال يذكر احتفالات
الرومانين بابطالهم .

ولما استقر به المقام قدّم له المحافظ كأساً من الخمر وشرب نخبه قائلاً :
ادعوك بلسان حال الامه الانجليزية بأسرها بمخلص انجلترا العجيب لان نجاه
الامه كان بك واليك يرجع أمر استتباب راحة اوروبا بل العالم بأسره وبحسن
سياستك كملت سعادتنا فشكراً لك ثم شكراً

فاجاب بيت : بل الشكر لكم على ما تحبوني به من الاخلاص والشرف
العظيم على انه لا فضل لي في ما فعلت بل الفضل انما هو لانجلترا بلادى التي
انقذت نفسها من آفة الحرب فاقتدى بها العالم اجمع
ولم يهنأ بيت كثيراً بهذا النصر لان العلة كانت ألفت جسمه الرطيب

ولما شعر بدنو الأجل انتقل الى بيته القروي بقرب لوندرا فخره وهو على فراش الموت المطران الذي كان استاذه في صغره وعرض عليه ان يشترك معه في الصلوة فقال اخاف ان اكون مثل الكثيرين الذين يهلون الواجب عليهم في حياتهم ولا يذكره الا عند آخر ساعة فهاانا استسلم الى رحمة ربي وهو يفعل ما يريد واشترك بالصلوة مع الكاهن بكل خضوع وخشوع ثم قال : اذا كانت بلادي تعتقد اني خدمتها فلتتهم من بعدي بالنيابة عني بشأن بنات خالي بنات الورد ستانوب وطالب ان يعين لمن مرتباً سنوياً من الف الى الف وخمسمائة جنيه واسلم الروح وهو يذكرهن ويذكر بلاده في ٢٣ يناير سنة ١٨٠٦

واقم مائة على نفقة الحكومة وشيد له ضريح في وستمنستر ثم تسابق خصومه في احبائه الى المجاهرة بعظيم امتنانهم لاعماله منهم فوكس فانه قال عنه . انه مع صغر سنه كان كاعظم عظيم حنكته تجارب الايام وقال انه ليندر وجود رجل يضارعه في عفته ونزاهته وانه كان بإمكانه لورنا بعينه ينة او شمالا او لفظ لفظة ان يصبح من اكبر اغنياء الارض لانه كان قابضاً على مفاتيح ثروة المملكة وكنوزها لكنه اهتم باصلاح مالية بلاده واسعاد امته ولم يهتم بشأن نفسه بل مات وهو مدين . فوآسف القلب عاياه وارحة ربي على ضريحه .

وقد كتب الكتاب عن غرائب اعماله ما يملأ مجلدات كثيرة واتخذت حياته مثلاً يقتدي بها اعظم الانكاز مدى الدهر

« فوكس »

« Fox »

أحد مشاهير خطباء المماكة الأنكايزية ورجالها المعظام
ولد في لوندرا سنة ١٧٤٨ وتوفي سنة ١٨٠٦ . وهو ثالث اولاد الاورد
هو لاند عدو الاورد شتام السياسي والد البيت . وقد ورث الولدان كما ذكرنا
العداوة السياسية عن والديهما الا ان فوكس لم يبد منه في صغره ما بدا لخصمه
بيت من الادلة على ما وصل اليه في كبره . لكنه كان ممن ساء لهم الدهر
فاحرزوا من المكارم ما تنزع اليه النفوس الابية وتتمناه : النبالة . والجمال
والمال .

وكان يسر والده بحسن طبعته فجعله موضع حبه وأمل ان يجعله وريثه
في مقامه من بعده فأوصى به معلميه ومرشديه بان لا يقتضوا منه طاعة عمياء
ولذلك كانوا كثيراً ما يضطرون الى اطاعته اكثر مما كان يطيعهم فنشأ صبياً
وهو لا يخاف زجراً ولا يحذر غضباً وشاباً مال مع نزق الصبا وغضارة
الشبوبة فكان يتأنق في ملابسه تأتقاً يخرج به الى حد الزهو والبذخ حتى
لم يستطع احد من ابناء البيوتات الكبيرة عجاراته وقتئذ في ملابسه وركوبه
الجياد ولعبه وملاهيته . ولما استصحبه معه ابوه الى باريس وكان حراً في غدوه
ورواحه تمكن منه الميل الى اللعب وتعذر عليه الانقطاع عنه طول حياته

واشتهر في آخر سنة اقامها في اكسفورد بالميل الى الخطابة وفصاحة اللسان
ثم زایل هذه المدرسة بعد امتحان باهر لم يكن ينتظر ممن قضى اكثر

أوقاته في اللهو واللعب .

ثم ساح في عواصم أوروبا بناءً على رغبة والده فانفق في سياحته كاعظم الاغنياء حتى اضطر والده ان يستقدمه اليه اذ بلغه انه انفق وهو في نابولي كل ما كان معه وبلغ دينه ستة عشر الف جنيه .

ولما عاد الى انكلترا في سنة ١٧٦٨ استنابته بعض المقاطعات نائباً عنها وظلّ من ذلك العهد يتقلب في المناصب الكبيرة حتى توفي والده وكان قد دفع ديونه التي بلغت (١٤٠٠٠٠) جنيه فاضاع نصف الميراث الذي تركه له في اقرب وقت في اللعب واقتناء الخيول وكل انواع الترف

وبدأت شهرته في الخطابة منذ تصدى لمعارضة اللورد نورث رئيس الوزارة فخرم من المنصب السامي الذي كان يتولاه فاشتدت فيه الاميال الى مقاومته واقدم على مصادرته بقلب من حديد وشهراً اعماله وبين ما كان في خطته السياسي من الخطأ والخلط وقال مرة في حرب المستعمرات الاميركية عبارة لا تزال مأثورة عنه الى الآن . وهي : « ان الاسكندر الاكبر لم يفتح من البلاد في حروبه كلها بقدر ما اضاع نورث في حرب واحد »

وما زال يرشق باسمهم بلاغته تلك الوزارة حتى قوّض اركانها وقضى عليها في ١٧٨٢ وتلتها وزارة اللورد بكنغهام فتولى فيها فوكس زمام الامور الخارجية واكتسب ميل الشعب وجبه بما اتاه وقتئذ من ضروب الاصلاح وتوفي بكنغهام بعد وقت قريب فأسندت الوزارة من بعده الى بيت

فقام الخصام بيته وبين فوكس وظلا على طرفي نقيض في اكثر المسائل سيما فيما يتعلق بمداوة فرنسا ومحاربة نابليون واستمر بينهما النضال مدة

السبعة عشر عاماً التي تولى فيها بيت الوزارة حتى توفي سنة ١٨٠٦ تخلفه فيها وكانت اول مساعيه تحسين العلائق بين انكلترا وفرنسا ولكنه توفي وهو آخذ في ذلك .

وكانت بلاغة خطبه وفصاحته تختبئ الالباب لم يقدر أحد سواه على مناظلة بيت والاخذ معه في اساليب الجدل وقد جمعت هذه المناظرات في اربعين مجلداً كبيراً كما ذكرنا في ترجمة بيت

وقد اسف نابويون على موته كثيراً وقال : ان بيوت فوكس كانت من طوابع النحاس عليّ . وقد شبهه المؤرخون بدموستين انكلترا كما شبهوا بيت شيشرون



بامرسون

Palmerston

هو من مشاهير وزراء الانكليز وكبار رجال السياسة

ولد في العشرين من شهر اكتوبر سنة ١٧٨٤ في بيت قديم عريق في
المجد متصل نسبه بوليم الظافر وتلقى دروسه الابتدائية في مدرسة هارو مع
كثير من نوابغ الرجال مثل بيرون وباردين وره برتيل : الخ ثم اتم
دروسه العاليه في كلية كبريدج الشهيرة وتركها وله من العمر احدى وعشرون
سنة واخذ يسمى لينال عضوية مجلس النواب ولكنه خاب اولاً في سعيه
ونال فقط العضوية في مجلس العموم فوقف خطيباً صراراً وعجب السامعين
بنصاحته وطلاقة لسانه حتى اشتهر امره ونال العضوية التي كان يتطلبها في
وقت قرب وظل نائباً عن مدرسة كبريدج الى سنة ١٨٣٠

ودخل لأول مرة في خدمات الحكومة سنة ١٨٠٧ وعين في منصب
عال في وزارة اللورد بورتلند ثم عين سنة ١٨٠٩ كاتم اسرار نظارة الحربية
وظل في هذا المنصب الى سنة ١٨٢٨ وكان يخطب في هذه الاثناء في البرلمان
الخطب الرنانة معضداً اعتناق الكاثوليك ومجاهراً بمبادئ الحرية . ولما توفي
الوزير كانيون استعفى من منصبه وعكف على درس السياسة الخارجية وعلاقة
انكاترا مع ممالك الارض عمومًا فاستوعب في وقت قريب كل ما يهم
معرفة وشرع يوالى الخطب النفيسة مندداً بسياسة الوزير ولتون الشهير
لرغبته في التقرب من الحكومات المطلقة والتباعد عن موالاة الحكومات

الدستورية فقام لمبادئه هذه كثير من المعترضين ولكنها اظهرت فضله العظيم واعدت له رئاسة نظارة الخارجية في وزارة جري وملبورن وبقي متقلداً زمامها الى سنة ١٨٣٥ وعضد بجليكا بسمو مداركه وفصاحته وساعدها على استقلالها الذي نالته بمعاهدة فينا وهذه حسنة يحفظها له التاريخ الى الابد ويشكره عليها البلجيكيون

وفي مدة وزارته شغلت المسألة الشرقية ممالك اوروبا حتى كادت تتشب نار الحرب بسببها وعظم وقتئذ شأن المغفور له محمد علي باشا حتى شق عصا الطاعة على الباب العالي كما هو معلوم وتقرّب من فرنسا مما جعل لهذه المملكة شأنًا ونفوذًا في الديار المصرية فعظم قلق بامرستون من ذلك وكان ينظر من وجه اخر بعين الناقد البصير الى نفوذ روسيا في الاستانة عليه وكان شديد الحزم غير هيباب في المسائل الخارجية فبذل جهده لهدم نفوذ هاتين الدولتين في تلك الانحاء فطلبت انكاثرا بناءً على الحاجه في مشورته من الحكومة الفرنسية اتحاد اسطولهما ومهاجمة الدردنيل والاستيلاء عليه قبل روسيا فرفضت فرنسا هذا الطلب واوجس بامرستون من عاقبة هذا التفشل وحذر أن يستمد الباب العالي مساعدة روسيا في بعض الامور ولذلك اسرع فعرض عليه كل مدد ومعونة لمقاومة محمد علي باشا والى مصر ثم اخذ يسعى جهده حتى احيا في فينا وسان بطرسبورج العلاقات التي حلت عراها بمضى الوزارت قلبه فنجم عن هذا السمي الاتحاد الرباعي الذي تم اتفاقه في لوندرا في ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠ بين انكاثرا والروسيا والمانيا وهكذا انتقم بامرستون اشد الانتقام من الحكومة الفرنسية بعمله على عزلتها عن

اتحاد دول كانت احرى بصداقتهن من انكلترا
ثم سعى بحسن تدبيره واصالة رأيه على تأييد سطوة انكلترا في الشرق
بتوسطها في كل الامور وفي قوانين الممالك بما يلائم مصلحتها حتى حصلت
على الكلمة الثغالبية والسطوة النافذة لدى دول الارض عموماً

وقد اعلت سياسته هذه مقامه لدى الشعب وعظمت مكانته في القلوب
وذاعت شهرته في الآفاق وبقي منقلداً زمام الامور الخارجية حتى استقال
سنة ١٨٥١ ثم تعين ناظراً للداخلية فاتم اصلاحات شتى حتى تقلد زمام
الاحكام واصبح كبير الوزراء راضياً عن الامة والامة راضية عنه الى ان
حدث ما اضطره الى الاستعفاء فرجع الى الوزارة سنة ١٨٥٩ وبقي فيها الى
آخر حياته يدير شؤونها بحمية ونشاط لا مثيل لهما

وكانت قواه الجسدية الى ذلك الحين تضاهي قواه العقلية ودفن في دير
وستمنستر سنة ١٨٦٥ وقيم له تمثال في رمزي وآخر في لوندن تخليداً لذكراه
لما كان له من الايادي البيضاء على انكلترا في الداخل والخارج وقد ترك
مؤلفات كثيرة من رسائل وخطب نفيسه نشرت بعد وفاته

« دزرائيلي »

« Disraeli »

هو بنيامين دزرائيلي ارل بيكونسفيلد وزير انكلترا الشهير والمؤلف الكبير ولد سنة ١٨٠٥ من اب يهودي كان مشهوراً فنشأ تحت ظله وتلقى العلوم على مدرسين خصوصين ورشح لمن المحاماة في مكتب محام شهير صديق والده وهو دون التاسعة عشر من العمر . وكان ولوعاً بالأدب كلفاً بالدرس والطاب فقادر المحاماة بعد القليل من الزمن ونشر رواية تعرف بشيفان غراي وصف فيها نفسه وكثيرين ممن اشتهروا في عالم الانكليز في ذلك الحين وقد اودع صفحاتها الرقة والانسجام فأعجب به بنو جلدته وحسن وقع روايته في اوروبا فترجمت الى اكثر لغاتها . وساح سنة ١٨٢٩ في ايطاليا فاليونان فالباينا فمصر فالحبشة فسوريا وعاد الى انكلترا سنة ١٨٣١ فنشر رواية ضمنها ذكر البلاد التي رآها وعادات اهلها واخلاقهم فعممت شهرته ونزعت نفسه الى الاستئثار بمنصب في المجلس الأعلى فحاول الوصول اليه كثيراً ولكنه صادف فشلاً فاستأنف تحرير الروايات والى منها عدة احدها رواية « الروى » وهي شرقية الموضوع وغاية في بلاغة عباراتها وانسجام كلامها وصف بها اميرا من بيت داوود ادعى في القرن الثاني عشر انه المسيح وسافر الى بلاد فارس وقد ظهرت هذه الرواية سنة ١٨٣٣ وتلها رواية اخرى عنوانها ثورة « اسكندر » قصد بها اسكندر ملك السريبي الذي عصا الدولة العلية في القرن الخامس عشر . واتبع هذه الرواية برسالة سياسية عنوانها « من هو » اوضح

فيها آرائه السياسية وكان ينشر في ذلك الوقت شذرات في السياسة كان الاقبال عليها عظيماً

وفي سنة ١٨٣٧ نال ما كان يتمنى من تعيينه في البرلمان نائباً عن مقاطعة ميدستن . ولما رقي منبر الخطابة وخطب في الاعضاء خطبته الاولى باغته اكثرهم بالصغير والاستهجان وضحكوا على كلامه فاسرع باتمام خطبته ونزل عن المنبر وهو يقول : اني لا اعجب من المقابلة التي صادفتها منكم الآن فقد شرعت في امور كثيرة وبالمزاولة نجحت فيها وسوف يأتي زمن تتساءلون متى اخطب فتصغون لي وكلكم آذان

وقد كانت جملته هذه اشبه بنبوة عن مستقبله ففي سنة ١٨٣٩ خطب خطاباً انيقاً ادميت له الاكف تصفيقاً فأعجب له النواب وتحول ضحكهم منه الى احترام له وعقد في تلك السنة قراناً سعيداً على ارملة « وندهام لويس » الشهيرة بثروتها الطائلة وجمالها الفتان

واخذ يترقى الى ذرى المجد ويصعد الى مدارج الرئاسة حتى صار عام سنة ١٨٤٩ زعيم حزب المحافظين وفي وزارة دربي سنة ١٨٥٢ وجهت اليه عضوية المجلس الخاص ونظارة المالية ولما استقال دربي ترع في دست الوزارة الانكليزية ثم عرض خلاف بين الوزراء واعضاء المجلس فانحلت وزارته وخلفه المستر غلادستون .

ونشر سنة ١٨٧٠ رواية عنوانها « لوثير » وهي ذات مغاز سياسية دينية ضد رهبنة اليسوعيين راجت اعظم رواج وبيع منها في الولايات المتحدة وحدها
٨٨ ألف نسخة

وعاد بيكونسفيلد للوزارة سنة ١٨٧٤ بفوز حزب المحافظين وظلّ يتولى الرئاسة الى ١٨٨٠ حيث كان الفوز للاحرار خلفه المستر غلادستون زعيمهم ومريض في السنة التالية مرضاً عضالاً كان سبب منيته

وكانت حياته من اغرب حياة الرجال العظام في تاريخ المملكة الانكليزية فانه رقي مراقي السؤدد والمجد ومثلّ في مشاهد سياسة مملكة هي اعظم الممالك الحديثة ادواراً اذاعت صيته واعلت شأنه فصار قادراً بكلامه على تحريك الدنيا بأسرها فقال ما ناله بمجده وحزمه وكان اصحاب المطابع يتقدونه ثمن الكتاب الواحد عشرة آلاف جنيه فيطبعونه على نفقتهم ويربحون منه الاموال الوفرة .

وكان من همه تأييد الدولة العلية وحفظ مصالحها واملاكها . وقد ابتاع اسهم ترعة السويس فجعل بذلك لانكثرا شأناً عظيم في الديار المصرية



« غلادستون »

« Gladestone »

السياسي المحنك الشهير والخطيب المصقع والعالم العامل والكاتب البليغ
نصير الحرية والانسانية وزعيم الاحرار والاصلاح واعظم رجال القرن التاسع
عشر المستر وليم اوارت غلادستون

ولد في التاسع والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٨٠٩ بلقربول من عائلة
اسكتلندية عريقة في الثروة والشرف وكان ابوه من مشاهير التجار ومن
اعضاء البرلمان فلم ينقطع حتى ظهرت عليه مخائل النجاسة واثرت فيه مؤثرات
التربية الحسنة ولما ترعرع ارسله ابوه الى مدرسة اكسفورد الشهيرة فتلقى
فيها العلوم واشتهر بالذكاء المفرط وقوة المارضة والبلاغة في الخطابة وطلاقة
اللسان تلك الوسائط العظيمة التي آلت الى ارتقائه صراقي السودان والمجد ولم
يباغ الثالثة والعشرين من العمر حتى انتخب عضواً من المحافظين و اشار في
اول خطبة القاها الى وجوب تحرير الارقاء تدريجاً والغاء النخاسة شيئاً فشيئاً
ودافع عن والده الذي اتهم بامتهان المييد لما كان له من الاملاك الواسعة في
الهند فلم يترك في خطابه لاحد مقالاً ولا ابقى لناقد مجالاً فظهرت هناك
نجابته وعرفت في الخطابة فصاحته واشتهر بتوقد ذهنه وسداد رأيه حتى
عرف ذوو النهي قدره فقلدوه منصباً في الخزينة سنة ١٨٣٤ و رقي في السنة
تالية الى منصب اعلى منه في وزارة المستعمرات وفي سنة ١٨٤١ عين نائب
رئيس لديوان التجارة وهو اول منصب تولاه في حكم الملكة فكتوريا ثم



غلادستون

رقي الى منصب الرئاسة ولم يلبث فيه الا القليل حتى انتخبته مدرسة اكسفورد
الجامعة نائبا عنها في مجلس الاعيان وزار نابولي سنة ١٨٥٠ ورأى الفظائع
التي كانت تجري في سجونها فوصفها بعد عوده الى لوندرا بالخطب البليغة
التي اهتزت لها اوروبا كلها فطبقت شهرته اطرافها واشتهر من ذلك العهد بالشفقة
والرأفة على الانسان ثم انزل عن جماعة المحافظين واخذ يحرر للجرائد
الفصول السياسية الحرة وانضم الى جماعة الاحرار وشرع في الدفاع عنهم
بخطب رنانة اطارت شهرته في البلاد حتى عد من ابلغ الخطباء وبدأ من ذلك
الحين النضال بينه وبين دزرائيلي الشهير ودام اربعا وعشرين سنة بلا انصرام
ولما اسندت رئاسة الوزارة الى اللورد بامرستون عين وكيلا للمالية
ثم رئيسا لمجلس النواب في وزارة اللورد رسل واهتم بعد تولية هذا المنصب
بانقاذ ايرلندا مما كانت فيه من الضيق ولما تغيرت الوزارة ١٨٦٩ واعيدت
الانتخابات كان الفوز فيها للاحرار فمالوا اليه بعد رئيسهم المتوفي وانتخبوه زعيما
لهم وجرى على السياسة الحرة التي نوه بها مرارا وحفظ العهد ورضيت
الامة عنه

واتسع في ايام وزارته نطاق الاصلاح في انجلترا عموما وفي ايرلندا
خصوصا وقد الف الوزارة اربع صرات وحدثت الثورة العرابية في اثناءها
سنة ١٨٨٠ واحتل الانكليز مصر وكان هو اول منادٍ بوجوب جلاءهم عنها
اجلا او عاجلا وهو الوحيد الذي اشتهر بميله الى منح ايرلندا حريتها
واعطاءها بعض ما تريد من الاستقلال الاداري وقد ساء طلبه هذا بعض
اعوانه من مشاهير الاحرار فانفصلوا عنه واتفقوا مع المحافظين على اسقاط

وزارته .

ولو كان غيره نطق بما رغب في تنفيذه لعدّ خائناً للمملكة والمصلحة العمومية بيد ان ثقة الشعب الانكليزي بخلوص نيته واعتبارهم الشديده جعله يفوز بالعود الى الوزارة سنة ١٨٩٢ وهي المرة الرابعة وفي اول مارس سنة ١٨٩٤ خطب خطبته الاخيرة في مجلس النواب ثم استقال من منصبه الخطير لضعفه وتقدمه في السن ولانه اصاب بيمينه فعملت له فيها عملية الكتركتا وقد اهتز الملا لحبر استعفائه وسبق ذكره مخلصاً الى الابد

وقد كان واسع الاطلاع بسياسة الممالك المختلفة بصيراً بامور السياسة الداخلية شديداً الحب لوطنه انفق العمر في خدمته مقدماً مجتهداً ملتجئاً حمياً وغيره وقد اطبق عظماء الارض على انه لم يفقه احد في الخطابة والجدل فهو الخطيب الذي كانت تهتز له المنابر ويذيع البرق صدى اقواله الرنانة فيهنز لها الملا اجمع ويأتيه الخطاب مستخراً وينقاد له القول البليغ مذلاً فيتكلم ساعات بلا تردد

وكان نصير الانسانيه وملاذكل امة مظلومة وماثره الغراء على اليونان والبلغار والارمن والارلنديين اشهر من ان تذكر وكلها تشهد جلياً انه لم يعم بين اعظم رجال الانكليز من هو اشد اشفاقاً منه على الانسان

ومما هو خليق بالذكر انه كان شديد العداوة للدولة العلية خطب ضدها الخطب الرنانة وربى في قلوب الشعب الانكليزي بغضاً شديداً لها وربما كانت مبالغاً في بعض اقواله عنها لفرط تاثره بما كان يترامى اليه من اخبار الارمن وغيرهم وكان شديد الاعراض عن مظاهر الفخر والتباهي بالقصور

المظيمه والثروة الطائلة مثل اكابر الانكليز فقد عرضت عليه الملكة فكتوريا عدة رتب عاليه منها لقب لورد اوف ليشربول فاعتذر وامتنع عن قبولها ورغب في ان يكون لقبه فقط مستر تمثلاً بعامة الشعب الذي قام بنصرته

ومن صراياه انه كان حسن الخلق والخلق اذا كلف الحكم في امر حكم فيه حكماً عادلاً ولو كان مرجع ذلك الحكم على نفسه وقد زاول بعد تركه الوزارة على الاشغال العلمية والكتابات الجديده في الجرائد الشهيرة مناظراً اكابر العلماء والمشهور عنه انه كان شديد الحرص على حجته كثير التمسك بنظام معيشته لا يخل بها وكان يتنزه بالرياضه في حديثه او بتنظيم الكتب في مكتبته ويتابع كل مؤلف جديد يظهر في عالم الوجود ولا يضيع لحظة من وقته بغير العمل بها بحكمة الشيوخ ونشاط الشبان واذا استلقى على فراشه ينام على الفور وكان يقرأ دائماً اربعة كتب انتخبها من زمن مديد فصار يرتاح لقرائنها ووافقت ذوقه ومشربه وهي كتاب ارسطاطليس وكتاب القديس اوغسطينوس ودنت والاسقف بكار ويقال ان هذه الكتب أثرت في اخلاقه تأثيراً بيناً حسناً وكان له اطلاع واسع ومعرفة فائقة في اللغة اللاتينية واليونانية القديمة والعبرانية وقد اتقن من اللغات الحديثه الافرنسيه والايطاليه والاسبانيه واليونانية الحديثه والالمانية

وتوفي سنة ٩٨ فاحدثت وفاته رنة حزن واسى في قلوب الامه الانكليزيه باسرها واقيم له مشهد نعيم على نفقة الحكومة وارسل جميع ملوك الارض رسائل التعزية الى أسرته . وذكرته جرائد العالم بثناء لم يذكر بمثله رجل في القرن التاسع عشر .

« سلسبري »

« Salisbury »

هو الرجل العظيم القدر الزائع الصيت زعيم حزب الاحرار ومدير
 حركة السياسة الانكليزية ورئيس وزارتها عند وضع هذا الكتاب
 وهو روبرت ارثر تلبث غسكوين سسل مركيز سلسبري . ولد في
 الثالث والعشرين من فبراير سنة ١٨٣٠ في بيت سسل الشهير العريق في
 المجد والشرف وتلقى العلوم في مدرسة اكسفورد الشهيرة وكان ميالاً من
 صغره الى العلوم الرياضيه والطبيعيه اكثر من غيرها فبلغ فيها المقام الاعلى
 ولما خرج من المدرسة وجد نفسه في ضيق من العيش تآلى سمو مداركه البقاء
 عليه لان والده لم يكن يسمح له بغير القليل من المال فشرع يحرر الى الجرائد
 المقالات النفيسة ويأخذ اجرتة عليها ثم سار على وجهه يطوف البلدان
 وزار الشرق والغرب وساح في امريكا واوستراليا فلقى من العيش في
 سفره ثم عاد الى وطنه وهو شديد الاهتمام بامر مستقبله فانخبته احدى
 الولايات نائباً عنها ودخل مجلس النواب سنة ١٨٥٤ وبدأ يشتغل بالسياسة
 وهو في الرابعة والعشرين من العمر وكان اول خطاب القاه بشأن مدرسة
 اكسفورد التي تخرج منها فاختلف الالباب بفصاحته وقوة برهانه واعجب به
 السامعون ونهض غلادستون من منصبه واقبل عليه وهنأه ومدحه مدحاً
 جليلاً وبشره بمستقبل عظيم

ولما توفي اخوه الاكبر آل اليه لقب فيكونت كرنبورن وعين سنة ١٨٦١ وزيراً



سلسبوري

للهند فاشتهر بمزيد الخبرة وقوة العارضة والاقدام على الامور ولكنه لم يلبث في هذا المنصب حيناً من الزمن حتى وقع الخلاف بينه وبين زملائه على بعض الامور فاستقال منه واتفق ان توفي والده في تلك السنة فانتقل اليه لقب مركز ساسبوري مع ثروة عظيمة وصار في مصاف الاعيان

ولما تعين دزرائيلي على رئاسة المحافظين سلمه زمام الوزارة الخارجية فاخذ يدير زمام السياسة بعزم ودراية حتى اذا مات دزرائيلي انتخب بدله زعيماً لحزب المحافظين

ولما خذل الاحرار سنة ١٨٨٥ دعت الملكة فيكتوريا لتأليف وزارة المحافظين برئاسته فألفها واستلم هو زمام الامور الخارجية ولكن وزارته هذه لم تطل كثيراً لان الانتخابات العمومية التي حصلت وقتئذ رجحت النصر لجانب الاحرار فعاد غلادستون ثم سقطت وزارته ليلها الى استقلال ايرلندا فدعت الملكة ثانية اللورد ساسبوري لتشكيل الوزارة فشكها عام ١٨٨٦ وظلت ستة اعوام وحدث في اثناءها عيد الخمسين سنه لجلالة الملكة وزارته في قصره وهذا نخر دند الانكليز قلما يناله احد ثم سقطت وزارته سنة ١٨٩٢ خلفه غلادستون ثم روزبري وعادت اليه في صيف سنة ١٨٩٠ فنال في هذه الانتخابات ظفراً ميبناً لم يحصل عليه وزير في اوروبا وخرج باكثرية لم يفز بها احد قبله وكان لجوعه دوي عظيم ووقع حسن عند جميع الدول الاوروبية وذلك لما له من المقام الرفيع والنفوذ الكبير وهو معروف لدى الجميع بانه واسع الاطلاع طويل الباع لا سيما في المسائل الخارجية وهو اول المتعصين الآن في الشرق واول المساعدين للارمن

والسلافيين واليونان على الاستقلال من حكم الدولة العلية وهو كثير البحث في العلوم الطبيعية سيما فيما يتعلق بالكهربائية وقد حاز فيها شهرة تقرب من شهرته في السياسة وله خطب نفيسة رنانة علمية وسياسية وله مقالات علمية كثيرة يحررها وقت الفراغ

وهو ضخم الجسم عريض الكتفين اسود الشعر كشاف للحية ومما يستحق الذكر من اعماله في هذه المدة سياسته مع فرنسا في مسألة فشودة التي قامت بسبب مسألة وادي النيل فانه مال الى الفرنسيين في اول الامر ولكن زملاؤه اضطروه الى التشديد وكادت تشب الحرب بين الدولتين لولا جلاء الفرنسيين عن فشوده . ولكنه بعد ان ضربهم تلك الضربة السياسية عقد اتفاقاً افاد دولته كثيراً واناال الفرنسيين اكثر مما كانوا يؤملون





روزبړي

« روزبري »

« Rosebery »

هو نابغة من رجال السياسة في البلاد الانكليزية ومن آيات البلاغة
والنباهة والعزم والاقدام

ولد في ٧ مايو سنة ١٨٤٧ بلوندراف في بيت نبالة وشرف وهذب أكمل
تهذيب وربي احسن تربية في مدرسة اتون وفي كلية اكسفورد
ودخل مجلس الاعيان بعد موت جده وابيه وكان لا يتجاوز الواحد
والعشرين من العمر فعرف بطلاقة اللسان في الخطابة واشتهر بسمو مداركه مع
صغر سنه واشتهر عنه انه تمنى وقتئذ لو انقادت له امور ثلاثة اولاً ان يصير
غنياً وثانياً ان يفوز جواده في رهان دربي المشهور وثالثاً ان يصير رئيساً
للوزارة الانكليزية

وبدا يترقى في مدارج المجد حتى انتخب في شهر اغسطس سنة ١٨٨١
وكيلاً لنظارة الداخلية وبقى متقلداً هذا المنصب الى شهر يونيه سنة ١٨٨٣
ثم انتخب في السنة التالية ناظراً لنظارة الاشغال وكان شديد الميل الى حزب
الاحرار فاعتنق مبادئهم واخذ يجاهد في الجدل والنضال معهم حتى اشتهر
امره وعين في وزارة المستر غلادستون وزيراً لنظارة الخارجية

ثم اقترن بابنة روتشيلد فاخذ معها الثروة الطائلة وكان مهرها يبلغ ٣ ملايين
من الجنيهات الانجليزية ثم فاز جواده في رهان دربي ولحظه التوفيق فقال
من الانتخابات بعد انزال غلادستون ماناله جواده من الفوز في السباق

وجعل زعيماً لحزب الاحرار ورئيساً للوزارة الحرة مع حداثة سنه لانه لم يتجاوز الواحد والاربعين من عمره . وهكذا قد نال ما تمنى ولم يعد له من بعد هذا المنصب منزع لامنية

وهو موافق حزب المحافظين فيما يختص بالمسائل الخارجية ويمكنه شديد الاهتمام لان يضع حداً لسلطتهم وهو يزعم ان مثله في ذلك كمثل بطل يهاجم معقلاً حصيناً وانه بقوة غريبة سيصدم ذلك الحصن صدمة تدك اسسه ويسمع دوي سقوطه في انحاء العالم

وهو سمع البديهة قوي المعارضة كثير التأمل صعب المراس لا يضحك الا قليلاً شديد الوالع بالخيال والسباق نابغة في الدهاء والذكاء واصالة الرأي ذو فصاحة لا يتكلفها وهو ينوي التدابير العظيمة لمستقبل الايام وقد قال عنه اكبر رجال العالم ان امره سيكون عظيماً بين الانام

وقد اظهر الاقتدار الغريب في الامور الكثيرة التي عرضت في ايامه منها مسائل مصر ومسألة الحرب في الشرق وله حسنات كثيرة يذكرها له التاريخ الى الابد وهو اول من اعطى الرتب الرفيعة والنياشين لرجال العلم وكبار المؤلفين والمثليين

وهو اعظم كبار الانكليز استعداداً لارضاء الاحزاب المختلفة فقد اقع هذه الاحزاب بان سياسة الانكليز مع غيرهم يلزم ان تكون واحدة مهما كان نوعها .



تشمبرلين وزير المستثمرات الانكليزية



وقفنا على هذا الحد في تراجم نوابغ الانكليز الذين بعدت شهرتهم
وذاع صيتهم في السياسة والخطابة . ذكرناهم ونحن على يقين بأنه ظهر في
البلاد الانكليزية غيرهم ممن يجل الانكليز قدرهم ويفتخرون بهم . وما حملنا
على الاكتفاء بمن تقدّم الا اعتقادنا بانهم كافون لان يكونوا عنوان الوطنية
الانكليزية وقدوة رجال السياسة والخطابة .

هذا وان من الذين يردد الانكليز ذكرهم بكل تجلة واحترام . ولبول .
وكانين . وشريدن . وهيسكيسون . وبروم . وجري . ومابون . وبيل .
وابردين . وورسل . ودربي . الخ .

اما كبار الانكليز العصريون الذين ذاعت شهرتهم وعظمت مكانتهم
فكثيرون منهم . بلفور وهو خليفة سلسبري على رئاسة المحافظين وقائدهم
الآن في مجلس النواب . والورد روندلف تشرشل . وهو من سفول
الخطباء واشهر المحافظين . والمستر تشاهبرلين وهو اهم اعضاء الاحرار
المعتدلين وقائدهم في مجلس النواب ووزير المستعمرات



« اللورد كليف »

« Lord Olive »

هو البطل الهمام . واضع اساس السلطنة الانكليزية في الهند .
ولد في سنة ١٧٢٥ من عائلة متوسطة الحال وارسل الى مدارس كثيرة
كان فيها مثال الشقاوة وعنوان الكسل . يروي عنه نوادر كثيرة منها انه كان
ينظم اقاربه كالجيش ويسير بقربهم معجباً بقده وحسن بنيته كاتقائد الذهاب
الى حومة الوغى فيلزم اصحاب الحوانيت أن يقدموا لهم الهدايا ليأمنوا على
ابواب حوانيتهم وشباييكها من الكسر وقد ادهش معلمه بما كان يأتيه من
التفنن في الشقاوة حتى قال عنه بعضهم : إن شأنه سيكون عظيماً في مستقبل
الايام .

وكان الكل يشكونه الى اهله حتى دفعوهم الى اليأس من نجاحه وفلاحه
فارتأوا ان يخلصوا منه بالحاقه بوظيفة كاتب في شركة الهند التجارية الشرقية .
وهكذا ابدوه عنهم صيماً الى تلك الاصقاع البعيدة فظل المركب الذي
كان مسافراً فيه عدة اشهر في البرازيل تعلم في انشائها بعض الشيء من اللغة
البورتوغالية وانفق المال الذي كان معه ولم يصل الى الهند الا بعد سنة لخروجه
من انكلترا وقد رأى فيها احوالاً كثيرة .

وكان مركز الشركة في مدراس فحصل قبل خروجه من انكلترا على
توصية لتاجر فيها ولكنه لما وصلها كان ذلك الرجل قد عاد الى انكلترا فأبت
عليه كبريائه التقرب من غيره فصرف اشهرًا ينام في محل حقير ولا يعرف

أحداً ولا يتناول إلا راتباً قليلاً لم يكن ليكفيه حتى وقع تحت ائثال الدين وأثر طقس البلاد في صحته وصار يتقلب على حالة من شظف العيش ولدت فيه الشوق إلى بلاده فكتب لأهله وكرر لهم قوله « آه لو رجعت يوماً إلى مانشستر حيث منتهى آمالي ورغبتى » .

وما زال يردف إليهم الرسالة بالرسالة ولا ينال جواباً حتى إذا يئس لجأ إلى مكتبة الحاكم يصرف فيها ساعات الفراغ بالمطالعة حتى تولد عنده بعض الميل إلى العلم والدرس .

على أن الدرس والفقر والشوق إلى الأوطان وتأثير الطقس كل هذه الطوارئ الجديدة لم تكن لتخفف من كبريائه أو تلطف من عتوه بل ظل كما كان يصارع ويبارز ويعامل رؤسائه كما كان يعامل معلميه حتى تهددوه بالطرد . وقد أدى به الغيظ إلى البطش بنفسه ولكن الغدارة خاتته صرتين ولما أعدها في المرة الثالثة وصوبها إلى صدره لمع أمام عينيه بارقة أمل فتأمل هنيهة وقال : اشعر بأنني أعددت لأعمال كثيرة فلماذا أعدم نفسي ثم رمى الغدارة ولعبت به الآمال وصار يهجم بها في عالم الخيال .

وحدث وقتئذ ما مهد له سبيلاً للعمل غير فحص الرزم وتقييدها ذلك أن لا بوردوناً حاكم الموريتوس حمل بجيشه على مدراس ثم حاصرها ودخلها وألقى القبض على حاكمها وعلى نفر من وجوه المدينة ورجال الشركة الانكازية وضبط مخازنهم دية للمتصرين فالتجأ كل من نفسه إلى حصن القديس داوود من الأماكن الخاضعة للانكاز . وكان وقتئذ في الحادي والعشرين من عمره فانتظم في العسكرية تحت رئاسة الماجور لورنس

الانكليزي ولما تقلد سيف الجندي وجد لاقدامه مجالاً وبدأت منه شجاعة في المناوشات التي كانت تقع بين الافرنسيس والانكليز لم تنتظر ممن كان في سنه حتى دهش به لورنس وقربه منه وظل معه بضع اشهر الى ان تم الاتفاق بين انكلترا وفرنسا وبموجبه اضطر دوبلكس الى اعادة مدراس للقومبانية الانكليزية فعاد اليها كليف وظل يتنقل من الاعمال العسكرية الى الاعمال التجارية حتى عين وهو في الخامسة والعشرين من العمر بوظيفة ضابط ملاحظ في الشركة .

ولما جاءت سنة ١٧٤٨ كانت رايات الفرنسيس تحقق في اكثر انحاء الهند ونفوذ دوبلكس يمتد شيئاً فشيئاً بغياب لورنس في بريطانيا حتي صارت له الكلمة النافذة في تعيين الحكام وعزلهم وكان كليف ينظر الى ذلك ويتميز غيظاً بجمع حواليه زملائه واعوانه وعرض عليهم السمي في امارة سلطنة الفرنسيس وكسر شوكتهم فوافقوه على ذلك واتحدوا مع اعداء الامراء الذين تحالفوا معهم والف اولاً كليف من مائتي انكليزي وثلثمائة هندي جيشاً تولى قيادته مع ثمانية من النجار اعجبوا بنشاطه واقتدوا به . وزحف بهذا الجيش القليل العدد على اركوت قصبة كارانتيك في وقت شديد الزوابع كثير المواصف واقتح المدينة وهزم المدافعين عنها وبينما كان آخذاً في تحصينها تجمع من الجهات المجاورة عدد لا يقل عن ثلاثة آلاف مقاتل واحاطوا بالمدينة للهجوم عليها إلا انه صبر عليهم بعد ان دبر لهم مكيدة عظيمة ذبح فيها عدداً عظيماً منهم وهزم الباقي شرّاً هزيمة دون ان يفقد رجلاً واحداً من رجاله

ولما بلغ ذلك شوندا صاحب من الاصراء الموالين للفرنسيس ألف جيشاً جراراً ضمَّ اليه المهزومين والحق به دوبلكس مائتين من عسكره حتى وصل عدده الى عشرة آلاف مقاتل زحفوا على اركوت وحاصروها لاعتقادهم بعدم مقدرة المحاصرين على الثبات طويلاً دون التسليم ودام هذا الحصار خمسين يوماً كان كليف يراقب في اثناها الاعمال بعزم ضريب وقلب اشد من الحديد وقد وثق به اعوانه الهنود ثقة شديدة فاحبوه حباً يقرب من العبادة ولما رأوا ان المؤونة التي كانت مع الانكايز قد نفذت وصار يموت بعضهم من الجوع تقدموا بين يديه بمؤونتهم وقدموها له قائلين : انا نكتفي نحن الهنود بمشاركة الخيل في غذائها لنقدم هذا الزاد لك وللانكايز . قال ما كولى المؤرخ الشهير . لاريب في أن اخلاصاً كهذا من قوم لم يعرفوا التمدن من اغرب النوادر التاريخية

ولما مل المحاصرون هاجموا المدينة بالافيار فردَّهم عنها كليف بمهارة ثم انجد من مدير الشركة الانكليزية بثمناثة هندي ومائتي انكليزي وكان دوبلكس قد استولى على ارض في الهند اكثر اتساعاً من ارض فرنسا فطلب كليف التجيدات المتواصلة من مدير الشركة الانكليزية فنظمها على احسن ترتيب وهجم بها على مادوره بشجاعة عظيمة واكره الفرنسيين على رفع الحصار عنها

وقد كان لصدي هذه الهزيمة في اوروبا وقع عظيم حمل الحكومة الفرنسية على عزل دوبلكس من منصبه واسترجاعه الى وطنه على الفور فزاول كليف على الفتح والنصر حليفه حتى توفي حاكم الهند وبويع من بعده

سراج الدولة وكان الداء الانكيز فشن الغارة على املاكهم واستولى على قلعة ولیم واخذ يقاتلهم فصادمه كليف حتى اكرهه على طلب الصلح ثم استولى على ميناء شندرناجور التابعة للشركة الفرنسية وطرده الفرنسيين من قسم البنغال ولم يكتف بذلك بل اصر على ابادته ملك سراج الدولة كي لا تقوم له قائمة بعد فأم ملكه قاصداً محاربتة فالتقى الجيشان عند بلاسي ودارت الدائرة على سراج الدولة ومن ذلك الحين صارت للانكيز السكامة النافذة في بلاد البنغال كلها فعملوا سراج الدولة وولوا مكانه الامير جعفر وجعلوه تحت حماية الشركة الانكيزية

ولما رأت الحكومة الانكيزية النصر العظيم الذي ناله كليف خولت له الساطة المطلقة في كل اعماله وقد ايدها المغول الاكبر باعترافه بها اعترافاً رسمياً بمعاودة ابرمها معه في الاهداف فتيسر وقتئذ لكليف اخضاع امراء البنغال واوريسا ورتب لهم مقدراً معلوماً من المال يقبضونه سنوياً وظل في الهند ساعياً باخضاعها لسيطرة الامة الانكيزية

وكانت الاموال تنال امامه كالسيل ولكنه كان يأبأها بنفس عفيفة ولم يقبل هدية الا ممن لم يكن يرج منه مساعدة ولو اراد ان يتناول منها شيئاً لفاق روتشيلد في غناه

وقد تيسر له في حروبه الكثيرة انتهاز الفرصة لزيارة بلاده والتزوج فيها فقبول بالاحتفالات الباهرة وورقي الى مراتب الاشراف ° وقد وصفه ماكولي المؤرخ الشهير بقوله : كليف كاكثير الرجال الذين نشأوا من العامة بقوى عقلية عظيمة ابرزتها التجارب واظهرتها الحوادث °

وغلب في النجاح وسمى ورائه حتى ركب جناحه وما زال يخضع المصائب حتى استعبدتها وصار يقيد بها اماله تزيد انتصاره عزاً وذكره فخراً واشتهاراً .
فعل لوطنه كما فعل غيره من نوابغ السياسة وقواد الحرب على انه لم يسمع بمن ضم مثله الى بلاده ولايات عظيمة الاتساع كثيرة السكان وافرة الثروة مثل الولايات التي اخضعها لحكومته . فاليه يعزى الفضل في غناء تجار الانكيز واصحاب المصانع والمعامل الذي كانوا يرسلون سلعهم الى الهند فيعودون منها بالاموال الكثيرة .

فالانكيز يذكرون كليف بالشكر ويعدونّه بين اعظم القواد واشدهم ركانة وفراسة واقداماً واشرفهم صفاتاً .



« الاميرال نيلسون »

« Nelson »

هو البطل المقدم واشهر قواد البحر على الاطلاق

ولد في التاسع والعشرين من سبتمبر سنة ١٧٥٨ في مدينة برمنهام تورب من اب قسيس وبدأت عليه مخائل الشجاعة والاقدام صغيرا فلتقى دروسه الابتدائية في مدرسة نورويش وتركها وله من العمر اثنا عشرة سنة فاخذه عمه في بارجة حربية كان يقودها الى جزائر الانتيل واخذ يرعاه بعنايته ويدربه على الاصول العسكرية اذ توسم فيه شجاعة لم يعهدا بمن كان في سنه

ولما عاد الى انكترا بعد سفر زار فيه اكثر مصافي الهند الشرقية وجزائر الهند الغربية واساكل البحر الابيض المتوسط فاز في الامتحان العسكري ثم رقي الى رتبة ملازم وأرسل في بعض المهام الى الهند وما زال يسافر في البحر يخوض عبابه ويدال صعابه حتى ازداد خبرة في الفنون الحربية وفي قيادة البوارج . وما جاءت سنة ١٨٧٨ حتى عينه اللورد هو ناظر الحربية وقتئذ رئيسا لمركب حربي كان مسافرا الى جزائر تحت الماء . وحدث في تلك الجهات ان بعض التجار من الانكايز وفدوا بمراكب مشحونة ببعض الاشياء الممنوع بيعها فمنعهم اولاً فلم يمتثلوا فعرض امرهم على حاكم الجزيرة فاستصغره واجابه صردياه . لم تسبق العادة ان جنرالاً وحاكماً مثلي يخاطب شاباً في سنك فاجابه وقد تأثر من كلامه . ان رئيس الوزراء عمره

كعمري وهو مدير سياسة المملكة الانكليزية فانا قادر مثله على قيادة بارجة
(ويعني برئيس الوزارة وليم بيت)

وخرج للحال غضباناً رحجر على بضاعة التجار وضبط مصراكيهم فغضب
منه حاكم الجزيرة وسكانها ولكنه لم يظهر بهم اقل اهتمام بل سافر الى انكلترا
وبرفقته شابة ارملة كانت غاية في الملاحه والجمال علق بهواها فاقتن بها
وبرفقته ايضاً المراكب التي ضبطها حتى اذا وصل انكلترا قوبل فيها بالاكرام
والترحاب

ولما حدثت الحرب بين فرنسا وانكلترا في سنة ١٧٩٢ عين في نابولي
لايصال الاخبار والتلغرافات الى حكومته وعرف في تلك الاثناء اللادي إماً
هملتون زوجة سفير انكلترا فعاق بهواها واحبها حباً مفرطاً لانها كانت آية في
جمالها وغاية في حسننها وكانت ملكة نابولي تودها مودة لا مزيد عليها .

وأرسل الى الكورسيكا في سنة ١٧٩٤ لمساعدة قائد الجيش الانكليزي
على ادارة ربحي الحرب فظهر في تلك الواقعة من الشجاعة والاقدام ما حير
العقول فمين في السنة التالية رئيساً للأسطول الانكليزي في البحر الابيض
المتوسط فانتصر على الاسطول الفرنسي انتصاراً تاماً ثم ظفر بالاسطول
الاسباني في سنة ١٧٩٧ فظهر للملا قدره واعطي نيشان الحمام وفي شهر يولييه
من تلك السنه كسر ذراعه الايمن في موقعة مع مصراكب المكسيك وقد اشير عليه
بالرجوع عن الحرب فاجب وسحب قطعة من الحريير الابيض كان يلف بها قميصه
فلف بها ذراعه لينع مجرى الدم ولم يرجع عن الحرب الا بعد ان فاز عليهم
فوزاً عظيماً واسرع فكتب الى ناظر البحرية بانكلترا يقول انه اضحى بذراع

واحد آلة غير مفيدة للجيش واستأذنه بالعود الى انكلترا ليتيسر له معالجة نفسه وهناك قبول باحتفاء عظيم وعينت له الحكومة راتباً سنوياً كبيراً وتفتح بقلب امير البحر مع بارون برمنهام تورب (وهي البلدة التي ولد فيها) وثمل من خمرة هذا النصر فخدا به حادي التذكار الى صراى حبيبته التي اودعها قلبه في نابولي فسار اليها واستسلم لها واهلها فطلق اكراماً لها امرأته الاولى وانتقاد لها انقياد الاسير الى الاسر لا يفعل الا ما به رضاها فجاب عليه هذا الحب عاراً لا يحصى وفي سنة ١٨٠٠ ولدت منه ابنة دعتها هوراسيا تيمناً باسمه الاصلي

وفي سنة ١٨٩٨ ظفر بالعمارة الفرنسية عند ابي قير عند ما زحف نابوليون بجيوشه الى الديار المصرية لافتتاحها والتقدم منها الى الولايات الانكليزية فوافاه هذا البطل واصطالت نيران الحرب بين الاسطولين وكانت القوة متساوية وفي اقل من ست ساعات انتصر نيلسون بعمارة على العمارة الفرنسية وضعضع احوالها ولم يسلم من السفن الفرنسية التي كانت سبع عشرة بارجة غير اربع فقط فازت بالقرار واصيب نيلسون برصاصة في جبهته لكنها لم تكن قاتلة وكانت هذه المعركة اشهر معركة انتصر فيها

ولما اتحدت دولة الدانمرك مع دولة اسوج ونروج باتفاق روسيا وفرنسا على محاربة انجلترا بحراً جهزت انجلترا عمارة بحرية وارسلتها الى بحر البلطيك تحت رئاسه السير هيد باركر وكان نيلسون متقلداً الرئاسه الثانيه فلما اشرفت المراكب الانكليزية على خليج كونهاجن كلفه السير باركر بادارة رحي الحرب فرتب المراكب على نسق منظم ثم أمر بالهجوم فاحتدم القتال بين

الفریقین واضطربت نيران الحرب حتى كادت السفن الانجليزية تمس قاع البحر . وكان نيلسون يتمشى على ظهر بارجته يحمي همم الجيش ويقابل كرات المدافع التي كانت تمر فوق رأسه وتتساقط حوله وهو رابط الجاش ثابت الجنان وقد اصاب أثناء وقوفه عمود السفينة رصاصة فسقط بجانبه وكاد يقتله الا انه استجمع كل قواه وقام كالاسد ونظر الى الويل المحقق به وقال لعل هذا اليوم من آخر ايامنا فاشار عليه باركر بالابتعاد عن ذلك المكان فأبى قائلاً لا ارتضي ان اكون في غيره ولو اعطيت المبالغ الوافرة من الذهب

ولما اشتد القتال لحق ببوارج الدانمرك الفشل فرفع رئيسها راية الرجوع وهي علامة كف الحرب فاشار ايضاً السير باركر على نيلسون بالرجوع واخبره من كان حوله بذلك فاضطرب وصاح باعلى صوته : الموت احب الي من ذلك واني اعور فهبوا اني اعمى . ثم انتزع النظارة ووجهها الى عينه الصحيحة ونظر الى الاشارة وقال : لا أرى شيئاً مما تقولون فابتقوا راية الحرب وشددوا القتال وهذا هو جوابي ورفع بدل راية الرجوع راية مكتوب عليها (ان انجلترا تتوقع من كل فرد من رجالها ان يقضي الجواب عليه) واستجمع كل قواه وواظب على ما كان عليه من تشديد الحرب بعزم شديد وقلب اقوى من الحديد ولم يرجع الا بعد ان نكس راية الاعداء وضعضع احوالهم ثم عقد معهم الصلح على شروط معلومة

وقد قال لولي العهد عند اجتماعه به انه حضر اكثر من مائة معركة ولم يشاهد معركة اشتد ويلها كمعركة كوبنهاجن ذلك لاضطرار المراكب الى التقدم نحو العدو وعدم وجود عمق كاف في البحر .

وقد عظمت مكاتته من ذلك العهد لدي الامة الانكليزية ووقعت محبته في قلوب رجال المملكة فاعطى لقب لورد وقلد رئاسة البحرية وسمي بامير البحر وآخر انتصاراته واشهرها واقعة ترافغار (او طرف الغار) حين اتحدت فرنسا واسبانيا ضد انجلترا فالتقاها بسبع وعشرين بارجة حربية بينما كانت عمارتهما تبلغ الاربعين بارجة . وكأنه اوجس شراً من المنية في تلك الواقعة قدخل غرفته في المركب وكتب وصيته الى خيلته ثم خرج واخذ يصدر لطباط المراكب الاوامر اللازمة ويشدد عزائم الجنود ثم اصر باطلاق المدافع فاطلقت في الحال واشتبك القتال بين الفريقين وبعد حرب عنيفة اسر اميرال الفرنسي بعد ان تلف من بوارجه ١٩ بارجة وفاز الانجليز في تلك الحرب فوزاً مبنياً لم يروا مثله من قبل . وامتلكت انجلترا من ذاك العهد ناصية البحر وصارت السيده عليه لا ينازعها في سيادتها احدى ثلاث قوة نابوليون البحرية ولم يقيم لها قائمة من بعده . وكان نيلسون في تلك الحرب لابساً ملابسه الرسمية ومزيناً صدره بالنياشين التي منحها . ويقال انه كان يباشر كل الحروب بفاخر اللباس . فجاب ذلك عليه في تلك الواقعة مراقبة الاعداء واطلق عليه احدى الجنود من بوارجه فرنساويه رصاصه اصابت ظهره وكسرت العظم فجرحته جرحاً بليغاً ونقلوه الى غرفته فاقد الصواب وبعد قليل افاق على دوى عظيم فاستدعى قبطان المركب وسأله عن نتيجة القتال فاخبره بالنصر التام فانسر وانشرح وسكر بخمرة الانتصار وهو يقاسي سكرات المنون وصاح قائلاً اني اموت الآن مسروراً بعد ان قضيت الواجب على لوطني واوصى باعطاء سيفه لخليته اللاديه هملتون ثم اسلم الروح وهو يذكرها ويذكر وطنه وذلك

في سنة ١٨٠٥

وقد قدرت الحكومة ما ناله الوطن من الفوز على يده فعينت لشقيقه
راتباً سنوياً قدره مائة وخمسين ألف فرنك ووهبت لشقيقتيه ٥٠٠
ألف فرنك

وكذلك نقلت جثته الى ائدره ودفنت فيها باحتفال عظيم على نفقة
الحكومة وأقيم له في ساحة طرف الغار تمثال فاخر على عمود من المرمر بلغت
نفقته خمسة واربعين ألف جنيه وكتب على هذا العمود عبارته التي نطق
بها في المعركة الاخيره وهي : ان انجلترا تتوقع من كل فرد من رجالها ان
يقضي الواجب عليه



« الدوق ولنتون »

« Wellington »

هو البطل الهام والقائد الشهير وزير انجلترا الكبير
ولد بمدينة دوبلين (عاصمة ايرلندا) في بيت كريم في ٢ مارس سنة ١٧٦٩
وتلقى دروسه الابتدائية في مدينة اتون واكمها على مدرس خصوصي في مدينة
بريتون ثم انتقل الى فرنسا وتخرج في مدرستها الحربية وانتظم في خدمة
الجيش الانكليزي وشرع يرتقى فيه رويداً حتى نال سنة ١٧٩٣ منصب
مساعد كولونيل . وفي سنة ١٧٩٤ كان يقود فرقة من الجيش الانكليزي
المحاصر لمدينة اوستاند فاستفاد في تلك الحرب مما الم بالجيش من المصائب
ما يجب على القواد من الاداره واطهر من البساله والاقدام ما اوجب ترقيته
الى منصب كولونيل وارسل الى الهند في سنة ١٧٩٧ فانتصر على الامير
تيبوصاب من كبار حكام الهند ومن الداعاء الامه الانكليزيه واجتهد في
ترقية شأن الجنود الذين كان يقودهم فنال مدح رؤسائه ورقى الى منصب
جنرال .

ولما حدثت في الهند حرب المهرات الشهيرة سنة ١٨٠٣ عين رئيساً للحمله
الانجليزيه وكان جيشه لا يتجاوز الثمانية آلاف مقاتل بينما كان جيش المهرات
مؤلفاً من خمسين الفا من نخبة الرجال منهم نحو عشرة آلاف منظمون على نظام
الجوش الاوربية يقودهم ضباط وقواد من الافرنسيس وقد هاجم بجيشه
القليل العدد تلك الجوش الجرايه فقاتلوا قتال الابطال وقاموا باعمال

لا يقدر الانسان ان يأتي باعظم منها وطال وقوف ولتتون في تلك الحرب في دائرة
المنون فنجما منها وكان يقتحم صفوف جنوده ويشدد عزائمهم ويحيي همهم
متعرضاً لرصاص البنادق خائضاً بحار المنيا ببسالة وثبات خلد له في بطون
التاريخ احسن ذكرى حتى انتصر في تلك الحرب انتصاراً عظيماً وقد سكر
جنده من خمرة ذلك النصر فتورط البعض منهم في الفحش والمسكرات فجازى
المرتكين اشد جزاء . وقد بعد ذلك اماره بعض الولايات الكبيره فصرف
همه لتحسين حالها وترويج حركة الاعمال فيها فبدت في الاداره مهارته كما
ظهرت في حومة الوغى بسالته ثم طلب من حكومته العود الى انجلترا لمعالجة
صحته مدعياً ان هواء تلك البلاد يضر به كثيراً . وحقيقة الامر انه كان يرغب
في معالجة مطامع نفسه لانه لم يعد يرى في الهند بعد ذلك الفوز العظيم من
بحال لبلوغ ذروة المجد التي كان يطمح ببصره اليها فصادف طلبه قبولاً
وغادر الهند باحتفال شائق وقدمت له اعيان مدينة كلكتوتا هدايا ثمينة منها
سيف ثمين قبضته مرصعة بالالماس والاحجار الكريمة . وقد قوبل في انجلترا
بالترحيب والتكريم وانعم عليه بنيشان الحمام . ثم عين كاتم اسرار حاكم
ايرلاندا وارسل تحت قيادة اللورد كاتسكازت لغزو مدينة كوبنهاجن فلم
تطأ قدمه تلك البلد بالجيش القليل الذي كان يقوده حتى بدد شمل الدانيزيين
وانتصر عليهم انتصاراً ميئناً . ورتي سنة ١٨٠٨ الى رتبة وكيل جنرال وارسل
بمشرة آلاف جندي لتحرير اسبانيا والبورتغال فتصدهما وحارب العدو
وانتصر في واقعيتين عظيمتين وامضى معاهدة سنترال

ومما يروى عنه ان منظر الهجس والتفكير كان يلوح دائماً على وجهه في تلك البلاد

فسأله بعضهم مرةً بماذا انت مفكر . فاجاب نابوليون الذي دوخ ممالك اوروبا ولم اره' للآن . فانا اهجس بأمر تدوينه والظفر عليه لاهداء اوروبا والعالم بأسره الامن والسلام والحرية التي يعبت بها . وقد تم له ما تمنى وتسنى له الفوز عليه في واقعة واطرلو الشهيرة بعد ان عين قائداً عاماً للجيش الانجليزية في اسبانيا وكان موقفه في تلك الحرب من اصعب المواقف تحيط به الصعوبات من كل جانب فعانى المشقات بهمة هرقلية وقام بأعمال تدهش العقول وكان يرفع صوته بين جيشه مع صوت المدافع التي كانت تدوي كالرعود مثبتاً عزائمهم بعد ان كاد يتشتت شملهم مولداً فيهم الحمية والحماسة بقوله اثبتوا يا اولادي . الوطن الوطن ! ماذا يقول عنا الوطن اذا عدنا اليه مغلوبين . وكانت واقعة واطرلو هذه من الوقائع الهائلة لم ير العالم اشد منها اذ تغطمت تلك السهول الرحبية بأربعين الف جثة . وبعد قتال ثمان ساعات اخذت جيوش نابوليون تتثنى وتهرب باضطراب وخوف حاملة اخبار الانكسار ففاز نابوليون بنفسه مع قليل من حرسه . ولما تم النصر الى ولنتون أمر جيشه جرياً على عادته الكريمة في ساعة الفوز بالانتشار في ميدان القتال حاملين المنعشات للجميع معتنين بجرحى اعداءهم كاعتنائهم بجرحاهم .

وكانت هذه الواقعة الضربة القاضية على نابوليون والانجليز يحلون قدرها ويطربون باسمها ويحيون تذكارها ويعدون لها من سواطع البراهين ودوامع الحجاج على ان فيهم من فطاحل الرجال وصناديد الابطال ما يكفي لرغم انوف الملوك الجبابة والاسود والاكاسرة . قال ولنتون في نهايتها . اني لا اثل بخمرة النصر الذي تم لبلادي على يدي ولكنني اتنى ان تكون هذه

الواقعة خاتمة الحروب

ولقد طار صيته في الآفاق واتجهت اليه عواطف الامة وحامت عليه
البشائر من ملوك اوروپا وقدمت له هديه مائتي الف فرنك ونفحه اسكندر
ملك روسيا بنيشان القديسه حنه من الدرجة الاولى مع مليون فرنك ولقبه
ملك هولاندا بامير واطرلو ومنحه ٢٠٠ الف فلورين ونال غير ذلك من
الالقب العظيمه والهدايا الثمينه وعكف بعد تلك الواقعة على السياسة فحول
قواه الجسديه الى فكره وتقلد بعد مدة من الزمن منصب الوزارة فظهر ايضاً
غايةً في اخلاص وطنه وآية في جلدته وثباته وعاش ٨٤ سنة وظل متمتعاً بقواه
الجسدية والعقلية الى آخر دقيقة من حياته وكان من نوادر الخلق في الوجود
حكمة وشجاعة واقداماً لقب بالدوق الحديدي لثباته الذي لم يفارقه قط .
وكان مع ذلك عنوان الصداقة والامانة والشفقة وكان مثلاً في علم السلوك
قال عن نفسه انه بعد ان ناهز الستين من عمره لم يخاصم احداً في حياته قط .
وقد قاسى هذا البطل من كبرياء الاسبانيين وعدم ثقتهم به ومن عادات
عساكره السيئه ومن مضادة اعدائه السياسين في بلاده صنوف العذاب .
وقد كانت شجاعته ارقى من شجاعة غيره . لانه لم يكن ليتعرض لشر
العواقب الا متروياً ولم يكن ليقدّم على امر الا قاصداً وعازماً ولذلك قلما
اخطأ في اعماله الكثيرة وكان النصر حليفه اينما سار . فهو كما وصفه بعض
المؤرخين من طبقة نابوليون خبرةً ونزوعاً الى المعالي وكرم موبل حكمة وخبرة
ودهاءً وواشنطن عفة ومحبةً لوطنه .

« الجنرال ولسلي »

« General Wolseley »

هو البطل المقدم قائد الجيوش الانكليزية العام (عند وضع هذا الكتاب)
ولد في بيت كريم من ايرلندا . وربي صغيراً في مدارس انكلترا
الحربية وانتظم في خدمة الجيش الانكليزي في التاسعة عشرة من عمره
وارسل اول مرة الى الهند وهي البلاد التي كانت ميداناً للنشاط الانكليزي فبدأ
فيها ايضاً نشاط ولسلي وهو في اول العمر وركب الى رتبة ضابط . ثم اشتهر
اصره شاباً في حرب القرم وجرح جرحاً بليغاً في حصار سباستبول شفي منه
ونال جزاء اقدمه نيشان القرم والجيوز دونور والمجيدية ثم عاد الى الهند
وحارب في حصار مدينة لكونوا سنة ١٨٧٥ وركب بعد الاستيلاء عليها الى
رتبة ماجور ولما اشترك في الدفاع عن مدينة الومباغ وحارب بكل بسالة
واقدم اعلا شأنه وذاع صيته فارفق الى منصب مساعد كولونيل . وفي
سنة ١٨٦٠ قاد الجنود الانكليزية التي اشتركت اذ ذاك مع الجنود الفرنسية
في محاربة الصينيين فاستظهروا عليهم حتى وصلوا الى مدينة باكين عاصمة ملكهم
وظل هكذا وقوته تعظم بالحروب وشهرته تزيد بها حتى وصل الى منصب
كولونيل في سنة ١٨٦٥ وعقد له في ١٨٧٠ على جيش لاختضاع العصاة على
ساحل البحر الاحمر في كندا ومما يستحق العجب في هذه الحملة انه ركب النهر
فمر بجنادل صعبة المرتقي وشلالات دافعة شديدة مثل شلالات النيل وذلك
في قوارب شراعية ومقذافية وغيرها شحنها على السفين وسكك الحديد الى



الجنرال ولسلي

فم النهر وأمر بأن يركب في كل قارب عشرة رجال يتزودون بالما كول الكافي لثلاثة أشهر وهكذا اجتازوا ستمائة ميل اعترضهم في أثناءها خمسون حاجزاً تغلبوا عليها ووصل ولسلي الى العصاة واخضعهم وكان الظاهر الظافر واستحق بعد هذا النصر العظيم صليب سان ميخائيل وسان جورج ومنصب

ادجوتانت جنرال في الجيش

ولما استعرت نار الحرب بين الانكاز والاشنتيين في جنوبي افريقيا تولى قيادة الجنود الانكازية وسار بها مسافة بعيدة في طرق حرجه كلها مكامن وغابات دعلة ووغور ومضايق ضد اعداء لم يكن يعرف استعدادهم ففرق ضباط الجيش وامرهم ان يحتاطوا بهم وهكذا حمل بجنوده عليهم حملة غريبة الظروف والاحوال وظهر من التفتن في الهجوم والدفاع مالا مزيد عليه وظل يحاربهم مدة سنة حتى شتت شملهم وهزم ملكهم كوفي كالكالي عند اكرمبو وحرق هذه المدينة ودخل قوماسيا عاصمة الاشنتي ولم يعد عنها الا بعد ان اوجب الغرامه الحربية على ملكها ولما وصل بجنوده انكلترا قوبل باجل اكرام واستقبل اعظم استقبال واعدت له الحفلات الباهرة ورقى الى منصب ماجور جنرال وتفتح بالوسامات والالقاب الشريفة وقرر البرلمان ان تصرف له مكافأة ٦٢٥٠٠٠ فرنك ومنحه مجلس بلدية لوندرا سيقاً عظيماً وانهاالت عليه التهاني من كل صقع ومكان

وفي سنة ١٨٧٥ عين حاكماً على جمهورية ناتال في جنوبي افريقيا وكلف باخضاع البويرس ثم عاد الى انكلترا في سنة ١٨٧٧ ورقى الى منصب مارشال وتعين في ١٨٧٨ حاكماً لجزيرة قبرص

ولما ظهرت الثورة المرافية المشهورة في مصر سنة ١٨٨٢ قاد الجنود الانكليزية وانتصر انتصاراً باهراً على الجنود المصرية في واقعة التل الكبير واخضع العصاة وعاد الى انكرا وصار ينظر اليه الانكيز كما ينظرون لاعظم ابطالهم وقوادهم وشكروه ما استطاعوا الى الشكر سبيلاً وصار لقبه اللورد ولسلي اوف كير

ولما شاع امر حصار الخرطوم وكتب غوردون الى حكومته يستغيث بها اعتمدت ارساله ثانياً بسبمة آلاف جندي لخلاصه وخلاص الكولونيل ستوارت واشارت عليه قبل خروجه عدم التوغل في السودان ولكنه وصل اليها متأخراً لان الخرطوم كانت اخذت وقتل غوردون فاخذت انكرا السودان من عساكرها وفي الحال امر ولسلي الجنود الانكليزية ان تتسحب وبعد عودته الى انكرا وصل الى ذرى المجد والشرف بتعيينه قائداً عاماً للجنود الانكليزية وهو لا يزال يتولى هذه الرئاسة

وقد اشبه هذا القائد العظيم اعظم الابطال عزماً واقداماً وهو غاية في الركاة والفراسة كان يمكنه جمع افكاره وتوجيهها الى اي امر اراده في ميدان الحرب والوغي وقد ثلب طالع سعادته كل المصاعب التي قامت امامه وسار النصر بركابه اينما سار وانتصر في كل حروبه بلا استثناء .

« اللورد باكون »

« Lord Bacon »

من اعظم فلاسفة الانكليز ومن اشهر مؤلفيها وقطب الفلسفة الحديثة
واب فلسفة المصرية . وجد في ايام الملكة اليسانبات وكان ابوه السير نيقولا
باكون من ذوي الوجاهة واليسار في بلاده وكانت امه من نوابغ النساء في
الذكاء ولما بلغ الثالثة عشرة ارسله ابوه الى مدرسة كامبريدج الشهيرة فآثم
فيها علومه ثم ارسله الى اوروبا فزار اكثر ممالكها وكان في هذه الاثناء ينقب
عن احوالها ويبحث عن قوانين الممالك في البر والبحر ويكتب ما يتصل به حتى
جمع من هذه الشوارد شيئاً كثيراً ضمها الى كتاب سماه حالة اوروبا وهو
وقتئذ في التاسعة عشرة من عمره واشتهر امره وهو في فرنسا بحله بعض
مسائل الملكة اليسانبات على احسن اسلوب فوَّض اليه حلها سفير انجلترا
ثم عاد الى بلده حين وفاة والده فرأى ان ثروته غير كافية ليلازم على العيش
الذي تعودده فانعكف على درس القانون ليلاً ونهاراً ليتخذ صناعة المحاماة
وسيلة لكسب المال وسلاماً للمراتب العالية فتحصل في اقرب وقت على ما كان
يتمنى وامتل مل صراراً بحضرة الملكة اليسانبات فاعجبها ما كانت ترى في اقواله من
البلاغة والفصاحة فعيته في سنة ١٥٨٧ مع صغر سنه مستشاراً خاصاً لها إلا
ان ايراد هذه الوظيفة لم يكن ليكفيه . ولولا كرم اللورد اسكس وزير انجلترا
الذي حباه وقتئذ براض يعيش من ريعها لوجد نفسه في فقر مدقع
وفي سنة ١٥٩٣ انتخبته مقاطعة مدلسكس نائباً عنها في مجلس الامة

واول خطاب القاه كان في تمضيده ما تتمناه الرعية من اصلاح القوانين وكان
 في كلامه من الفصاحة وحرية الفكر ما ادهش الحاضرين وبعد ايام قلائل
 وقف خطيباً يحض على ايقاف بعض الرواتب التي كانت تصرف من الخزينة
 العمومية وقد اظهر من الجرأة في المقال ومن التيسير في الخطابة ما ساء اكثر
 الحاضرين والمملكة خصوصاً وكان شديد الوله بالتأليف فنشر في سنة ١٥٩٤ اول
 تأليفه السياسي واتبعه بتأليف آخر في مواضيع شتى بين دينية وادبية فصادف
 المؤلفان اعظم قبول وترجما الى اكثر اللغات وكان مبدرا للاموال فتراكت
 عليه الديون وارتبكت احواله كثيراً فسجن مرتين ولبث مدة في فقر مدقع
 وبلاء موجه يصارع الدهر والدهر يصارعه ولما جلس تشارلس الاول على
 سرير الملك وكان محباً للعلوم وتمضيده العلماء احيا امال هذا الفيلسوف التعميس
 وقربه منه وعينه في وظيفة المحامي العمومي وهي الوظيفة التي كان يتطلبها في ايام
 الاصابات ثم اخذ يرقه الى المناصب العالية حتي جملة حافظاً للاختام . وافترن
 في تلك السنة بابتة احد اغنياء لوندرا فصار دخله السنوي ثمانية آلاف جنيه
 ونشر في هذه الاثناء عدة كتب في الفلسفة والتاريخ احدث تغييراً عظيماً
 في اداب اللغة الانجليزية ونال بها شهرة عظيمة في كل اوروبا وورقي ايضاً في
 سنة ١٦١٤ الى منصب مستشار خاص للملك وقام باصلاحات جزيلة النفع
 عظيمة الفائدة وساعد الملك على ضم اسكوتلاندا الى انجلترا ضمها وثيقاً فرقاه الى
 مرتبة اللوردية وصار اللورد باكون فيكونت ساذ اوليان . ومازال اسمه ينتشر
 حتي وصل الى ذرى العظمة وصار في مقدمة كبار المماكة فعاد الى الاسراف
 والاتلاف يتباهى بمظاهر الابهة والفخر ولكنه ما عثم ان عاد الى ما كان عليه

من الحال الاول من الضيق والارتباك فلجأ الى كسب المال بواسطة وظيفته واستعمل خدمه لذلك فكان لا يقضي حاجة احد بدون اجرة وصار يبيع الالقاب والوظائف بيماء حتى علم هذا الامر وشاع واخذ التنديد يشتد عليه يوماً فيوماً فرفع عليه ٢٤ قضية امام مجلس النواب حولها كلها الى مجلس الاشراف وطلب محاكمته وكان بعزمه ان يدافع عن هذه القضايا بصدر رحيب وجنان ثابت لكن صحته لم تساعد على الجدل فحكم عليه بغرامة قدرها اربعون الف ليرة انكليزية وبالحرمان من الوظائف الاميرية ومن النيابة عن الامة في مجلس النواب والسجن مدة تتوقف على رغبة الملك فسجن مدة يومين ثم اطلق سبيله وعفى عنه عفواً تاماً لما كان له من الايدي البيضاء في خدمة المملكة وصرف بعد ذلك باقي ايامه في المباحث العلمية وتأليف الكتب الفلسفية العظيمة . وكان غزير المادة متوقد الذهن سريع الخاطر . وكانت الاصول الكناسية حين بزوغ آرائه متسلطة وسائدة على العلم لحد ان اخضعت لها العلوم الحسابية والطبيعية . ولم يكن ليراعى في جميع الآراء الفلسفية والسياسية والوقائع التاريخية سوى الوجه اللاهوتي حتى صار روح العلم والعالم اللاهوت فآثر بتعليماته وتأليفه المفرغة في قالب فلسفي تأثيراً حسناً نتج عنها تحويل مجرى الافهام عن السبل اللاهوتية الى الحقائق الفلسفية وعن النمو بعد الضغط والتوسيع في العلوم بعد التضيق وبالجملة فان مذهب تعاليمه وارشاداته نشأ عنها حركة عقلية كانت اعظم وافضل ما شوهد في العالم القديم فاجمع العلماء على انه كان استاذ الفلسفة الحديثة .

« نيوتون »

« Newton »

هو الفيلسوف الكبير رئيس جيش العلماء والمكتشفين المحدثين
ولد في مدينة (ولثرب) من مقاطعة لنكولن في انكلترا في الخامس
والعشرين من ديسمبر (وهو يوم ميلاد المسيح) في سنة ١٦٤٢ (وهي السنة
التي توفي فيها غليله الشهير) .

كان أبوه فلاحاً فاصيب بفقده صغيراً وربى في حجر امه يتيماً وارسل في
السنة الثانية عشرة من عمره الى مدرسة جراتهام وكان في اول اصره متوانياً بليداً
خاملاً وقد اتفق ان التلميذ الذي كان يعاوه درجة في الصف عيره بكلام أثار
غضبه وانهرض همته فدفعه الى الدرس بكامل قواه ولم يمض عليه اليسير من
الزمن حتى سما على اقرانه وصار اولهم بعد ان كان آخرهم .

واشتهر عنه وهو في المدرسة الميل الى استعمال القدوم والمنشار والمطريقة
فكان يقضي اكثر اوقاته منزلاً في حجرة يعمل الآلات الميكانيكية فصنع
عربة تسير وحدها لمجرد بعض حركات يقوم بها الجالس عليها . ومطحنا
هوياً له تمثال فارة يدير محوره . ومزولة لمدينته وأشياء أخرى كثيرة كان
يهديها للتلامذة أصدقائه . وهكذا تمكن منه الميل الى الآليات منذ حداثة
حتى أداه ذلك الى أعمال مجيدة واختراعات مفيدة

وانتظم في سنة ١٦٦١ في مدرسة كهريدج فمكف على درس القواعد
التي وضعها الفيلسوف كبلر المشهور في علم الهيئة وتعمق في درس النور

ثم رغب في الفلك فبدأ أولاً في توسيع نطاق معارفه بالعلوم الرياضية وشرع في البحث والتنقيب حتى ابتدع أوجز طريقة لترقية الكميات الثنائية في الجبر وأوجد طريقة التربيع الفلكي وبحث عن طفاوات القمر وهالاته ونال في سنة ١٦٦٥ شهادة بكالوريوس في الفنون وسقطت امامه في السنة التالية تفاحة سقطاً منحرفاً فانتبه لهذا السقوط وافكر فيه ملياً ولكن أشكل عليه الامر فتركه ليعاود البحث فيه . ثم عين في مدرسة كبريدج استاذاً للفنون فقضى فيها ستة وعشرين عاماً مواظباً على التدريس وقد درس الكيمياء وعين في سنة ١٦٧٢ عضواً في المجمع الملوكي في لوندرا واشتهر بالمنظار العاكس المسمى باسمه وبعلم السوائل الذي وضعه وبما جرى بينه وبين بعض العلماء من المناظرة على طبيعة النور وما زال يواصل التفكير والبحث بشأن التفاحة حتى ظهر له في سنة ١٦٨٠ ان الارض كرة مسطحة القطبين ولكنها ليست تامة الكروية وحسب مقدار تسطحها عند قطبيها وانتفاخها عند خط الاستواء بدورانها على المحور الوهمي وتجاذب دقائق حجمها وتكلم عن المد والجزر وقال انها مسببان عن جاذبية القمر . ووضح المد الاعظم والمد الاصغر . وتعمق في البحث عن النور الشمسي فحله الى الوانه السبعة المعروفة ثم ركبها واستخرج الثقل النوعي للسيارات . واثان سبب دورانها حول الشمس . وكانت اعظم الاسباب لشهرته اكتشافه قوانين الجاذبية العامة وكتابه المعروف بالفلسفة الطبيعية والاصول وهو يشمل معظم ما افاد به العلم . ولما طار صيته وعظمت شهرته عين عضواً في البرلمان غير ان السياسة لم تنهه عن مواصلة البحث والاكتشاف ولم يتكلم كل الزمن الذي جلسه في البرلمان سوى مرة

واحدة اشار فيها على الحاجب بان يعلق شباكا كان يدخل منه هواء يمكن ان يضر بالخطيب

ولما استلم اللورد هاليفكس زمام الوزارة وكان من تلامذته عينه مراقبا في مضرب النقود براتب سنوي قدره ٣٠٠٠٠ فرنك . وفي سنة ١٦٩٣ رمى كلبه شمعة متقدة سقطت على ورق احرقته وكان شديد الحرص على هذا الورق لاشتماله على عمليات طويلة من الحساب قضى في استخراجها الايام الطويلة وقد حزن من جراء ذلك حزنا شديدا أثر في صحته تأثيرا بليغا حتى ضعف فهمه وكاد يحتل رشده ولكنه شفى ولاذ بالصبر وعاد الى ما كان عليه من الجدال والنضال مع معاصريه من العلماء ونشر مؤلفه الشهير المعروف بالبصريات . ومؤلفا آخر على الحساب العام واربع رسائل اثبت فيها وجود اله حكيم . وما زال يتدرج في معارج الشهرة والفخر وتواصل أفكاره السامية طي الاكتشاف والتأليف بالنشر حتى منح من الملكة حنه بلقب كافير وتوفي في كنسرتون في ٢٠ مارث وله من العمر ٨٥ عاما فاج الانكايز لموته ونقلت جثته الى لوندرا وحمل نعشه الاصراء ومشى في مشهده اكابر المملكة وعلماءها وواروه في ضريح رخامي في اعظم موقع من كنيسة وستمنستر وقد شيد ضريحه هذا على نفقة ورثته ونفقة الخزينة العمومية فبلغت نفقاته خمسمائة جنيه وقد نقش عليه رسمه وصورة اطفال يحملون اشكالا مختلفة عليها اكتشافاته بعبارة لاتينية واقامت له تماثيل في بعض انحاء المملكة وخلف ٣٢٠٠٠ جنيه انكايزي رغما عما كان يجمعه في عيشه من مظاهر الابهة والترف

ويروى عنه انه لم يفقد سوى سنًا واحدة ولم يستعمل النظارة قط
 وكان متوسط القامة ملبس الجملة حاد النظر قليل الكلام في مجتمعاته ولم يكن
 في كلامه ولا في كتابته ادنى عذوبة وطلاوة شأن الفيلسوف السامي التصور
 وكان كغيره من العلماء كثير التفكير شديد التذكر يروي عنه انه كان
 ينفق عند استيقاظه صباحاً من النوم بضع ساعات جالساً على سريره شاردًا
 عن وجوده وغائصاً في لجج افكاره بكل قوى عقله فيذهل عن الاكل اذا لم
 يجد من ينبهه لذلك وقد سئل يوماً بماذا اكتشفت كل هذه الاكتشافات
 فأجاب بالتأمل المستمر فيها ويروى انه لم يخضع لنير اية عادة كانت وكان
 كريماً محسناً شديد المواظبة على اعماله لم يتزوج خوفاً من ان تصرفه الملائق
 الزوجية عن اتمام مباحثه وتأليفه وقد وصفه بعض المؤلفين بانه كان كثير
 الالفة شديد الوطأة على العلماء يعاملهم بالعجب والخيلاء . بيد انه كان يقول
 دوماً اننى لا ادري لماذا يترى على المدح لهذا الحد فلا فضل لي في كل اعمالى
 لاني اشبه نفسي بطفل يلعب على شاطئ البحر فيلتقط من وقت لآخر صدفه
 جميلة او قوقعة يلفظها بحر الحقيقة بينما يظل غامضاً عن الابصار ما حواه من
 جواهر الحقائق

ووصفه مؤلف بقوله : ان الطبيعة ونواميسها كانت محتجبة في ليل دامس
 حتى قال الله ليكن نيوتون فاستنارت كلها

« هربرت سبنسر »

« Herbert Spencer »

هو الفيلسوف الكبير من مشاهير فلاسفة العصر الحديث .
ولد سنة ١٨١٠ في مدينة دربي ورث في حجر والده وعكف منذ نعومة
اظفاره على درس العلوم الرياضية فلم يبلغ السابعة عشر من عمره حتى اتقن
فن المساحة وفي الثانية والعشرين تجلت بنات افكاره الفلسفية والاقتصادية
في رسائل شتى موضوعها « مدار الحكومه » ثم لما رأى ان اقتداره الذاتي
جدير بان يرشح له لتبوء مكاناً عالياً بين علماء عصره ترك المساحة واقتصر
في بيته على المطالعة والتأليف فصنف كثيراً من المؤلفات الجليله الشامله لكل
معارف البشر في علم الحياه والاحياء والعمران والفلسفه العقلية والآداب
والسياسة والاخلاق عدا عن الشذرات التي كان يتحف بها الجرائد العلميه
فجمعت وطبعت في ثلاثة مجلدات

واشتهر كثيراً بمذهبه الفلسفي الذي ايده بالحقائق والبراهين العلميه
وقد شار فيه الى ان الارتقاء يعم كل ما في الكون فانتج بسببه ميدان الجدل
والمناظرة بين العلماء ثم شهد له بصحته معظم أصداده وسلموا به

- وهكذا اشتهر سبنسر بين العلماء حتى طبق صيته الآفاق وناظره بعض
المعاصرين له اخصهم هريس زعيم حزب كونت في جريدة القرن التاسع
عشر وكانت اشهر الجرائد الشهيرة تلتقط اقوالها وتزين بها صفحاتها
وزار هذا الفيلسوف في اواخر سنة ١٨٨٢ الولايات المتحدة الاميركية



سپتمبر

الملاح

وقد تقاطر عليه العلماء من كل مكان لالتقاط درر اقواله ونشرها في جرائدهم
ولما عزم على الشنخوص لبلاده اعدوا له مأدبة فاخره فخطب فيهم خطاباً انيقاً
على حالة بلادهم كان له اعظم وقع في نفوسهم واعتبروه اعظم دليل على الدرجة
التي وصلوا اليها من العمران وقد سار سببهم بمبادئه العلمية واراؤه الفلسفيه على
مذهب ابن خلدون (الفيلسوف العربي الشهير) فطرق كل المواضيع العلمية
والطبيعية والرياضية التي طرقها ابن خلدون معتمداً كل منهما على ما عرف
في عصره محاولاً اتباع تاريخ العمران



« اللورد كلفن »

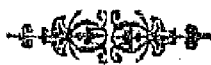
« Lord Kelvin »

هو وايم طمسن اكبر فلاسفة هذا العصر واعظم علماء الكيمياء والكهربائية .
ولد في سنة ١٨٢٤ في مدينة بلفاست من اعمال ايرلندا وتلقى علومه
في مدارس اسكوتلاندا وانما في مدرسة كبريدج وقد اولى صغيراً بالعلوم
الطبيعية فبرع فيها كثيراً ولما ترك المدرسة ذهب الى باريس وزاول العلم
والعمل بها على احد علماء المشهورين حتى اشتهر امره فاستقدمته مدرسة
كبريدج ليكون استاذاً للعلوم الكيماوية والطبيعية ومنذ ذلك الحين اوقف
كل اوقاته بالتأليف والتدريس والبحث والاختراع حتى صارت مؤلفاته
واكتشافاته واختراعاته لا تعد ولا تحصى على ان اعظمها مد الاسلاك البرقية
تحت الاوقيانوس الاطلانطي لا يصل امريكا بانكلترا وتبادل الاشارات
بينهما بسرعة البرق بعد ان كانت تستغرق الساعات وقد صرف في هذا
العمل الايام والاعوام يستنفض الهمم ويبحث ذوي الثروة على المساعدة
والاكتتاب حتى توفق لنوال مراده ونجاح مسعاه واقام الاحتفال العظيم
بمد هذه الاسلاك وكانت اول اشارة ارسات عليها هي : « اتصلت انكلترا
وامريكا بالتلغراف فالحمد لله في الاعالي وعلى الارض السلام وبالناس المسرة »
وانعم عليه عقب ذلك برتبة « سير » وانها لت عليه التهاني والانعامات من اكثر
ممالك اوروبا .

ومن اختراعاته الشهيرة الابرة المغناطيسية واجود انواع البطاريات

الكهربائية وغيرها كثيراً ويؤكد الخيرون ان كل مشغل بطب او بصناعة دقيقة لا يقدر على العمل بحرفته من غير استعمال ادوات هذا الفيلسوف فهو حين وضع هذا الكتاب لم ينقطع عن الاختراع والاكتشاف اسبوعاً واحداً حتى صار مرجع ثقات العارفين في كل امر يتعلق بهذه العلوم .

وقد رقي في سنة ١٧٩٢ الى رتبة الاشراف واعطي لقب لورد وصار يعرف بلورد كلشن وانتخب لرئاسة جمعية العلوم الانجليزية . وقد احتفل في هذه السنين الاخيرة بلوندر ااحتفالاً باهراً بمرور خمسين عاماً على اشتغاله بالتدريس والتأليف فحضر الاحتفال العلماء ومندوبو الجمعيات العالية من كل انحاء انكلترا وبلدان اوربا واميركا



« شكسبير »

« Shakespeare »

اشهر شعراء الغربيين على الاطلاق وامام شعراء الانكيز ونسج وحده
في الروايات التمثيلية

ولد سنة ١٥٦٤ في مدينة ستراتفورد من مقاطعة وارويك . وهو اكبر
اولاد جون شكبير الذي على ما يقال كان فلاحاً يعيش من ريع ارضه وقد
اختلف المؤرخون في شهرة ابيه وحرفته لان شهرة ابنه حملتهم على ان يبحثوا
مدققين عنه فمن قائل انه كان جزاراً ومن قائل انه كان راعياً وقصاباً وكان ابنه
يساعده في حرفته ومما لا خلاف فيه انه نشأ من اصل دنيء وتعلم مجاناً في
مدرسة صغيرة في بلده فاخذ عنها اللغة اللاتينية وقليلاً من اليونانية ولما أتى
لوندرا تعلم الفرنسية والاطالانية والاسبانية ثم وقع بابيه فقر مدقع
اضطره ان يخرج من المدرسة ويبقيه عنده ليكون عوناً له في صناعته فعلق في
٢٨ نوفمبر سنة ١٥٨٢ بحب حنه هاتوي من أحسن عائلات بلده وكانت تكبره
بثمانى سنوات فاقترن بها وعمره نحو التسعة عشر سنة ورزق منها ابنتين وولداً
وقد مال شكسبير منذ نعومة اظفاره الى نظم الشعر فلما استقدمه اليه
ابوه نظم قصيدتين شهيرتين ضمنهما شرح حاله والفقر الذي آل اليه والده
وكيف ترك المدرسة غير متم دروسه فطبعتا في لوندرا صراداً وانتشرتا في
انحاءها انتشاراً نال به بعض الشهرة بمدة وجيزة
وقد تقلب بعد ذلك ردحاً على حالة عسر وكان يزاول على حضور

التمثيل في بلدته فتاقت نفسه الى الاهتمام بهذا الفن لما كان له من الميل الى النثر والنظام ورأى بالتمثيل اشرف صنعة لتحصيل عيشه وعيش عائلته فاندمج في سلك مشغحي جوق البلدة ونال شهرة عظيمة بما بدا منه بحسن التوقيع فاستبشر به مدير الجوق وعزم ان ينتقل برجاله الى لوندرا فاجمع الممثلون ان لا يرحلوا اليها الا وشكسبير معهم فعزّ عليه اولاً فراق قرينته واهله ولكن ضيق حاله اضطره الي اجابة طلبهم فترك ستراتفورد وهو دون الثالثة والعشرين من العمر ونزل لوندرا وقام فيها على التمثيل بلسان فصيح مبين وكان يمثل على الخصوص ادوار الملوك لتناسب هيئته وجمال طلعتة فكان يؤثر على السامعين بحركاته ونظراته وصوته تأثيراً عظيماً وتوج ملك التشخيص بوقت قريب وظلّ يمارس هذا الفن الى سنة ١٦٨٩ فألف في اثناء هذه المدة اجواقاً عدة كان يرأسها بنفسه وروايات كثيرة كان يمثل اهم ادوارها وقد دهش بوقائعها بنو جلدته وانتشر امرها في اوروبا فترجت الى اكثر لغاتها .

وهكذا فقد احيا شكسبير فن التمثيل وذاع صيته حتى طبق القضاء وزادت شهرته حتى بلغت حداً لا انتهاء وانبعث يتدرج في معارج المجد والتفخر حتى رأى ان المنزلة التي نالها بين الشعب لا تحول له البقاء بين الممثلين فانهزل عنهم سنة ١٥٩٠ وعكف على التأليف واخذت بنات افكاره الفتاة تواصل تمثيل كل ما يلم من الحوادث بالانسان فوضع روايات كثيرة لا يسعنا حصره لان اكثرها لم تطبع في حياته ولانه لم يكن يقصد بها سوى تحصيل ما يساعده على القيام بشؤون عائلته بيد انه ربح منها مالاً وافراً بمدة قصيرة حتى قدر دخله بمائة وعشرين الف فرنك سنوياً . واكثر الروايات التي كانت تظهر في حياته

كان يهتم بنشرها اصحاب المطابع دون التصريح منه بطبعها كما انهم كانوا يطبعون روايات كثيرة باسمه وهي ليست له فكانت تروج اتم رواج وكان يذهب سنوياً لزيارة بلدته ويشترى فيها الاملاك الكثيرة حتى صار معظمها له ونزعت نفسه فيما بعد الى الولوج في زمرة الاشراف الا انه توفي في اليوم الذي ولد فيه من شهر ما يو سنة ١٦١٦ ولا يزال بيته الى الآن موضع اعتبار كبير عند الانكليز

ومهما بالغ الكاتب في وصف ذكاء هذا الشاعر واقتداره على ابتكار الحوادث والمعاني فانه لا يبلغ الحقيقة ذلك لما بدا من مهارته الفائقة في تمثيل احوال بني البشر احسن تمثيل فسبحر غور القلوب وابصر ما ثوى فيها واستقر ومثل الانسان على اختلاف اهوائه واطواره وكشف النقاب عن اسرار طبيعته واكتشف غوامضها . فمثل الاطوار الدنيئة والاميال المنحرفة : مثل الضغينة والمكر في روايته المسماة (بدوي ولا شيء يعني جعجة ولا طحن) والحسد باسند احواله في رواية « اوثللو » والطمع باجلى مظاهره في رواية « مكبة » ثم المجنون في رواية الملك لير والعظمة والرزانة بشخص يوليوس قيصر . وغير ذلك .

وقد بلغت به (التراجيدي) الروايات الحزنة حداً لم يتجاوزها الا الآن ولا خلاف بان اعظم الروايات التي تمثل على المراسح الا انهما هملة وروميو وجوليت اما في هملة فقد مثل بمظهر يلين له قلب الجمد ويتفتت لمثله الفؤاد ثورة الابن وقلق باله واضطراب افكاره بعد موت والده فجعله يرى ضياء الدنيا ظلاماً ونور الشمس قتاماً اذ عرف من طيف والده الذي ظهر له من بين الاموات

ان امه وعمه تواطئا على قتله بالسهم ثم نفخ فيه روح العزم لاختذ الدار بخازف
لذلك بحياته ومثل ادوار المعتوهين ووصف عبث الدنيا وباطلها بوصف بالغ
به منتهى الابداع واقوال حماسية تصلب قلب الجبان وتثير نائر الشجاعة في
قلب الضعيف .

ولا غلو اذا قلنا بان رواية روميو وجوليت تفوق ما مثل لآن عن
الحب من الروايات في لغات العالم اجمع وقد ترجمت الى كل اللغات ومثلت
على مسرح الارض طرأ . مثل فيها مؤلفها شاباً وفتاة في سن الصبا وزهرة
العمر كلاهما في الحسن آية وفي الجمال غاية واوجد المداوة بين اهلها وذويها
ثم سلط عليهما عشقاً عنيفاً قوياً ختم على عقلمها وبصرهما واوقفهما مواقف
حرجة تبادلها فيها الوجد والهيام بمنتهى ما يمكنه فواد الشاب بكلام جرى بين
العشاق مجرى الامثال ثم جعل حبهما سبباً لهلاكهما فانقض عليهما كالصاعقة
انقضاضاً سريعاً فلم يفترق قلباهما في الحياة كما ان البين لم يقدر على التفريق
بينهما في الممات بل ذهبا بعد وقائع فظيعة يقشعر لها الانسان شهداء الغرام
وقتل المحبة الخالصة وساد عليهما سلطان الحب في الدارين .

وقد اجاد هذا الشاعر بتمثيله النساء تمثيلاً حسناً فجعلن بشخص
حوليات وكوردليا واوفليا وميراندا ودسدمونا ملايكة هبطت من الجنان
وانسلت الي اماكن البشر .

ومجمل القول ان شكسبير نهج في رواياته منهجاً جديداً لم يسبقه اليه
أحد من الكتبة والمؤلفين جعل به شأناً عظيماً للغة الانكليزية
وجاء لقومه معلماً يهذبهم وراويّة يحدّثهم بما اتوه من الاعمال من عهده

الملك يوحنا الى هنري الثامن . واطهر لهم على منصة المشاهدة من تيارو
بلا كفريارس صورهم الماضية والحاضرة وحالة التوحش والهمجية التي كانوا
عليها والكبرياء والاناء المتصفين بها وكثيراً من الاحوال التي لا تستقيم
معها احوالهم ولا تثبت جزأهم في ثبوتها فاودع بذلك من اقواله الظاهرة
في عقولهم نوراً وأثر عليهم تأثيراً فعمل في نفوسهم فعل السحر فعرفوا للحال
حقيقة أنفسهم وادركوا قدر الشاعر الذي نبغ بينهم وترنحت باقواله اعطافهم
عجياً فاخذوا يتناشدون معانيها في كل سفر وحضر وسارت بها الركبان مسير
الشمس والقمر ودعوا عصره بالعصر الذهبي للشعر الانكليزي وامتاز على
غيره من الاعصر كما امتاز عصر الجاهلية عند العرب وعصر هوميروس
عند اليونان وعصر فرجيل عند اللاتين .

ومن الغريب عند الانكليز ان الشاب لا يصير في عرفهم جتلمان
اي اديباً ولا يظهر في العالم ظهوراً تاماً ولا ينال ما تطمح اليه نفسه الا اذا
قرأ أشعار هذا الشاعر وعرف استعمال ضروب الاستعارات والكنائيات التي
اشتملت عليها . ولذلك ترى كتاب الانكليز تعتمد في كتاباتهم واقوالهم لزيتها
وونقا وبهاءً بتخليتها بما جاء من المعاني المتبكرة البديعة في رواية هملة او رواية
روميو وجوليت او غيرها من الروايات . فآدابهم كما قال احد المؤلفين تحيا
مع اقواله وبها ولاجلها وهم يفاخرون به ولا تراهم في اية بقعة من بقاع
الارض الا وهم يقولون لبعضهم بعضاً « شكسير لنا نبت في ارضنا ونما تحت
جوب بلادنا قدمه من دمنا نقول اقواله وتفاخر به الارض ولا نرضى عنه
بديلاً من شعراء العالم اجمع »

وقد وصفه اسكندر دوماس القصصى الفرنساوي الشهير بقوله : ان
شكسبير هو الرجل الفرد الذي أبدع في الـكون بعد الله .

« جون ملن »

« Milton »

هو الشاعر المشهور « صاحب الشعر المعروف بالفردوس المفقود »
ولد بمدينة لندره في ٩ يناير سنة ١٦٠٨ وتلقى مبادئ العلوم في بيت
ابيه ثم تخرج في كليه كبريدج الجامعة وكان ميالاً من صغره الى الشعر فنظمه
وهو في الخامسة عشرة من العمر . ولما عاد الى بيت ابيه بعد ان اتم دروسه
عكف على البحث والاستقراء في كتب الآداب فصنف روايه شعريه اودعها
آيات البلاغه ودرر المعاني حتى صار الناس يتداولون عباراتها كما تداول
الامثال فاعيد طبعها وكرر تمثيلها وترجمت الى اللغات الاوروبيه وجعلت له
شهره عظيمه ثم اتبعها باربع قصائد كان ايضاً الاقبال عليها عظيماً

وعهد في سنة ١٦٣٨ الى السياحه في أوروبا وبعض مدن ايطاليا وقابل
في روميا غليل الطبيعي الشهير وكثيراً من علماء عصره وشعراهم وفلاسفتهم
واذاع هناك آراءه الدينيه الحره واطلع على الكتب النفيسه التي اشتملت عليها مكتبة
الفاتيكان . ولما بلغه حدوث الثوره العظميه في بلاده آب اليها لخدمها بارآئه
فاشتهر قله ضد خدمة الدين المتطرفين في التعصب . ولما تشيدت دعائم
الجمهوريه عين كاتباً لها في اللغة اللاتينيه لانه كان الوحيد القادر على الانشاء بها .
وصنف مؤلفاً على سلوك الملوك والحكام كان غرضه منه تسكين ثورة الخواطر

التي عمت طبقات الشعب

ولما تولى تشارلز الثاني على انكاثرا رغب في الاقتصاص من الذين عملوا على قتل ابيه فكلف احده علماء مدرسة ليون ويدعى سلماسيوس بتأليف كتاب يدافع عنه . فانبرى ماتن الاعتراض عليه فزق حجته بادلة قاطعه في كتاب سماه دفاع الانكاييز تنهت له الافكار وكان له الوقع الشديد في كل اوربا وذهب دفاع سلماسيوس كان لم يكن شيئا مذكورا وقليل انه قضى كمدأ وهو يحاول الرد عليه . فاقبل سفراء الدول على ماتن يهنئونه بما ناله من النصر المجيد والمكانة العليا وقد عمى وهو يؤلف هذا الكتاب من كثرة الدرس والسهر ولكنه ظل على التأليف يملئ الكتاب وهو متكأ على مقعده . فالف على هذا الكيفية ثلاثة تأليف كبيره وهى قاموس في اللغة الانكاييزيه وتاريخ عام لبلاد الانكاييز وباراديس لوست أى « الفردوس المفقود »

ولما شرع الملك تشارلز الثاني في قتل زعماء الجمهوريه خاف على ملتون بعد اصدقائه فاشاعوا موته واعدوا جنازة حافله ساروا بها الى القبر وواروها في التراب . ثم بلغ الملك امر تلك الحيله فضحك منها وعفا عن دمه بشفاعه الكثير ولكنه أمر بحرق كتبه التي حاض بها عن حرية الانجاييز . ولا ريب في ان اعظم قصائده وبلغها واطولها هى قصيدة الفردوس المفقود المشتملة على عشرة آلاف وخمسمائة واربعه وستين بيتا . وقد مكث على نظمها مائة خمس سنوات كان ينظم اكثرها في فصول الشتاء حيث كان يهرب من نومه وبرز عرائس افكاره لامراته وهى تكتبها . ولما فرغ من تدبجها بالعبارات البليغه والحكم البديعه عرضها على احد اصدقائه فاجابه بعد مطالعتها . لقد



ملتن

أسهبت في وصف الفردوس المفقود ولم تذكر الفردوس المردود فاستصوب
ملتون رأيه وعكف على نظم قصيده ثانيه وسلمها له بعد قليل من الزمن قائلاً
اني مدين لك بها . و يروى انه بينما كانت القصيدة الاولى تطبع حمل
(السرجون دسمر) بعض ملازم منها ودخل مجلس العموم قائلاً « هاكم ابغ
شعر نظم الآن »

وقد أمه في عزاته كثير من العلماء والشعراء منهم اخو الملك كارلوس
وقال له : الا تظن ان فقدك بصرك هو قضاء من الله بسبب الكتابات
والرسائل العديده التي اذعتها ضد المرحوم والذي الملك . فاجابه اذا كان كل
مصاب يعتبر قصاصاً الهياً فاعتبر اذاً ان قطع رأس والدك المرحوم هو من هذا
القييل . فارغى اخو الملك ساعته وازبد وخرج تواءم لاقى اخاه الملك وطلب
منه قتل ملتون فقال له الملك : او رأيت . قال نعم . قال وكيف رأيت . قال في فقر
مدقع وبلاء موجع هرماً ضريراً . فقال الملك اذ اقتلناه ارحناه من هذه البلايا .
غير انه توفي بعد قليل بعد ان لاقى اشد الآلام فتأثر الشعب الانكليزي لموته
ومشي عظماءهم واكابرهم في حفلة جنازته

ومن غريب الاتفاق ان هذا الشاعر العظيم اشبه ابا العلاء المعري
الشاعر العربي المشهور في عى بصره وتوقد بصيرته وحرية فكره وسرعة
خاطره وليس بين شعرهما اختلاف يذكر بل قد توارت خواطرهما في امور
كثيره .

وقد ضمن ملتون قصيدة الفردوس المفقود الطويله المعاني البديعه عن
معارف القدماء الحديثين الحقيقه والوهميه واودعها الخطب الحماسيه والمسامرات

الحية ووصف الحروب والخطوب والسهول والاعوار والجبال والرياض
والملائكة والابالسة بابدع وصف وأبلغ عبارة

« اللورد بيرون »

« Byron »

هو احد مشاهير شعراء الانكليز وآية عصره في فن القريض ومهبط
اسرار خيال الطبيعة ومخرج ابدار المعاني من خدورها
ولد في مدينة دوفر في الثاني والعشرين من شهر يناير سنة ١٧٨٦ من
بيت قديم عريق في المجد يتصل نسب ابيه بالنورمانيين ونسب امه بجمس
الاول ملك ايقوسيا . ولم يكن بين ابويه ائتلاف فتهجر الرجل امرأته بعد ان
ولدت منه هذا الشاعر وذهب الى فرنسا وبدد ماله وماله في الحلاعة ومات
غير مأسوف عليه . فانتقلت الام بطفلهما لفقير حالها الى مدينة ابردين حتى اذا
ترعرع وبلغ الخمس سنوات من العمر ادخلته مدرسة صغيرة وقدّر ان مات
همه ووريثه قال اليه لقب اللوردية مع ميراث عظيم وانتقل الى مدرسة
هارو .

وكان من صفه شديد التأثر كثير التفكير سريع التذكر تلوح على وجهه
دلائل النباهة والذكاء وتنبعث من عينيه تصورات الشاعر وتبرق اسرته بانوار
الجمال . وما بلغ من العمر اشده حتى اولع بالنظر الى جمال الطبيعة كما صبا الى
جمال الخليقة . فكان يقضي فصل الاجازة المدرسية بين جبال اسكوتلاندا
ومناظرها الطبيعية . فرأى مرة في مدينة اناندال بالقرب من نيوكاسل فتاة

حسنة كالبدن سناء تدعى (ميس ماري شاورت) قال اليها بكل عواطفه وحواسه وعمد الى الوصول اليها والتقرب منها وكانت تكبره سناً فكان يرمقها بنظرات الحب الاولى الصادرة من القلب ومن كل الحواس . واما هي فكانت ترمقه بنظرات الاستئناس بنباهته والاعجاب بجماله لا بنظرات حب وعشق كما كان يرغب . حتى اذا تزوجت خاصره بلال البال وانقباض النفس فعمد الى الخلوة بنفسه في اكثر اوقاته بين المشاهد المتنوعة والمناظر المختلفة ليطلب من عرائس الطبيعة ان تحي صورتها من ذهنه لكنها ما كانت الا لتزيدها تمكنا فهاج فيه التذكار والشوق مرة حتى ترنحت قريحته بالشعر فنظم فيها قصيدته الاولى بين الوهاد والجبال وعنوانها « النفسكر » وكان وقتئذٍ دون الخامسة عشرة من العمر .

وانتقل سنة ١٨٠٥ الى مدرسة كامبريدج الشهيرة فاشتهر فيها بالنباهة والذكاء وبشدة الميل الى الانشاء ونظم الشعر ولم يخضع لقانون او لنظام بل كان يسرق ويتلف ويأتي بكل ضرب من ضروب الهزل واللعب . وكان مع ذلك منظر المهجس والتفكر مبرقماً وجهه على الدوام فكان اذا نظر الى شيء ثبت عليه نظر المتعجب المنتقد وكان يتوقع زوال الانقباض الذي كان يشعر به في اكثر اوقاته بنظمه بعض القصائد الرنانة التي جمعها في كتاب سماه « ساعات الفراغ » وطبع سنة ١٨٠٧ بخروجه من المدرسة . فاطنبت الجرائد في مدحه وتوردت عليه التقارير من ارباب الصحف والاقلام الا ان جريدة ادنبورج صوّبت عليه اسنة الانتقاد فكان ذلك داعياً الى الاخذ بشاره ومحرّكاً اجهد قواه الى نظم درر المعاني واستخراجها من بحار البلاغة والبيان حتى نشر

قصائد هجاء بعنوان شعراء الانكيز والمنتقدون الاسكوتلانديون . فكان لهذا
الهجاء رنة واهتمام في كافة انحاء لوندن وهكذا نال بيرون اربه وأخذ بثاره
ولم يترك لهجاء تلك الجريدة ادنى اثر في النفوس

ومما ينكر عليه انه مع ما كان عليه من سمو العقل وغزارة المعارف
وكثرة التصورات السامية لم يكن قادراً على لجم شهواته ومطامعه فانه ولم
يبلغ سن الرشد الا وكان مديوناً بنحو عشرة الاف ليرا رغماً عما كان يتولى
عليه من دخل تركه عمه .

وبالجملة فانه كان يتدرج من صغره مدارج الخلاعة ويترقى صراقي النباهة
حتى بلغ فيهما الغاية القصوى

وما جاءت سنة ١٨٠٩ الا وكان يمضي اكثر اوقاته وهو غائب عن
وجوده وشارد عن حاله حتى اشتدت به تلك الازمة واخذ الضيق بصدوره
كل مأخذ . فهم لان يتنفس من بلاد غير بلاده وان يرى عجائب حقائق الخليقة
فطاف في جنوبي اوروبا وصر بمالطه ووصل الى القسطنطينيه ومنها الى ازمير
ثم عاد الى انكلترا بعد سياحة عامين والقي في البرلمان خطاباً انيقاً اطب الكل
على مدحه والاعجاب به . ثم نشر القصائد الرنانة التي نظمها في سياحته بعنوان
تشياد هارولد (اخبار قاصر) فانتشر انتشاراً غريباً وتواردت عليه التهاني
من الرجال العظام ومن حسان النساء فقال في ذلك قوله الماثور وهو : « ما
طلع عليّ الصباح الا وانا من اشهر شعراء الانكيز » واعقب وقتئذ تلك
القصائد باربع روايات كان انتشارها مزيداً في شهرته .

ثم طلب ان يتزوج بفتاة جميلة ذات ثروة وافرة وابنة عائلة كريمة

فرفضته باديء بدء ولكنه ما برح عن مكاتبها حتى اختلب لبها بسحر معانيه
فاظهرت له الرضاء والطاعة واقترن بها سنة ١٨١٥ وعمره ٢٧ سنة وعمرها ٢٢
سنة . ولم يمض عام وبضع اشهر من زواجه حتى نفدت ثروته وثروة زوجته
معاً فهجرتة الى بيت ابيها بعد ان رزقت منه ابنة . فكتب اليها ان تعود اليه فابي
ابوها وطلب انفصاله عنها انفصالاً شرعياً فرفض اولاً ثم قبل مكرهاً اذ
تهدده بالشكوى الى الحكومة وشرعت بعض الجرائد تسلقه بالسنة حداد
لاسباب زواجه فلم يقمها في ذلك من وجوه الانتقاد ما فاتها منه شاعراً كبيراً .
وهكذا بدأت الامور تتعسر في وجهه حتى كادت روحه تزهرق فباع لبعض
المطابع رواية الباريسية ومجموعة قصائد من غرر اشعاره نظمها مدفوعاً لها
بموامل اليأس اذ وجه بها الخطاب مودعاً زوجته وابنته ثم طاف على وجهه
نازحاً الى الابد عن بلاده

فاختار اولاً قضاء فصل الصيف على ساحل بحيرة جنيوة فأمه في تلك
العزلة بعض شعراء اوروبا وهناك نظم القسم الثالث من تشيلدهارولد في
٤٨ ساعة بين الحضرة والجبال والماء . ويروي انه بينما كان يسير في تلك
الانحاء مع صديق له ترويحاً لكربه اوغلا في المسير حتي وصلا الى غاب
ملتف الاشجار غصونها يابسة واوراقها ناشفة عارية عن الحياة فتلث في سيره
وقال لصديقه . انظر الى هذا الغاب فهو يمثل حال عائلتي وهيئتي . وبقي في
سويسرا الى سنة ١٨١٦ ثم نزع عنها الى البندقية وهناك تهاقت عليه زمرة
من حسان البلاد اللواتي سمعن بشهرته فاجتمعن عليه واخذ يسحب معهن
مطارف الافراح وينظم القصائد البديعة مع اجتلاء الراح وقد انتهز من مخالب

تلك المعيشة بعض الوقت لتأليف رواياته الشهيرة مانفريد • بيبو • مازيا
وبداً بالرواية الشيطانية الشهيرة بدون جيان •

وما زال يتماذى في تلك البلدة بالتهتك والحلاعة حتى تقابل في سنة ١٨١٩
بفتاة رومانية الاصل ذات جمال بارع باهر لم تتجاوز التاسعة عشر من العمر
كانت ترافق شيخاً ههماً اقترنت به طمعاً بماله • فلما رأت بيرون لأول مرة
اقتنت بطاعته وعلق هوبها ايضاً وجنح الى مغازلتها ففناغاتها وترك محظياته
لاجائها وصار يحتلي بها ما استطاع الى ذلك سبيلاً حتى افتضح امرها فهرب
الشيخ بزوجه من وجه فاتها الى رافين بايتاليا • ولكن لم يزدها البعاد الا ميلا
اليه وتمادياً في الكف والتفكير به حتى اعترها النحول والهزال فكتبت لبيرون
تستدعيه اليها فلبى طلبها مسرعاً ولما تماثلت الى الصحة هربت معه فافتنى
اثرها زوجها واهلها ولما كلوها في تركه لم تعد تعقل ولا تع ولا تصنع لقول
ولا لنصح فاخذوها عنوة ثم مرضت من جراء ذلك حتى دنت من حياض
الموت ولكن لم يخف على اهلها الدواء الناجع لها فاضطروا هم والزوج ان يلجأوا
الى بيرون يستعطفونه بعيادة المريضة فما رآه حتى انبعث لها نور الحياة من
انوار بهاءه وبقي تحت سماء بيتها بين ذويها • حتى اذا شفيت تماماً هجرت الشيخ
زوجها وانفردت بحبيبها يتقلان من مكان الى مكان وقد اشتهر حبهما حتى
صار مثلاً • وكان يرى بيرون من جمال وجهها وميض برق يهديه الى
استكشاف حقائق كانت غامضة عليه الى ذلك الوقت فنظم فيها قصائده العجيبه
الرنانه البالغة اسمى درجات الابداع والتصور • وألف اثناء انزاله بها روايات
عدة منها مارينو مها فالوريو ما الفوسكاري وقاين واسرار السماء والارض

ثم اتم رواية دون جيان الشهيرة (وهذه الرواية تمثل حالته ومعيشته)
ولما ثارت اليونان تطالب استنقاذها عمد الى تغيير المنهج الذي سار فيه
الى ذلك الحين فاتحد مع الجمعية اليونانية بلوندر اوامد اليونان بالذخائر والنفقات
التي كانت ترسل له ووعدهم بالزيادة . وروي بعضهم انه كان يسمى ليجمع نفسه
ملكاً عليهم . ولكن المنية عاجلته في مدينة مسيولنجي من بلاد اليونان وهو
في السابع والثلاثين من عمره . فحزنت عليه تلك البلاد حزناً عظيماً لما كان له
من الايدي البيضاء عليها ولما بذله من المساعدة في سبيل استنقاذها وحفظ
جسده وحفظ مدة ١٢ يوماً في كنيسة القديس نيقولا بين ضريحي البطالين
اليونانيين العظمين نورمان ومارك بواتزاريس . ثم ارسل الى لوندرا ودفن
بجانب والدته . وقد بكته معشوقته بعد وفاته وذرقت عليه دمعته الشكلى
ونشرت مؤلفاً عنوانه (تذكرا تي الى اللورد بيرون) اسهبت فيه الشرح عن
الايام التي قضتها معه واوضحت لاي حد كان كلامه مهيجاً مؤثراً في القلوب
وخصوصاً في قلوب النساء والشبان وقد ترجم هذا الكتاب الى اللغة الانكليزية
فكان الاقبال عليه عظيماً

وقال عنه بعض المؤلفين انه يندر ان يوجد شاب استوفي حظ الشباب
مثله . او شاعراً جاهد في الفكر وفي الخلاعة جهاداً عظيماً مثله . وهو معروف
بالشاعر المهتك . نمت فيه قوة الذكاء لحد ان كاد يكشف حجب الضمائر
ويهتك اسرار السرائر . فمال الى استبدال مرثيات الأعصر الحاليه بهجائب
عصره . وكانت اشعاره وكتاباتاته واقواله درر وغرر صرقصه مطربه محزنه مبكيه
ذات معان مبتكرة مؤثرة بنوع اخص في قلوب الشبان والنساء . وقد

ترجمت اكثرها الى اللغات الاوروبية :

« واتر سكوت »

« Walter Scott »

هو الروائي الكبير والشاعر الاسكوتلاندي الشهير ولد سنة ١٧٧١ في بيت كريم من مدينة ايدنبرج . وكان في صفره مثل نيوتون لم يمتز بشيء من الذكاء والنباهة . وكان ضعيف البنية نحيف الجسم حتى خيف عليه من السل الرئوي فأرسل وهو في السنة الثانية عشرة من عمره الى الحلاء فلازم الفراش مدة في بيت احد اقاربه ثم عكف على قتل الوقت بمطالعة ما حوته مكتبة البيت من نفيس الروايات والكتب التاريخية فاخذ يدقق ويحقق في درس عوائد واخلاق الفلاحين وينظر الى المناظر الطبيعية نظرات ناقد بصير أثرت في مخيلته تأثيراً حسناً .

ولما تماهى ونما جسمه عاد الى المدرسة فجاز على اقرانه في مزية الانشاء ورغب بنوع خاص في مطالعة التاريخ ووقائمه الغريبة . ويروي عنه وقتئذ انه اشهر بين اقرانه بالقصصي . فكان اذا تعب وتعبوا من شدة الدرس انتظموا حواليه وقت اللعب على شكل دائرة يجلس هر في منتصفها فيروي لهم احسن الفكاهات والنوادر . ثم رغب في اتخاذ صناعة المحاماة وسيلة للمعاش فقبل محامياً لدى المحاكم في سنة ١٧٩٢ وكان يبتاع بمعظم ربحه منها الكتب الادبية فيطالعها بلذة واهتمام ويقضي اكثر وقته في معايشرة الاصحاب في النوادي العلمية باحثاً مستقرياً نوادر عصره وعوائد بلاده . وللإحاطة علماً بعوائد

ونوادر البلاد الاجنبية انكب باكله الى درس لغاتها فتعلم الفرنسية
والالمانية . ثم مال الى التجول بين الاراضي الواطئة والعالية في اسكتلاندا
ليقرأ من خلال الوهاد والجبال ما خطته يد الطبيعة ويستزيد من طباع الاهالي
معرفة وفائدة لغاية في نفسه محدودة .

ورأى في تجوله عند شاطئ بحيرة كمبرلند فتاةً فرنساوية كانت تقطن
مع عائلتها في تلك الجهة فمال اليها ثم اقترب بها ورزق منها ولدين وابنتين . وصار
وقتئذ دخله من المحاماة غير واف بنفقاته الطائلة فجنح الى نهج خطة التأليف
وشرع اولاً في نظم الشعر . فنشر عدة منظومات صادفت من الجمهور اقبالاً
عظيماً فمد في وقت قريب ثاني شعراء المملكة بعد اللورد ديرون .

وادرك وقتئذ ان اعظم اسباب هذه الشهرة اجادته في محاسن الوصف
والتشبيه مما استفاده من المناظر والمشاهد المتنوعة التي رسخت في مخيلته
منذ صباه . وكان اعظم قصائده التي ضمنها التفنن في الوصف والتشبيه والغزل
والحماسة هي قصيدة سيدة البحيرة وقد اتبعها بقصائد اخرى لم ينشرها باسمه
فلم يرَ من القراء ادنى ميل اليها وآنس بعد التأمل طويلاً بعوائد بني جلدته
ودرسه اطوارهم ان معظم اقبالهم انما هو بين التفككة بقراءة الروايات المدبجة
والمحلاة بالوقائع التاريخية . فاستقر عزمه وقتئذ على التأليف ونشر في سنة
١٨١٤ اول رواية وعنوانها (واقرلي) فصادف لها نجاحاً لم يكن يؤمله لانه
لم يضع اسمه عليها . لكن الانكليز عرفوا انها تأليفه فدهشوا بمبناها ومعناها
وسموها الرواية السحرية واصبح لقب مؤلف واقرلي عنواناً له . واتبعها
في تلك السنة بنشر ديوان الشاعر سوفت بتسعة عشر مجلداً مغ ما وضع

فيه من الشرح الطويل . ثم كتاب آخر عنوانه آثار الحدود ثم روايتين فقصيدة
بديعة وصف بها واقعة وترللو الشهيرة

وانقطع بعد ذلك الى تأليف سلسلة روايات ظل في تأليفها مدة ستة عشرة
سنة كاملة . ولما انتشرت استحسنتها الرأي العام واجمع علماء الارض انها تحفة من
تحف العصر وطرفة من طرائف القطر الذي نشأت تحت سمائه . ذلك لانها ماثبات
عوائد البلاد المختلفة واطوار مسندة الى الوقائع الحقيقية التاريخية احسن تمثيل
فكر طبعها صراراً بالانكليزية وترجمت الى اللغات الاوروبية (ولخص منها
الى اللغة العربية رواية قلب الاسد) وشرع مصور والمصور يصورون اكثر
وقائعها ويبيعونها واقتضب منها روايات تمثيلية والف منها الموسيقيون
ادواراً للغناء بها على الآلات الموسيقية حتى غدت مستودع الادب والنوادر
وللح والحكم والامثال . ورجح من تأليفه رجلاً وافراً حتى قدر ايراده السنوي
بعشرة آلاف جنيه كان ينفق معظمها في مظاهر الابهة . فافتنى قصرًا فخياً في
ابوتسفورد وزينه بالاثار القديمة وغالي الرياش وفاخر الاساس مما لا يوجد الا
في المتاحف او في قصور الملوك . وفي سنة ١٨٢٠ انعم عليه الملك جورج الرابع
بلقب بارون . ونشر من سنة ١٨٢١ الى سنة ١٨٢٤ عدة روايات زادت ثروته
وشهرته . وكان لسوء حظه مشترك في شراء القراطيس المالية مع رجل يدعى بالتين
فآل حاله الى الدمار فلبث صاحب الترجمة يعامله بكرم لا يوصف حتي افقر
وشاع خبر عوزة فأخذ من قومه العجب وقال عنه الكونت دوزني (احد
عظماء المملكة) من العجب ان مؤلفاً مثل ولتر سكوت توؤل امره لهذه
الحالة من العوز والاحتياج ولكنتي اضمن انه اذا دفع كل فرد قراء رواياته

فارتاح لها قيمة لا تزيد عن الستة بنس . فلا يصح عليه الصباح الا وهو اغنى
من روتشيلد

واقبلت عليه المصائب من ذاك العهد تترى من كل الجوانب حتي
كادت تلقيه في شر المعاطب فاصيب اولاً بفقد زوجته وتبعها فقد احد
اولاده غير ان صروف الحوادث لم تخمد همته عن مشاركة التأليف والعمل . بل
نشر في سنة ١٨٢٧ تاريخ نابوليون الاول في تسعة مجلدات وكرر طبع رواياته
بعد ان اصلح فيها كثيراً فنال من المال مبلغاً وافراً وفي منه جانباً عظيماً من
ديونه مما جعله مثلاً للنزاهة وشرف النفس

وانكف عن الاعمال مضطراً في سنة ١٨٣١ حيث اصيب بفالج في
جسمه فانحطت قواه الجسدية واشتدت عليه العلة فاشار عليه الاطباء بتبديل
الهواء في الاماكن الحارة فخصت له الحكومة مركباً ينقله الى مالطه
فناولي فروما . واشتد عليه في البحر الداء فعاد به المركب الى انجلترا وهو غائب
عن الرشد فنقلوه الى قصره وذلك في الحادي عشر من شهر يوليو سنة ١٨٣٢
وهناك تنبّهت كل حواسه تنبهاً زائداً برؤية قصره العزيز واشجاره التي غرسها
بيده وكتبه وتأليفه فتهف بكل قواه هتاف الفرحة . وظل طريق الفراش حتي
اهتصرته المنون وهو بين اولاده وذويه في اليوم الثاني من سبتمبر سنة ١٨٣٢
ودفن بكل تجله واكرام في مدفن والدته في كنيسة دريبرج وقد اقيم له
في مدينة ايدمبرج قبه جليله عليها تمثاله . وكان لمنامه رنة حزن واسف
في اوروبا قاطبة وفي قلب كل من قراء رواياته وارتشف من بحار ادابه
ومما يروي عنه انه كان اكثر الناس حرصاً على الوقت يفتخر بكونه كثير

(٢٠٨)

العمل ويقول ان القوى العقلية تقوي بتعاطي الاعمال وان افضل معارف
الانسان ما اكتسبه بنفسه . وقد اتخذت حياته ومؤلفاته العديدة المتباينة
المطالب مثالا للمواظبة .



« اللورد ألفرد تينسون »

« Lord Tennyson »

نابعة من شعراء الانكليز المحدثين ولد سنة ١٨١٠ في مدينة سومر سبي من مقاطعة لنكولن . من بيت كريم ولما بدأ يتلقى مبادئ العلوم اواغ بالشعر فنظمه حديثا وحاز فيه قصب السبق على اقرانه في مدرسة كهريدج ونشر في سنة ١٨٢٩ قصيدة تمبكتوا وقد اشتهرت كثيرا . ثم زاول بعد تركه المدرسة نظم الشعر فنشر في سنة ١٨٣٠ مجموعة اقتطفها من قصائده الكثيرة الا انها لم تكسبه الشهرة التي كان يمتناها فاجس وقتئذ ان تحط من قدره او تحول دون مرامه فاخذ يفرغ جهده ويقدم فكره لاستخراج درر المعاني النفيسة من بحار البلاغة وجمع في مجلدين كبيرين اقواله ونشرهما سنة ١٨٤٢ فقال بهما ما كان يمتناه من الشهرة وبعد الصيت . وكان يلهب بالتصور والفكر فزاول النظم حتى صار شعره طيما في لفظه ومعانيه وكانت اكثر قصائده التغزل بالطبيعة ومناظرها وقد عظمت هذه القصائد قدره ورفعت شأنه ونال بعد زيارة الملكة له في سنة ١٨٥١ لقب شاعر الملكة وهكذا احرز من شعره الشهرة فصار يعد من مشاهير رجال الارض وذوي الثروة وقد بلغ ايراده من بيع قصائده نحو عشرة آلاف جنيه في السنة ونال معاشا من الحكومه الانكليزية حتى توفي في ١٨٩٢

ومما يروي عنه انه كان يميل جهده الى العزلة والانفراد حيث تتجلى

بنات افكاره فيزفها لقومه

ويحكى انه هرب يوما من غوغاء المدينة وزحامها الى قرية واخذ يسير في
عروض الفلوات بين المناظر الطبيعية لا سمير له سوى فكره وظل على ذلك
زما حتى حير امره سكان القرية ، فقال بعضهم انه تنسون الشاعر فرغب الكل
وقتئذ ان يتأكّدوا ذلك واغروا فتاة في العاشرة من عمرها واطمعوها في
شأن اذا تعرضت لسؤاله عن اسمه فوعدتهم بذلك ولما رآته لأول مرة سأله
هل انت الشاعر تنسون فسألها عن سبب سؤالها فاوضحت له سر الامر من
رغبتها في الشأن فضمها الى صدره وقبلها واخرج شائنا واعطاه لها قائلا هو
انا ذا فاسرعي وخذي الشأن الذي وعدت به وقد نظم في عزانه هذه قصيدته
الشهيرة التي رثا بها ولتتوزن وقصيدة الأميره وهي من ابداع قصائده وابعدها
شهرة



« ماكولي »

« Macaulay »

اشهر مؤرخي الانكليز ولد سنة ١٨٠٠ من عائلة كريمة ورثي في بيت والده احسن تربية ونشأ من صغره ميالا الى التاريخ والروايات ونال في الثامنة عشرة من عمره شهادة الدراسة النهائية من مدرسة كمبريدج ولما غادر المدرسة شرع ينفج المجالات العلمية بالمقالات التاريخية التي اذاعت شهرته ثم عكف على درس الحقوق وزاول فن المحاماة فاشتهر بطلاقة لسانه وقوة حجته وبرهانه وعلى ذلك استنابته مدينة ايدنبورج نائباً عنها في البرلمان فكان يخطب من وقت لآخر الخطب البليغة

وارسل في سنة ١٨٣٤ الى الهند براتب كبير وكاف أن يضع قانوناً وافياً للاحكام فديج يراعه في اقرب وقت اشتمات قانون غير انه لم يطلع عليه الانكليز في الهند حتى نبذوه لان اكثر مواده كانت تقضي عليهم بان يكونوا على قدم المساواة مع الهنود وغيرهم من الاجناس المختلفة التي كانت تقدم تلك البلاد على ان هذا القانون وان لم يعمل به فقد كان مثالا للانشاء البليغ واكبر دليل على فضل واضعه واجتهاده

ومن ثم وجد امامه ماكولي مجالاً رحباً للشهرة فنشر عند عودته من الهند مجموعة اخبار منسوقة عن تاريخ تلك البلاد تضمنت سيرة ابطال الانكليز الذين وطّدوا دعائم حكومتهم فيها .

واتخذاه اللورد ملبورن في سنة ١٨٤٠ كاتماً لاسراره . وزاول من ذاك العهد

الإنشاء وظلت بنات افكاره الفتانة تواصل طلي التأليف بنشر الحوادث التاريخية حتى نشر في سنة ١٨٤٨ اعظم مؤلف عن تاريخ انكرا صادف قبولاً عظيماً واحله الانكيز محلاً رفيعاً فعين عضواً للتاريخ في الجمعية الملوكية وذلك في سنة ١٨٥٠ وكانت العلة قد الفت جسمه فاعادت مع ذلك مدينة ايدنبورج انتخابه للنياية عنها في البرلمان فزاوول على الحضور حتى رفته الملكة في سنة ١٨٥٨ الى رتبة الاشراف ونفخته بلقب لورد لكنه لم يهنأ بهذا الانعام اذ توفي في السنة الثانية ودفن في وستمنستر مدفن العظماء .

ومن صفاته انه كان حلو الفكاهة والحديث سريع البادرة اشهر بما كان له من المواظبة والتجملد على الاشغال وكان كثير النقد في كل اعماله واقواله وكتاباته فما كان يكتب شيئاً الا بعد ترو و تحقيق وقد قال اللورد ملبورن بهذا الصدد . اريد ان اكون واثقاً من شيء واحد ثقة ما كولي بكل الاشياء . وفي تصفح تأليفه دليل كاف على منزلته وقيل لم ينشرها الا بعد ان احيا الليالي الطويلة بالدرس والمطالعة . وكان اذا اراد ان يستشهد ببعض المؤرخين قبله يبدأ بان يعرف قدر ذلك المؤلف ومقامه من العلم وما يمكن ان يكون ارتكبه في اقواله من الغلط عن اهمال او عن غرض .

وله ايضاً شهرة بطلاوة الكتابة والانشاء وفي نسق الحوادث وسردها وقد يرتاح المطالع لمؤلفاته بما تتضمن من كثرة الشواهد والنوادر بحيث لا يبدأ في اولها الا وهو يرغب في الوصول الى نهايتها وتاريخه لا يزال يرجع اليه المؤرخون وقد ترجم الى اكثر اللغات



وليم هسرفي

« الطبيب وليم هارفي »

« Doctor Harvy »

من نطس اطباء الانكليز الذين كشفوا القناع عن الغوامض الفسيولوجية
ولد سنة ١٥٧٨ في عمالة كنت ودرس في اشهر مدارس ايطاليا وتخرج
في المنطق والفلسفة الطبيعية من مدرسة كبريدج الطبية ثم تعاظم صناعته
الطب في لندن واشتهر امره فعين طبيباً لمستشفى ماري برثماوس ثم مدرساً
في مدرسة الاطباء . وعكف بعد ذلك على درس الحقائق الطبيعية بالتجربة
والامتحان فزاول على البحث والتنقيب ولم يكتف بالاعتماد على الاراء وقد أدى
به ذلك الى اكتشاف الدورة الدموية في الانسان والحيوان الا انه لم يذع
امر هذا الاكتشاف العظيم حتى قام الجدل بسببه بين الاطباء على قدم
وساق فتابعه البعض وخالفه البعض الآخر واخيراً سلم بارأه الذين كانوا
يخطئونه واعتمدت عليها ايضاً مدارس اوروبا الطبية . وبني عليها علم الفسيولوجيا
وهو من اعظم العلوم واهمها

وقد طبقت شهرته الآفاق فعين طبيباً لمجلس الاول وحلقه تشارلز
الاول وحضر الحرب الاهلية التي شبت وقتئذ وانحاز الى حزب الملك .
ولما انطفأت نار الحرب آوى الى بيته في سرى وعكف على البحث
والتنقيب عن الحقائق الطبيعية وقد امه في عزله هذه صديقه الدكتور رانت
ونال منه بعد الاخاح الشديد الاذن بطبع كتابه الكبير في تولد الحيوان وقد
انتشر هذا المؤلف انتشاراً عظيماً وعده العلماء اعظم مظاهر في بابيه بالنسبة لزمانه .

وقد بحث هذا الطبيب كثيراً في طبائع الحيوانات فأثبت أن كل حيٍّ
تولد من بيضة . وكان كريماً يمد المدارس الطبية بالمال توفي في سنة ١٦٥٧ بعد
أن أوصى بماله للأرامل والأيتام ولبيت العلم والمستشفيات . فأتخذت حياته
قدوة لغيره وتحدث الكل بفضله وما آثره



« الطبيب ادوارد جاور »

« Edward Jenner »

هو الطبيب الشهير مكتشف تطعيم الجدري . ولد في السابع عشر من شهر مايو سنة ١٧٤٩ في مدينة بركلي بانكلترا . ونشأ من صغره ميالا للطب فلما اتم دروسه دخل المدارس الطبية ثم رغب في اتقان الجراحة فزاول درسها على الاستاذ هنتر الفسيولوجي الشهير الى سنة ١٧٧٢ ومارس بعد ذلك صناعته في بلده الى سنة ١٧٧٥

وقد عن له لجرّد سمعه بان الذي يصاب بمجدري البقر يسلم من الجدري العادي ان يراقب هذا الامر ويبحث بحثاً مدققاً عن علاج واق من الجدري وقد كثرت به الاصابات وقتئذ ففتك بالعباد فتكا ذريعا ففقدى لذلك عشرين عاماً في الابحاث والتجارب حتى تيسر له الوصول الى طريقة التطعيم فطعم ابنه اولا ثم اذاع اكتشافه هذا في رسالة ذكر فيها انه طعم عشرين شخصاً بمجدري البقر فلم يعد ممكناً للجدري العادي ان يصيبهم لا بالمخالطة ولا بالتلقيح ورغب بعد ذلك تعميم التطعيم ولكنه لاقى كغيره من المكتشفين المصاعب الكثيرة وقام ضده خصوم كثيرون نسبوا اليه امورا كثيرة لم تكن لتكن لثمن عزمه بل ظلّ يقاوم الاضداد ويمارس التطعيم ويجربه حتى ادركت الحكومة الانكليزية الفوائد العظيمة التي افاد بها هذا الطبيب النوع الانساني وقدرته حق قدره فكافأه بنحو ثلاثين الف جنيه ثم احتفلت بدفنه في سنة ١٨٢٣ ونصبت تمثاله في ساحة ترافالغار تخليداً لذكوره

« دارون »

« Darwin »

هو النطاسي الطبيعي صاحب مذهب النشوء والارتقاء . وهو الدكتور
تشارلز روبرت دارون ابن الطبيب روبرت وليم دارون . ولد في مدينة
شروزبري سنة ١٨٠٩ وتلقى مبادئ العلوم في مدرستها . ولما يقع انتقال الى
مدرسة ادنبرو ومنها الى كلية كبريدج الشهيرة فربي أحسن تربية . وكان
ميالا الى العلوم الطبيعية فنبغ فيها وعد من علماء التاريخ الطبيعي قبل ان يناهر
الثانية والعشرين من العمر ومنح في سنة ١٨٣١ شهادة الطب وطلب في
في خريف تلك السنة من القبطان فيتزوري ان يستصحبه معه في سياحته
حول الكرة الارضية فاجابه لسؤله وعمرًا جافا في سفرهما فاحصين اكثر شواطئ
امريكا الجنوبية والجزائر الاقياوسية واستراليا ولبثا في هذه السياحة خمس
سنوات قاسى فيها دارون من هول البحار ومشاق الاسفار ما انهك قواه
وعبث بصحته .

وكان قبل سفره ساذجاً بسيطاً يسلم كغيره بامور كثيرة فعاد يتوقد
بالاراء الاصلية ولكنه حذر من اذاعتها نخبأها في صدره لمستقبل الايام .
ثم نشر تاريخ سياحته ودون في الجزء الثالث الاكتشافات الجيولوجية وما
يتعلق بالتاريخ الطبيعي . وعكف بعد ذلك على التأليف فنشر في سنة ١٨٤٢ مؤلفه
في تركيب الصخور المرجانية واتبعه بغيره عن جيولوجيا الجزائر البركانية
ثم أعقب هذين المؤلفين بثالث عن جيولوجيا امريكا الجنوبية فرفعت هذه



ڊارون

التأليف شأنه بين اهل العلم ونفخته الجمعية الجيولوجية سنة ١٨٤٩ بنیشان ولاستن وكافأته الجمعية الملكية بنیشان الامتياز وصادق كثيرين من العلماء الاعلام الذين نبغوا وقتئذ ثم اقترن باحدى نسيبائه وهجر لوندن اذ رأى ان هواءها يضر بصحته وآوى الى قرية دون من مقاطعة كنت حيث انقطع فيها عن العالم الى المطالعة والتأليف

وشروع منذ سنة ١٨٣٧ يعلق ما يعين له من الافكار والملاحظات بشأن مذهبه في « اصل الانواع » وكان في عزته لا يألو جهداً ولا يفتر عن اتخاذ الوسائل اللازمة للتوصل الى حقائق الامور وادراك كنهها فقصى نحواً من اثنين وعشرين سنة يتعهد تأليفه في اصل الانواع وقد حاول ان ينسب فيه بالاختبار اختلاف معيشة الجنس البشري على سطح الكرة الارضية الى الترقى الدائم بدون اسباب خلقية نظراً لما بين الكائنات الحية من العلاقات الفسيولوجية .

ولما نشر هذا التأليف نفدت الطبعة الاولى كلها حال خروجها من المطبعة فأعيد طبعه مراراً وترجم حلالاً الى اللغات الاوروبية ولكنه اثار غضب اهل الدين فقاموا عليه يداً واحدة وتجردت اكثر الجرائد لمناصبته ومعارضته وكان الاستاذ هكسلي الشهير اكبر المنتصرين له بيد أن ثورة هذا الجدل لم تطل حتى سكن كل نائر ضده وتابعه على رأيه كثير من علماء المشرق والمغرب

وفي سنة ١٨٧١ اذاع تماماً مذهبه في تسلسل الانسان فجاء متمماً لمذهبه في اصل الانواع وقد قرر فيه بان الانسان نشأ مترقياً من نوع من انواع

القرود لا وجود له الآن وظلّ يتدرج في الترقى حتى وصل الى حالته الحاضرة
فشار عليه عند اذاعته له علماء الدين وقام الجدل بسببه على قدم وساق
ودافع عنه الاستاذ هكسلي برسالة سماها « قبول اصل الانواع » فأيد فيها
هذا المذهب تأييداً سلم به الكثير وصار الطبيعيون يتخذونه دليلاً لهم
في الابحاث والمطالب ونبراساً يبدد امامهم جيوش الغياهب عن محيّا الحقائق
العلمية والمشاكل الطبيعية على ان حرب الجدل في تأييده ونفيه لا تزال الى
يومنا هذا تخدم نارهنا حيناً وتخدم احيانا . وقد قالت سيدة انكليزية لدارون
ان اليوم الذي يتأيد فيه مذهبك هذا ينتقض بنيان الفضيلة في العالم .

وقد احرز دارون بمؤلفاته وآرائه شهرة عظيمة فنال الوسامات العلمية
وانتخب عضواً لأكثر الجمعيات الانكليزية وقد كان قدوة في الجلد والصبر
لم يأخذ المائل من التأليف مع اعتلال صحته وتحامل الاخصام عليه فوضع
عشرين كتاباً بحث فيها عن مسائل علمية ذات شانٍ خلا ما اتحف به الجرائد
العلمية من المقالات الرنانة التي يستغرق فهرسها وحده نحواً من خمسة
عشر صفحة ...

وقد وضعت الحكومة الانكليزية في سنة ١٨٩١ تخليداً لذكره نيشاناً
باسمه رسمت على وجه من وجهيه رسمه وعلى الوجه الآخر رسم الكليل
مضفوف من أشهر النباتات التي بحث فيها وفي وسط الكليل اسمه وسنة وفاته
والحكومة تزين بهذا النيشان صدور العلماء الذين يمتازون
بعلم او اكتشاف .

سفراء انكلترا

وقد اشتهرت انكلترا بسفرائها الذين تقدمهم للنيابة عنها في العواصم الأوروبية وبمندوبيها في المؤتمرات الدولية الكبيرة . وهم لا ينتخبون لهذه المناصب الا بعد ان يتقلبوا في المراتب الادارية والسياسية فيتميزوا بسعة الاطلاع وسمو المدارك والدهاء السياسي ولا تكتفي حكومتهم بانتخابهم من اعاضم رجالها بل توسع عليهم الرزق حتى يتمكنوا من صرف همهم الى خدمة بلادهم ولذلك تراهم اينما حلوا حاولوا جراً المغم لها . وهذا سر النجاح في السياسة الانكليزية الخارجية والسبب الاعظم في بسطة نفوذها في انحاء العالم وقد اشتهر من هؤلاء السفراء :

« اللورد دوفرن »

« Lord Dufferin »

وهو سفير انكلترا في باريس واعلا سفراء الارض مقاما واشهرهم ذكرا
واكثرهم خبرة . ناب عن حكومته في عواصم كثيرة اهمها الاستانة وروما
وتقلب في المناصب الادارية فحكم الهند وكندا باصالة رأي وخبرة لامثيل
لها . واشتهر ايضا بحل المشاكل السياسية الكثيرة في عدة مؤتمرات دولية
انتدبته لها حكومته منها مؤتمر سنة ١٨٦٠ الذي التأم للنظر في احوال سوريا
وكان وقتئذ اكبر رجاله فقرر عزلة جبل لبنان واختط نظامه السياسي وحال
دون مطامع فرنسا ومنعها من الاستيلاء على تلك البلاد بلا حرب ولا تعب .
وانتدب بعد الثورة العربية للنظر في شؤون القطر المصري فارتأى
أمورا كثيرة بقررت كلها خيرا مصر . وانتدب ايضا للنظر في احوال بعض
المستعمرات الانكازية فاجاد في كل ما ارتأى وعملت الحكومة بارائه ومشورته
وقد اشتهر بصدقه في السياسة كما اشتهر بالنظر البعيد والعزم الشديد .

« اللورد كرومر »

« Lord Cromer »

هو افان بارنغ معتمد انكترا السياسي ووكيلها بالقطر المصري من سلالة عائلة بارنغ العريقة بالشرف والقدمية وصاحبة البنك الشهير باسمها ولد بمدينة لوندرا في سنة ١٨٤٠ ونشأ منذ نعومة اظفاره في مهد العلم والادب ورث في المدارس الابتدائية احسن تربية وتهذب اكل تهذيب وبداهته الميل الى الجندية صغيراً فارسله ابوه الى مدرسة ووليش الحربية وهو في الثالثة عشرة من عمره فظل يتلقى علومها بنشاط واجتهاد حتى الثامنة عشرة فالحق بالجيش وخدم في المدفعية اثنتي عشرة سنة بيسالة واقدام استحق عليهما الحمد والثناء .

وفي اوائل سنة ١٨٦٠ عين مساعداً للسير ستوركس والي جزيرة كورفو اذ كانت يومئذ تحت ولاية انكترا ثم تبعه الى جزيرة جهايك (في جنوب امريكا) لفصل مشكل سياسي واتحاد فتية كانت ثارت وقتئذ وتفرغ عند عودته من هذه البلاد لدرس الفنون العسكرية ليعده نفسه الى ما يؤهله الى الحروب الكبيرة

ولما انتشبت نيران الحرب في سنة ١٨٧٠ بين المانيا وفرنسا انتظم في خدمة الجيش الالمانى وترجم كتاب « لعب الحرب » من اللغة الالمانية الى اللغة الانكليزية وهو يشمل وصف الوقائع والحوادث التي اتتها وقتئذ الالمانيون .

وفي سنة ١٨٧٣ انتدبت حكومة انكلترا عمه اللورد جورج اوف نرثبرك
حاكماً للهند فاستصحبه معه سكرتيراً له واخذ يدرجه على السياسة ويشققه
بمطرقها واعمالها حتى اصبح يركن اليه في اهم الاعمال ويستشيريه في اكثر
المسائل ولذلك اعده في وقت قرب الى المناصب السياسية الكبرى .

ومن ذلك العهد اخذ يترقى الى ذرى المجد ويصعد الى مدارج الرئاسة
فتمين في سنة ١٨٧٦ مندوباً من حكومته للنظر في الدين المصري ثم عين
عضواً في صندوق الدين وقد اظهر اثناء تبوئه هذا المنصب الخبرة الثابتة
واصالة الرأي ثم انتدب للنظر في مالية الهند وكانت احوالها وقتئذ مخجلة فاخذ
باصلاحها واظهر من الثمن في الادارة والاقتصاد مدة ثلاث سنوات
ما حزل اليه انظار حكومته فادّخرته في مصاف ذوي العزائم الكبيرة
لمستقبل الايام .

ولما احتلت انكلترا مصر بعد واقعة التل الكبير وبدأت في اصلاحها
عينت صاحب الترجمة والمسيو ادجار فنسان والكولونيل مونكريف والسير
افان وود كل واحد منهم لاصلاح عمل من فروع الادارة ولا يخفى ان مصر
ظلت بعد الثورة العرابية بضع سنين على حالة عظمى من الضنك فلما رأت
انكلترا ذلك استقدمت اليها مندوبيها الثلاثة وابقت صاحب الترجمة وجعلته
متممها السياسي واطلقت يده لتصريف الاحوال في الديار المصرية كما
يستصوب فاخذ يمين في المناصب الخطيرة من يمهدهم الكفاءة والاهلية من
كبار الانكليز وياشر المظالم باشد العزائم . وقد مضى على احتلال الانكليز
لمصر مدة سبعة عشر عاماً اتوا فيها من امور الاصلاح ما يعجز عنها سواهم

خالعوا النخاسة والمونة واصلحوا الري في انحاء البلاد ونظموا السجون واكثروا من السكك الحديدية واصلحوا شؤون الجيش وخففوا الضرائب ونظموا المالية واصلحوا ادارات الحكومة وبثوا الامن والطمأنينة فصارت مصر تسير في مضمار الحضارة يوماً فيوماً حتى ان من زارها منذ سنين وعاد اليها في هذه الايام لا يكاد يتبينها ويعجب بسرّيع تقدمها اذ يراها والعمران آخذ في كل اطرافها والنمو مندفع في جميع اعضائها وفيها من حركة الاعمال ما يضاهي اكبر العواصم الاوربية .

كل هذا التقدم والاصلاح ناطق بان اللورد كرومر هو منبت غرسه وضع يمينه وتاريخ الاعوام السبعة عشر التي مرت على مصر وهي راقية صراقي النجاح متصل بتاريخ سبعة عشر عاماً من تاريخ حياته اذ انه لم يتم عمل الا باشارته ولم يكن اصلاح الا بغاية فهو قد كان سياسياً نفع حكومته وادارياً نفع مصر والانكليز في مصر والحكومة المصرية يعملان باشارته وحكومته في انكثرا تعمل بارأه

وقد وصفه احد كبار الانكليز في خطبة له عن مصر فقال :

ليس اللورد كرومر من الفراغة ولكنه اتى اعمالاً في مصر تفوق اعمال رمسيس الاكبر وستكون هذه الاعمال اعظم منفعة واعم فائدة على مصر من اعمال الفراغة .

ورقي ابان خدمته في مصر الى مرتبة الاشراف ونال لقب لورد كرومر

(نسبة لبلدته الاصلية) وذلك في سنة ١٨٩٢ .

وكان اكبر المساعدين على استرجاع السودان بل اول العاملين بفتح هذا

السودان لتكوين المملكة الافريقية التي تنوي انكثرا تكوينها في القارة
الافريقية .

وهو واسع الاطلاع شديد النظر الى العواقب جرّب الدهر طويلا
حتى جالسه الشيب وعلمه الاختبار فصار يرى فيه الناظر له كل المهابة والوقار .
وله الماسم تام بالافرنسية والالمانية والتركية وميل الى مطالعة التاريخ
والاشعار القديمة وحديثه لا يخلو من الفكاهة والاقتباسات الشعرية والتاريخية
وهو مثال الحزم والعزم والنزاهة والنشاط رأيا وعملا ويعد من نوابغ
السياسة الذين تجعلهم الحكومة الانكليزية ذخيرة لها في حل كل معضلة
وفصل كل اشكال .



« واخيراً »

« يرى مطالع هذا المؤلف انى ذهبت في تأليفه مذهباً حراً وعززت »
 « مواضعه باقوال فحول المؤلفين عن عظمة انكثرتا وبلوغها الشأو البعيد »
 « بين دول الارض . »

« على أنه يرى أيضاً انى عمدت الى الايجاز في الكلام لما اجد في »
 « الاسهاب من النصب الذي كابدت اشده حتى كدت اقف عنده « وما »
 « عرف تعب التأليف الا من عاناه ولا الكتابة الا من زوالها « ولا سيما »
 « في المطالب التي يبذل فيها الكاتب نور العين وراحة القلب لشدة ما تقتضيه »
 « من البحث والتنقيب ثم انه يرى فوق ما ذكر بعض اغلاط سهوت عنها »
 « وما ارتأيت التنبيه عليها الآن لاني اراني في غنى عنه بذلك المطالعين الالباء »
 « وعلى كل حال فأنا افوز بحلم القارئ من علمه . » وأجأ الى إيائه من »
 « ذكائه بعد ان نفخته بما وصل اليه باعي القصير ويراعى القاصر . فان اصبحت »
 « المرمى فهو المراد والا فحسبي حسن القصد وبذل الجهد والسلام . »

بشاره كنعان

« تم الجزء الثاني »



PART II.

- I. •History of Queen Victoria
- II. English Government ; System Policy etc.
- III. England's Debt, Income & Expenditure
- IV. Agriculture, Commerce, arts & Industry — Several chapters
- V. Army & Navy
- VI. Manners & customs
- VII. English language & Literature
- VIII. British Law & Justice
- IX. Newspapers, books, etc.
- X. Prince of Wales
- XI. Great men of England

Bishara Cunaan





الدكتور جنر

CONTENTS

When I see the power of the British people increasing every day, and the progress and influence they have exerted in Egypt especially during their occupation, both as regards the Education and wealth of the Egyptian Population and their influence in every other part of the Globe, I desire to publish a book in the Arabic language containing full information about the British Nation, this subject as never having been previously dealt with in the East.

The book is divided into two Volumes :

*
* *

SUBJECTS OF THE BOOK

PART I.

- I. Preface
- II. Physical & Political Geography of the British Islands
- III. London — Description, principal Buildings. etc.
- IV. History of England down to present reign
- V. British Colonies — Several chapters
- VI. England in Egypt and the Seudan
- VII. Great feat of England in Africa

THE
ENGLISH WORLD

AN ARABIC WORK ON ENGLAND & THE ENGLISH

BY
BISHARA CANAAN

II. VOLUME

EMIN HINDIÉ EDITOR

CAIRO EGYPT

printing Office H. C. DIE, Mahdi Street, Ezbekieh, Cairo.